

مجلة «حمورابي» للدراسات

مجلة فصلية محكمة تعنى بالشؤون السياسية والستراتيجية

العدد 31ـ32 ـ السنة السابعة ـ صيف ـ خريف 2019

التصميم والإخراج: هوساك كومبيوتر برس هاتف: 345687 1 00961 بيروت

الاشتراك السنوي: للأفراد: 30 دولاراً أمريكياً
للمؤسسات: 50 دولاراً أمريكياً
خارج الوطن العربي: 80 دولاراً أمريكياً

البريد الإلكتروني: HAMMURABIMAGAZINE@YAHOO.COM
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد:
1709 لسنة 2012

ISSN 2227-5312

المحتويات

الملف: الاقتصاد محور التنافس العالمي في القرن الواحد والعشرين

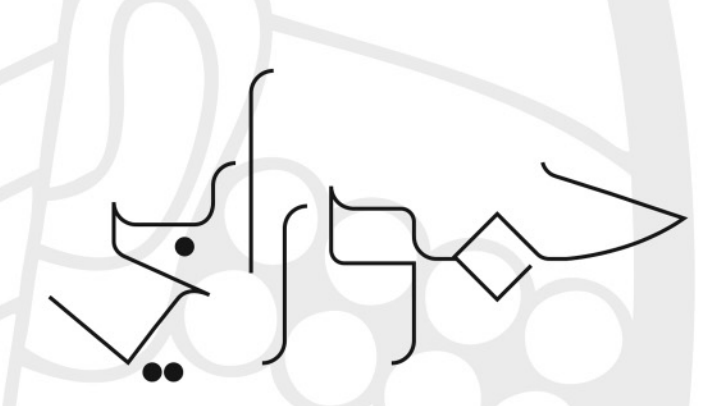
بحوث حمورابي

الأبواب الثابتة



العنوان: بغداد عرصات الهندية شارع مطعم الريف الإيطالي
بغداد الجادرية صندوق بريد 2405
Mobile: 00964 - 7810234002
Baghdad - Aljadiriyah - P O. Box: 2405
E-mail: hammurabi.magazine@gmail.com Website: http://www.hcrsiraq.org www.hcrss.org

رقم شهادة التسجيل: Z71874 في 2008/3/27 صادرة عن مكتب مساعدة المنظمات غير الحكومية



الملف:
الاقتصاد محور التنافس العالمي في القرن الواحد والعشرين

- الاستراتيجية الروسية تجاه فضاء التوازن الطاقوي — رؤى خليل سعيد
- فضاءات المصالح الاقتصادية الصينية في افريقيا — هبه علي حسين
- بريكس والتوظيف الواقعي الليبرالي لمقاومة الهيمنة الأمريكية في النظام الدولي — أ. د. سرمد الجادر ـ يونس مؤيد يونس

الاستراتيجية الروسية تجاه فضاء التوازن الطاقوي

رؤى خليل سعيد*
باحثة من العراق

* باحثة ـ مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

المقدمــة

روسيا الاتحادية على الرغم من مساحتها الكبيرة، إلا إنها لديها منافذ بحرية على أعالي البحار، وعجز إطلالتها المستديمة على المياه الدافئة طوال العام، لذلك فأن هاجس الجغرافيا يبدو واضحاُ على روسيا، فان الجيوبولتيك فرض نفسه على توجهات ورؤى قادة روسيا على مر التاريخ، في التوافق على أن حماية مصالح روسيا والحفاظ على أمنها ووحدة أراضيها ودرء المخاطر عنها، يتطلب دوماً الانتقال بمواقفها نحو محيطها المباشر بشكل استباقي ودون انتظار العدو للوصول إلى أطرافها.

نلاحظ تحركات روسيا في مجال الطاقة من أفريقيا إلى أميركا اللاتينية، والبدء بتحركات حلزونية من المجاور القريب إلى الخارج البعيد، إذ شددت على إعادة الضبط للمناطق الرخوة في جوانب اتحادها الفيدرالي، فدخلت في تفاهمات وشراكات وصفقات معها في مجال النفط والغاز، فيما قامت روسيا باستدارة محسوبة صوب البلدان الآسيوية الصين-الهند لتتناغم مع هواجسهما حول أمنهما الطاقوي، وهما الشريكان الأساس في منظمة البريكس، وعقدت شراكات معهما في مختلف المجالات ومنها الطاقة.

وفي جانب آخر فقد استغلت الولايات المتحدة تقدمها في مجال التكنولوجيا النفطية، وامكانيتها في استخراج الغاز الصخري لتنتج كميات كبيرة منه، والدخول إلى أسواق الطاقة لمنافسة مع روسيا الاتحادية، إلا أن عمليات نقل الغاز الأميركي إلى أوربا، فيها العديد من الصعوبات لعل أهمها بعدها عن مراكز الاستهلاك، فضلاً

عن عدم أمكانية تزويدها بالأنابيب، لذلك فإن نقل الغاز المسيل بالبواخر إلى أوربا سوف تكون تكاليفها اعلى بكثير مقارنة بالغاز المنقول بالأنابيب من روسيا.

المبحث الأول: الطاقة.. الحجر الأساس لروسيا الاتحادية في تحقيق التوازن الدولي

منذ وصول الرئيس فلاديمير بوتين إلى السلطة وضع مفاهيم جديدة لتشكيل سياسة خارجية تقف بالضد من الهيمنة الأمريكية في النظام الدولي، لذا وضعت الأسس التي ارتكزت عليها لجعل روسيا كفاعل من فواعل التأثير في النظام الدولي، لذلك اعتمدت على مبدأ بوتين منذ عام 2000 والقائم على[1]:

1 - تعميق التوجه الأورآسي لروسيا في سياستها الخارجية.

2 - التركيز على برامج الإصلاح الداخلي ليس على حساب السياسة الخارجية.

3 - التركيز على تطوير دور روسيا في عالم متعدد الأقطاب ورفض القبول بعالم تحكمه هيمنة قوة أحادية.

4 - العمل على استعادة دور روسيا في آسيا والشرق الأوسط بشكل تدريجي.

5 - عدم السماح للغرب بتهميش الدور الروسي في العلاقات الدولية

6 - التحذير من سياسة حلف الناتو للاقتراب من روسيا أو تطويقها لأن عودة روسيا معناه عودة الرابطة مع الجمهوريات السوفيتية السابقة للدفاع عن نفسها.

7 - مع معارضة روسيا النظام القطبية الأحادية لكن لا تعني عدم استمرارية التعاون مع واشنطن في قضايا عالمية كالحد من التسلح وحقوق الإنسان وغيرها.

8 - تقوية روابطها مع بيئتها الأمنية في الشرق من الصين والهند واليابان وكازاخستان ومنغوليا.

اما «عامل الطاقة» و«سياسة الطاقة» تعدّ عنصراً رئيسياً في فهم التأثيرات الروسية وتوجهاتها، فقد أصبح لدى موسكو احتياطيات مالية ضخمة تكونت خلال فترة ارتفاع أسعار النفط بدرجة مكنتها من حيازة موارد، حددت كثير من معالم سياستها الخارجية، كما أنها استخدمت خطوط الغاز الممتدة إلى القارة الأوروبية كأداة تأثير أثارت العالم الغربي في فترات مختلفة، إضافة إلى سياسة الطاقة الخاصة

(1) وائل محمد إسماعيل،

بها، أصبحت عاملاً شديد التأثير في أسواق الطاقة ذاتها، بصرف النظر عن الدفاع والخارجية[2].

وفي اجتماع مجموعة الثماني عام 2006 في سان بطرسبوغ الروسية تم تعريف أمن الطاقة على أنه: «تأمين سلسلة عرض الطاقة بدءًا من اكتشاف مصادرها ثم إنتاجها الي نقل منتجاتها». فيمكن فهم وترجمة أمن الطاقة الروسي في إطار التحركات الروسية في مجال الطاقة مع استلام الرئيس فلاديمير بوتين السلطة 2000 ونجدها تتمحور حول المحاور التالية[3]:

1 - محاولة استعادة ما فقدته الدولة الروسية من مصادر النفط والغاز الطبيعي لصالح الشركات الروسية والغربية.

2 - ضمان السيطرة على خطوط نقل الطاقة في المنطقة والحيلولة دون انشاء خطوط جديدة لا تمر عبر روسيا أو لا تكون روسيا شريكاً فيها.

3 - تزيد التوظيف السياسي لمصادر الطاقة في السياسة الخارجية الروسية لتحقيق اهداف استراتيجية وتكتيكية متمثلة في:

– توسيع مجال تأثير سياستها الخارجية لاستعادة ميراثها السوفيتي السابق.

– تطوير الاحتكار اقتصادي عبر الاستثمارات الأجنبية.

– ابعاد التوسع الغربي عن مناطق النفوذ الروسي، والحد من الهيمنة الأمريكية.

انطلاقا مما سبق يمكن القول إن أمن الطاقة يهدف إلى تأمين مصادر الطاقة والوصول إليها بمختلف أنواعها والتنويع في منتجيها ومصدريها، يتحقق الأمن الطاقوي من خلال العرض والطلب والأسعار المناسبة، من جهة اخرى الامن الطاقوي له أبعاد متداخلة اقتصادية وتكنولوجية، سياسية وجيوستراتيجية، اجتماعية وثقافية. أما بالنسبة إلى أمن الطاقة الروسي فهو لا يتجزأ من أمنها القومي ودعامته الأساسية وأداة مهمة في تأثير سياستها الخارجية، على اعتبار ان روسيا مصدر للخامات الطبيعية للدول الأخرى، وهذا التموضع أصبح المحدد الأساسي لوضع روسيا الجيوبوليتيكي، وهو الذي يحقق الاكتفاء الذاتي لها من الطاقة ما دامت الخامات موجودة بشكل طبيعي على أراضيها[4].

تقود السياسة الطاقوية في روسيا العديد من الشركات الحكومية والخاصة وأبرزها شركة «غازبروم Gazprom» الحكومية التي تشرف على كبرى الاستثمارات الطاقوية

(2) نورهان الشيخ، سياسة الطاقة الروسية وتأثيرها على التوازن الاستراتيجي العالمي، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، القاهرة، 2009، ص 1.

(3) أميرة أحمد حرزلي، استراتيجية أمن الطاقة الروسية بشرق المتوسط في ظل التهديدات الأمنية بعد 2011، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، برلين، 2018.

(4) ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ترجمة: عماد حاتم، طرابلس، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2014، ص 322، 323.

الروسية في داخلها وخارجها وتقود الاقتصاد الروسي بالكامل فغاز بروم تمثل حسب الرئيس فلاديمير بوتين: «البنية التي يرتكز عليها نمونا الاقتصادي، في الراهن أصبح الغاز في روسيا بسعر اقل من سعر التكلفة الي يؤكد بشكل ملحوظ ان النمو الاقتصادي للقطاعات الأخرى مرهونا بهذا القطاع الحيوي». وتركز سياسة أمن الطاقة الروسي في مجملها على عدة أليات عملية واقعية تضمن من خلالها تأثيرها الاستراتيجي محلياً وإقليمياً وعالمياً عن طريق إقامة تعاون وتنسيق دائمين مع كبار منتجي الطاقة في منظمة الأوبك وتحديداً دول الخليج. فضلاً عن ذلك تعمل روسيا على تنمية صادراتها من الغاز والنفط ودعم التنافسية الاقتصادية في مجال الطاقة في الخارج خاصة الاتحاد الأوروبي، والسعي الحثيث للوصول لطرق وشبكات الطاقة البديلة والمحتملة كاسيا الوسطى، والبحر المتوسط وبسط نفوذها عليها[5].

فتعد روسيا فاعـلاً طاقوياً كبيراً؛ حيث تمتلك أكبر احتياطي عالمي من الغاز الطبيعي، مقداره 1.688 تريليون م^3 بما يعادل 23.4 % من الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي. ووصل الإنتاج الروسي من هذا المورد عام 2014 إلى 605 مليار م^3 سنوياً؛ تم تصدير ما لا يقل عن 191 مليار م^3 منه، فاتجه الجزء الأهم نحو أوروبا، بينما تم استهلاك الباقي محلياً. وتمتلك روسيا أيضاً ثامن أكبر احتياطي عالمي من النفط؛ يقدّر بنحو 10 إلى 12 بالمئة من الاحتياطي العالمي من النفط. وقدرت قيمة هذه الاحتياطيات المؤكدة مع مطلع عام 2016 بنحو 80 مليار برميل. بينما بلغ إنتاج روسيا من النفط عام 2015 مقدار 11.3 مليون برميل يومياً من النفط وباقي السوائل النفطية الأخرى. وقامت في إثرها روسيا بتصدير 7.5 مليون برميل يومياً من النفط الخام، بينما استهلكت 3.5 مليون برميل يومياً من النفط. وهكذا يشكل قطاع الطاقة في روسيا ربع الناتج المحلي الإجمالي، وتسهم إيرادات النفط والغاز أكثر فأكثر في الموازنة الروسية؛ ففي عام 2013 موّلت تلك الإيرادات أكثر من 5 % من موازنة الدولة. بحيث يأتي الدخل الرئيس من النفط؛ الذي وصلت إيراداته عام 2013 إلى 191 مليار دولار، ومن الغاز نحو 28 مليار دولار؛ وهكذا يوفران الغاز والنفط معاً 68 % من إيرادات التصدير الروسية[6].

وان روسيا تأثرت كباقي دول العالم بالأزمة الاقتصادية العالمية والتي أدت إلى انخفاض أسعار النفط عالميا، ولكن تم اتخاذ إجراءات من أجل التصدي للأزمة منها رفع الحكومة الرسوم التي تفرضها على تصدير النفط في يوليو 2009، وفي حقيقة الأمر كانت السياسة التي رسمها الرئيس بوتين بعد توليه زمام السلطة بمثابة الدعامة الرئيسية التي أحالت دون انهيار الاقتصاد الوطني بعد وقوع تلك الأزمة

(5) نقلاً عن: أميرة أحمد حرزلي، استراتيجية أمن الطاقة الروسية بشرق المتوسط في ظل التهديدات الأمنية بعد 2011، مصدر سبق ذكره.

(6) محفوظ رسول، أمن الطاقة في العلاقات الروسية – الأوروبية: قراءة وفق نظرية الاعتماد المتبادل، مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد 464، تشرين الأول/ أكتوبر 2017، ص 76.

حيث أراد القضاء على السوق الحر للطاقة، وكان معارضاً لخصخصة قطاع الطاقة التي أعلنها الرئيس الأسبق الراحل بوريس يلتسين ودخلت حيز التنفيذ واستمرت حتى مجيء الرئيس فلاديمير بوتين. وتلك السياسة لها هدفين رئيسيين يتمثلان في: التعاون بين كبار الدول المنتجة للنفط، مثل دول الخليج وفنزويلا، والتنسيق بينهم من اجل تحقيق المصلحة لكل دولة وعدم الدخول في معارك تنافسية للسيطرة على سوق الطاقة العالمية، وبذلك يتم التحكم في حجم الإنتاج والذي يؤدي بدوره إلى الوصول لأدنى سعر للنفط. وفي سبيل ذلك اقترحت روسيا ودعمت فكرة إنشاء منتدى يضم كبار الدول المنتجة والمصدرة لمصادر الطاقة، وبالفعل تم تأسيسه في كانون الاول عام 2008 لتحقيق أقصى استفادة اقتصادية من موارد الطاقة، وتبادل الخبرات بين الاعضاء والهدف الرئيسي من ذلك المنتدى هو الفصل بين أسعار الغاز الطبيعي والنفط[7].

كانت الصين أحد محددات السياسة الخارجية الروسية للطاقة، لكونها صاحبة الاقتصاد المتنامي بما يفوق عشر درجات سنويا، كانت تمثل سوقا كبيرا بإمكانيات هائلة لصادرات الطاقة الروسية. في عام 2013 وقعت روسيا والصين صفقة بترول بقيمة 270 مليار دولار، ثم في عام 2014 وقعتا اتفاقية لتوفير الغاز بقيمة 400 مليار دولار. ورغم كل المشكلات التي كانت أوروبا تضعها في طريق علاقاتها بروسيا؛ فإن الصين كانت تتقدم بخطىً ثابتةً نحو الشراكة مع روسيا[8].

فإن الأولوية القصوى لروسيا هي «الاحتفاظ بموقعها وتحسينه في التراتبية العالمية للقوى الدولية» ولكن تحقيق ذلك سيتطلب «إعادة بناء هيكلية للاقتصاد الروسي» مما يعني أنه بدون إصلاحات اقتصادية شاملة، فإن من شبه المؤكد ان ينحدر موقع روسيا العالمي. إلا إن استمرار الصراعات مع جاراتها على حساب علاقاتها مع الغرب سيؤدي في نهاية المطاف إلى منعها من السعي لتحقيق التحديث الاقتصادي والتنمية؛ لان بدون أساس اقتصادي قوي يؤدي إلى عدم وجود فرصة لروسيا في «الاحتفاظ بموقعها وتحسينه في التراتبية العالمية للقوى الدولية»[9]، وهو الموقع الذي تسعى روسيا إليه والذي يؤدي إلى تحقيق التوازن الدولي بدلاً من الأحادية القطبية المتمثلة بالهيمنة الأمريكية في النظام الدولي.

المبحث الثاني: التنافس الجيو- طاقوي الروسي الأمريكي

يشهد العالم في المرحلة الراهنة تنافساً أمريكياً-روسياً في مناطقه المختلفة، وعلى الرغم من ان هذا التنافس ليس جديداً حيث تواجدت القوات الأمريكية والسوفيتية

(7) فؤاد خشيش، سلاح الطاقة: صراع استراتيجي بين روسيا والاتحاد الأوروبي: عقوبات وخسائر متبادلة، روسيا الان، مارس 13, 2017، http://russia_now.com/ar/

(8) Lars Christian Talsith, the politics of Power: Eu_Russian energy relations in the 21st century, Palgrave Macmillan, 2017, p 278.

(9) CARL BILDT, Russia's Strategic Priorities, Viewed from within, project_syndicate, Jun 20, 2019, https://www.project_syndicate.org/commentary/russian_report_says_putin_must_turn_west_by_carl_bildt_2019_06.

السابقة في الساحة الدولية وجهاً لوجه أكثر من مرة وفي اكثر من مناسبة؛ فتواجهتا في برلين أبان الحرب العالمية الثانية في اربعينيات القرن الماضي، وفي الحرب الكورية (1950-1953) في شبه الجزيرة الكورية، وفي أزمة الصواريخ الكوبية عام 1962، كما تواجهت القوتان عبر الازمة الاوكرانية والأزمة السورية الراهنة، لكن الاعتقاد السائد في عالم اليوم أن الوضع بات مختلفاً هذه المرة عن سابقاته، إذ اخذ ذلك التنافس منحىً آخراً هو التنافس الجيو-اقتصادي، لينعكس في صورة سباق اقتصادي تصاعدت حدته شيئاً فشيئاً بالتزامن مع سعي الولايات المتحدة إلى الانفراد بالنفوذ في العالم ومحاصرة روسيا في نطاق اقليمي ضيق، بالمقابل تسعى روسيا لاستعادة مكانتها الدولية والاقليمية السابقة واستعادة نفوذها ومصالحها التي فقدتها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، وراحت تنافس الولايات المتحدة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً في بعض مناطق العالم المهمة لا سيما الشرق الاوسط وآسيا الوسطى وأوروبا الشرقية[10].

(10) احمد يوسف كيطان، التنافس الجيو-اقتصادي الامريكي الروسي على الطاقة، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، العراق، 2018.

لقد سخرت الولايات المتحدة الأميركية كل إمكاناتها في أن يكون القرن الحادي والعشرين، قرناً أميركياً بامتياز، بدءًا من التفكير الاستراتيجي مروراً باستخدام فائض القوة العسكرية التي تمتعت بها، وانتهاءً بالهيمنة على مصادر الطاقة عبر شركاتها، جاعلة من الطاقة وبخاصة الغاز الطبيعي هو مهمازاً للقرن الحالي قرن الصراع على الغاز، والذي من شأنه أن يوسم طابع القيادة والسيطرة فيه، وتستهدف الولايات المتحدة دول الانتاج روسيا وإيران وقطر وتركمنستان، ودول الاستهلاك الكبير الصين والهند، ودول المرور والتجميع أوكرانيا وسوريا وتركيا وبولندا. ولكل منها سيناريو للتعامل معه. وأن الولايات المتحدة الأميركية تدرك أن الاقتصاد الروسي هو اقتصاد ريعي كونه يعتمد على مصادر الطاقة الاحفورية النفط والغاز بشكل كبير، وهو ما ينعكس على تمويل موازنته الاتحادية وعلى تمويل التنمية، والأهم من ذلك كله هو قدراتها العسكرية المتمثلة بالأنفاق العسكري وصناعة السلاح، نظراً لضعف التنوع في الاقتصاد الروسي فيما يخص الصادرات غير النفطية، وبالتالي ضعف الايرادات بالعملات الاجنبية منها. لذلك اندفعت الدول الرأسمالية، الاستحواذ على مشروعات الطاقة النفط والغاز، كون هذا القطاع هو القطاع الحامل للاقتصاد الروسي ومصدر تمويله الأساس. وهو ما يكبح فرصة روسيا من استعادة دورها العالمي كقوة من شأنها مزاحمة الدور الأميركي أو مجابهته، كون الولايات المتحدة الأميركية تنظر إليها كعدو لا بد من تدجينه[11].

(11) عبد علي كاظم، المزاحمة في قلب الأرض: المزاحمة الروسية للولايات المتحدة الأمريكية، دار الروافد، بيروت، 2017، ص 109.

إن فرض عقوبات على صادرات روسيا من النفط والغاز -التي كانت تمثل ثلثي

الصادرات الروسية عندما بلغت الأسعار العالمية ذروتها بين عامي 2011 و2013 -لمنع العدوان العسكري الروسي، سيؤدي إلى ارتفاع الأسعار العالمية، لصالح الكرملين. بعبارة أخرى، قامت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي حتى الآن بتقييد عقوباتهما على بعض تكنولوجيات النفط. وإن العقوبات المقترحة سابقاً ضد المشاريع المشتركة بين روسيا والولايات المتحدة للنفط والغاز سوف تضر بالشركات الأمريكية وبالتالي فهي مقيدة بمشروع قانون «حماية الأمن الأمريكي من عدوان الكرملين 2.0» -أو ما يسمى بقانون العقوبات الأمريكي «داسكا»، هو نسخة منقحة من مشروع قانون مشابه قدمه عضوان في مجلس الشيوخ في أغسطس/ آب 2018، لكن الكونجرس لم يقم بالمصادقة عليه-. ومن شأن القانون أن يؤثر فقط على الاستثمارات الجديدة الرئيسية خارج روسيا. كانت الفكرة الأمريكية الأكثر قوة هي فرض عقوبات على نورد ستريم 2، وهو خط الأنابيب الروسي لنقل الغاز، والذي يمتد من سان بطرسبرج إلى ألمانيا. وقد تبين أن ذلك لم يكن سهلاً من الناحية الفنية، وقد عارض الأوروبيون باستمرار فرض عقوبات على صادرات روسيا من الغاز عبر خطوط الأنابيب. بدلاً من ذلك، يقترح مشروع قانون «حماية الأمن الأمريكي من عدوان الكرملين 2.0» فرض عقوبات على الغاز الطبيعي المسال الروسي، والتي يمكن أن تقلل من معارضة الحلفاء الغربيين[12].

(12) ANDERS ÅSLUND, Getting Serious about Russia Sanctions, project_syndicate, Feb 19, 2019, https://www.project_syndicate.org/commentary/congress_proposed_new_sanctions_against_russia_by_anders_aslund_2019_02.

المبحث الثالث: الأداء الاستراتيجي الروسي الطاقوي في مجالات الحيوية

نظراً لأهميـة الاستراتيجية منطقة الشرق الأوسط، أصبح هناك تنافس اقتصادي الامريكي-الروسي في منطقة، أدى إلى جعل المنطقة بمثابة الجزيرة العالمية للنفط والغاز في العالم لا سيما منطقة الخليج، مما جعل منها محط أنظار القوى الكبرى في النظام العالمي. وذلك لأن نفط الشرق الأوسط أصبح يلعب دوراً اقتصادياً مكملاً للاقتصاد العالمي، بمعنى أن المنطقة أصبحت مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالاقتصاديات العالمية ولا يمكن الاستغناء عنها بأي شكل من الأشكال حتى لو أدى ذلك إلى استخدام القوة وإشعال الحروب. وتعد منطقة الخليج ضمن منطقة الشرق الأوسط إحدى أهم المناطق الحيوية بالنسبة لمصالح الدول الكبرى عموما والولايات المتحدة وروسيا على وجه الخصوص، ليس بسبب موقعها الجغرافي فحسب، وإنما لأهميتها النفطية، إذ تتمتع دول الخليج باحتياطيات نفطية وغازية ضخمة، سهلة الاكتشاف ومنخفضة التكاليف مقارنة بأي منطقة أخرى في العالم،

وتعد السعودية أكبر منتج ومصدر للنفط في العالم، إذ يبلغ احتياطها نحو (264.3) مليار برميل وهو ما يشكل نحو (25%) من الاحتياطي العالمي، أما العراق فيحتل المرتبة الثانية من حيث الاحتياطي النفطي في الخليج نحو (112.5) مليار برميل، ثم إيران باحتياطي نفطي يقدر بنحو (98.7) مليار برميل. إلى جانب ذلك تزخر المنطقة بالغاز الطبيعي الذي يصل إلى نحو (30%) من الاحتياطي العالمي من الغاز، وبحسب وكالة الطاقة الدولية من المتوقع أن يزيد الطلب على الغاز الطبيعي في منطقة الشرق الأوسط بأكثر من (70%) بين عامي (2017) و(2035) في حين أنه من المتوقع أن يزيد الإنتاج بنفس النسبة[13].

(13) سليم كاطع علي، «التواجد الامريكي في الخليج العربي: الدوافع الرئيسية»، مجلة الدراسات الدولية، العدد(45)، جامعة بغداد، بغداد، 2010، ص136ـ137.

تركيا تقدم نفسها على أنها العب أساسي في مسار خط أنابيب نابوكو، وفقاً لميزة موقعها بجوار نحو 19% من الاحتياطيات المعروفة في العالم من النفط والغاز في الشرق الأوسط، وفي الوقت نفسه تقع بجوار واحدة من أكبر المناطق المستهلكة للطاقة في العالم وهي أوروبا. من خلال استراتيجية الطاقة في تركيا فهي تسعى إلى تحقيق التوازن بين الحاجة إلى تأمين الإمدادات من روسيا مع طموحها في أن تصبح جسر الطاقة الحيوي إلى أوربا الغربية، كما أنها تسعى إلى التقليل من اعتمادها الشديد على الغاز الطبيعي والنفط عبر التنويع. وسعت روسيا جاهدة لتقويض هذا المشروع الذي تسعى من خلاله الدول الأوروبية إلى نقل الغاز الطبيعي إليها من دول آسيا الوسطى دون المرور بروسيا، وهو الأمر الذي رأت فيه روسيا تهديدا لمكانتها في توريد الغاز. وذلك من خلال عرض شراء جميع صادرات أذربيجان من الغاز الطبيعي منذ 2009، إضافة إلى اقتراحها بناء خط أنابيب يمتد من أراضيها إلى الدول الأوروبية أطلق عليه اسم «التيار الجنوبي». فإن هذا الخط يمر عبر البحر الأسود إلى بلغاريا ثم إلى صربيا ومنه إلى باقي الدول الأوروبية مستبعداً تركيا على عكس خط نابوكو، لكن تركيا بدورها تحصل على وارداتها من النفط من روسيا عبر خط أنابيب آخر يسمى بالسيل الأزرق. كما أعلن بوتين عن إلغاء مشروع السيل الجنوبي الهادف لنقل الغاز إلى عدة دول أوروبية مثل: بلغاريا والنمسا وصربيا والمجر وسلوفينيا عبر البحر الأسود بسبب الموقف الأوروبي بفرض عقوبات على روسيا، وكان المقترح البديل هو الاعتماد على خط السيل الأزرق الموجود وبناء خط السيل الأزرق بنفس طاقة المشروع الملغى عبر البحر الأسود إلى سامسون التركية ثم برياً إلى أنقرة، ومن هناك يتجمع عند الحدود التركية اليونانية، وتتحول أنقرة بذلك إلى بوابة شرقية لصادرات الغاز الروسي إلى أوروبا وهو ما يعزز موقف تركيا التي هي في حل من قوانين الاتحاد الأوروبي، كما يتحدث بعض الخبراء عن

إمكانية إنشاء مصنع مشترك في تركيا على ساحل المتوسط لتصدير الغاز المسال لكافة دول أوروبا[14].

عندما بدأت روسيا تدخلها العسكري في سوريا، كانت الاعتبارات السياسية محفزها الأساسي أكثر منها تلك الاقتصادية. لكن الآن، في وقت تميل فيه كفة الانتصار أكثر فأكثر إلى الرئيس بشار الأسد، وجدت روسيا فرصةً جديدة لترسيخ موطئ قدمها في المنطقة، تتطلع شركات الطاقة الروسية إلى تجديد استثماراتها في قطاع الطاقة السوري وتوسيعها. لكنها لا تسعى إلى التنقيب عن احتياطيات النفط السورية المحدودة واستخراجها، فهي تختزن كميات هائلة، بل تحاول الاضطلاع بدور فعال في إعادة إعمار البنية التحتية للنفط والغاز في سوريا وتشغيلها. ومن خلال هذه الجهود الحثيثة، تأمل شركات الطاقة الروسية التحكم بجزء كبير من خطوط الأنابيب ومنشآت التسييل والمصافي والموانئ، وبالتالي الاستفادة من موقع سوريا كنقطة عبور لنفط وغاز المنطقة المتجهين نحو أوروبا. وبذلك، لن تنجح روسيا في توسيع نطاق هيمنتها فحسب شرق البحر المتوسط، وهو حلم يراودها منذ حروب القوقاز في القرن التاسع عشر، بل ستتمكن من تشديد قبضتها على إمدادات الغاز الأوروبية[15].

فأن الاستراتيجية الروسية في مجال الطاقة تكون بالإمساك تلافيف الغاز المصدر إلى أوربا واحتكاره، وكبح جماح الولايات المتحدة في تهميش دورها كمجهز رئيس للطاقة للقارة الأوروبية، لا سيّما أن الاقتصاد الأوروبي سيظل معتمداً لعقود على الغاز بديلاً من النفط أو بالتوازي معه، وعلى اعتبار أن القسمة الدولية لا تحتمل المنافسة كثيراً في قطاعات النفط والغاز **الاستكشاف- الانتاج- التجميع- التسويق**، لذلك عملت موسكو على السعي إلى ما يشبه احتكار الغاز في مناطق إنتاجه أو نقله أو تسويقه في الدول المحيطة بها، والتفاهم مع الدول الأخرى من مثل إيران وتركمنستان وقطر وأوزبكستان والجزائر على أنشاء **احتكار قلة تواطؤي** شبيه بمنظمة أوبك، يجعله يتحكم بما نسبته 47% من أجمالي الاحتياطي العالمي للغاز الطبيعي، وتتمتع به بدور **المنتج الأكبر أو القيادة السعرية**، الذي من شأنه التأثير بالقرارات على مستوى الانتاج والتسعير[16].

وتشير التنبؤات حول الطلب الأوربي للغاز الروسي، في ظل تراجع أنتاج الغاز الأوربي واستمرار زيادة الطلب عليه، إلى حاجتها لما يقارب 165-185 مليار م^3 سنوياً ما بين عامي2035-2025، إذ يشير بوتين في تصريحه في اجتماع قمة منتدى مصدري الغاز، إن أنتاج روسيا من الغاز الطبيعي بلغ عام 2014 بحدود 578 مليار م^3،

(14) نجاة مدوخ، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط في ظل التحولات الراهنة (دراسة حالة سوريا 2014/2010)، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة محمد خيضر – بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2015، ص 104ـ105.

(15) Nikita Sogoloff, Russia is Energy Goals in Syria, The Washington Institute for Near East Policy, August 30, 2017, https://www.washingtoninstitute.org/fikraforum/view/russias_energy_goals_in_syria.

(16) عبد علي كاظم، المزاحمة في قلب الأرض: المزاحمة الروسية للولايات المتحدة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص

وتحت وقع اتجاهات زيادة الطلب العالمي نتيجة ارتفاع مستويات استهلاك الغاز الطبيعي والتي تقدر بنسبة32%، فإن الاستراتيجية الروسية الوطنية للطاقة وضعت هدف أيصال أنتاج الغاز الطبيعي إلى 885 مليار م^3 عام 2035، منها 128 مليار م^3، ستتوجه إلى آسيا الصين والهند[17].

(17) مايكل كلير، دم ونفط: امريكا واستراتيجيات الطاقة إلى اين؟، ترجمة: احمد رمو، دار الساقي، بيروت، ت: بلا، ص

لذلك نلحظ التأثير الأميركي على بعض الدول الأوروبية وتركيا وقطر، لأنشاء شبكة أنابيب بديلة عن الغاز الروسي المتوجه إلى أوربا، أو من المتوقع انشاءها مستقبلاً، لما لهذا من تأثير على مستقبل الهيمنة الأميركية على القرار الأوربي، وإضعاف التأثير الروسي على أوربا من خلال الغاز الطبيعي بخاصة والطاقة بشكل عام، من خلال إعاقة المشاريع الروسية بهذا الجانب. لهذا ترى الولايات المتحدة الأمريكية ان أوروبا هي مجال حيوي لها، وبالمقابل تتبع روسيا استراتيجية ذات ابعاد مختلفة لدعم القدرة التنافسية لها في سوق الطاقة الأوروبية، واحكام قبضتها على شبكات نقل الطاقة وتوزيعها، وهذا الامر اقلق الأوربيين اولاً والامريكيين ثانياً مما شجع على البحث عن بديل يقوض الطموحات الطاقوية الروسية وتحرر الاوربيين من البقاء تحت النفوذ الروسي فيما يتعلق بأمن الطاقة. ونظراً لأن موارد الطاقة من نفط وغاز ليست مجرد سلع تجارية، ولكن موارد استراتيجية وجيوسياسية، فقد اثار ذلك مخاوف ليس فقط الاتحاد الاوربي، لكن بدرجة أكبر الولايات المتحدة الأمريكية من استخدام النفط والغاز سلاحا استراتيجيا من جانب روسيا الاتحادية. لذلك اتجهت الولايات المتحدة الأمريكية إلى البلدان التي كانت ضمن منظومة الاتحاد السوفيتي السابق في اسيا الوسطى والقوقاز، لمنع التقارب الروسي الاوربي من ان يصبح نوع من الشراكة الاقتصادية وهذا ما يؤثر سلباً على التطلعات الأمريكية في سيادة العالم.

ورأت الولايات المتحدة الأمريكية ان التفرد الروسي في توريد الطاقة إلى الاتحاد الاوربي يخلق نفوذاً سياسياً واقتصادياً، وهذا ما ينعكس على المكانة الدولية لروسيا التي تسعى إلى اعادة نفوذها السابق الذي يعارض التفرد الامريكي في السيادة على العالم. لذا فإن الاتجاه صوب بلدان اسيا الوسطى والقوقاز، دفع الأوربيين إلى الدخول في تفاهمات جديدة مع هذه البلدان من اجل توريد الطاقة بعيداً عن الاراضي الروسية. وعلى الرغم من التفرد الامريكي في ادارة المنظومة الدولية، لا سيما ما يتعلق بشؤون الطاقة واقامة التحالفات الاستراتيجية لتقويض الدور الروسي في الهيمنة على القارة الأوروبية في مجال الطاقة الذي افرز تأثيراً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً. تبقى روسيا المتحكم الرئيس في ورادات الاتحاد الاوربي على الرغم

من العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها فإنها كرست جهداً كبيراً لتحقيق تطلعاتها العسكرية في الوصول إلى المياه الدافئة لا سيما في الشرق الأوسط.

استثمرت الولايات المتحدة فرصة انشغال روسيا بترتيب أوضاعها لتنسج علاقات مع بعض من دول أسيا الوسطى بحسب الأهمية التي تتمتع بها كل دولة، وخصت الدول التي تحتضن قدرات من النفط والغاز، وتشجيعها على الدخول بشراكات اقتصادية مع الدول الأوروبية وتركيا، ولعل عين الولايات المتحدة على الغاز والنفط، كجزء من أسلوب الخنق والتطويق الذي تمارسه حيال روسيا، لهذا جهدت كثيراً في التفكير في تجميع الغاز عبر انابيب، ومن مصادر غير روسية لإنعاش أمن الطاقة الأوروبية، وفاتحة المجال واسعاً إزاء شركاتها النفطية، لهذا جلبت بعض من الدول الأوروبية بجانب تركيا ودول آسيا الوسطى من مثل تركمنستان وأذربيجان وأوزبكستان، إلى طاولة التعاون والاتفاق تحت ضغط المصالح، مستغلة الولايات المتحدة حاجة هذه الدول إلى المصادر المالية لتعزيز أوضاع اقتصاداتها التي تسعى لتعزيز نمو اقتصاداتها عن طريق توفير مصادر تمويل جديدة. تسعى الولايات المتحدة وبإسناد من الحلفاء سواء الأوربيين أم في الاقليم الأوراسي أو في أقاليم أخرى، التعاون في أكثر من مكان لتوفير أمدادات من الغاز، وبأي كميات بحيث يمكن تخفيض الاعتمادية الأوروبية، ولهذا نلحظ العمل على أكثر من مشروع للغاز الطبيعي وفي مناطق مختلفة، من آسيا الوسطى مروراً بالمشرق العربي وغاز شمال أفريقيا.

بيد إن الاهتمام الأميركي بالغاز الإيراني لم يغب عن بالها، لا سيّما وإن المكتشف منه يشكل ثاني أكبر احتياطي في العالم، والـذي يمكن مع الغاز القطري والتركمنستاني أن يتجاوز القدرات الروسية بكثير، وهو يشكل حزام زاغروس من حقول الغاز الممتدة من الخليج من جنوب إيران حقل القبة شمال قطر-أو حقل بارس بالنسبة لإيران، وهذا يعد وفق التقديرات أكبر حقل للغاز في العالم، وهذا الحزام يحتضن من الغاز المكتشف ما يقارب 212 تريليون قدم مكعب، لذلك تحاول الولايات المتحدة إن يحدث تنافس ما بين روسيا وإيران، على الأقل في مجال تصدير الغاز، من الممكن أن يشكل فرصة داعمة لإجبار روسيا على الانكفاء نحو الشرق، من خلال تأمين الغاز الطبيعي لأوربا من مصادر غير روسية. ويمكن للولايات المتحدة أن تعطي ضمانات في تأمين مرور هذه الأنابيب من خلال حلفائها في المنطقة، لهذا سعت بكل ما أوتيت من قوة لتغيير نظام الحكم السوري، والمجيء بنظام يتعاون معها في منع مرور أي أنابيب لا تتفق مع استراتيجية الخنق

التي تمارس ضد روسيا، لا سيّما فرص مد أنبوب غاز روسي-إيراني- عراقي إلى أوربا عبر سوريا. ولا شك تحاول الولايات المتحدة الأمريكية مواجهة تحكم روسيا في أمن الطاقة عن طريق الوسائل التالية[18]:

1 - اقامة شراكة بين اذربيجان وجورجيا وتركيا الدفع مشروع خط انابيب الغاز باكو – تبليسي – ارضروم الذي سيمتد بموازاة خط النفط باكو-تبليسي – جيهان. وتهدف مثل هذه المشاريع إلى سحب الغاز من بحر قزوين والحقول الغربية لأسيا الوسطى وضخها إلى تركيا لوقف السيطرة الروسية للاستفادة من بيع كميات متزايدة للسوق التركية عبر خط انابيب السيل الازرق تحت مياه الجزء الشرقي من البحر الاسود الذي بدأ تشغيله عام 2003.

2 - جعل تركيا بديل لروسيا في أمن الطاقة العالمي من خلال عقد تحالفات مع الدول المنتجة للغاز والمتمثلة في اذربيجان الحليف الاستراتيجي لأنقرة في القوقاز من ناحية، والدول المستهلكة للغاز والمتمثلة في دول جنوب أوروبا ايطاليا واليونان بالدرجة الاولى من ناحية ثانية، والدور الذي تسعى تركيا إلى لعبه هو تطويق روسيا من خلال تمرير النفط والغاز الاذري عبر اراضيها إلى أوروبا عبر خطي باكو - تبليسي - جيهان لنقل النفط، وخط انابيب نابوكو للغاز.

(18) مايكل كلير، ما بعد الصلبة والناعمة: قوة الطاقة اداة جديدة للسياسة الخارجية، مجلة السياسة الدولية،

الخاتمــة

فان الصراع على الطاقة هو السبب الابرز لما يشهده العالم اليوم من نزاعات وحروب، وبسبب اكتشاف كميات كبيرة من النفط والغاز في اوراسيا، حاولت الولايات المتحدة الأمريكية التمركز في افغانستان واذربيجان وجورجيا، وتحاول التمركز الان في اوكرانيا وتحديد في جزيرة القرم من مصادر الطاقة العالمية. كما ان روسيا هي المصدر الرئيس للغاز الطبيعي إلى أوروبا من خلال شبكات الانابيب، اذ تؤمن 30% من الغاز الذي تحتاجه أوروبا إلى تطوير مصادر الطاقة والبحث عنها في روسيا وغيرها، اذ تكافح روسيا للحصول على موافقة دول بحر قزوين لتنفيذ مشاريع امداداتها النفطية والتي تضمن دور مرافئها ف تصدير الطاقة للدول الأوروبية المجاورة كأوكرانيا وبلغاريا وغيرها.

فضلا عن ان اوكرانيا تعد حاجز الحد الفاصل بين روسيا الاتحادية وبين أوروبا، وان أي تغير في اوكرانيا يعن انها قد خرجت من النفوذ الروسي إلى النفوذ الامريكي، وبالتالي فهي محاولة تحجيم روسيا وعزلها والاخطر من ذلك تطويقها. خاصة

ان مشروع الدرع الصاروخي الذي تنوي الولايات المتحدة اقامته هو في حقيقته لتطويق روسيا والصين بالدرجة الاولى.

وهكذا فرضت الجغرافيا توزيعاً للغاز الطبيعي كله يقع خارج الدول الأوروبية والولايات المتحدة، وبات خزين الغاز الطبيعي ممتداً من سيبيريا إلى البحر المتوسط، وهو (قوس الطاقة النظيفة)، ومن الطبيعي إن توزع الولايات المتحدة جل اهتمامها الاستراتيجي لضبط الاوضاع في هذه المناطق (عدا روسيا وإيران)، ولذلك نلحظ سعياً حثيثاً لأميركا للتواجد في المناطق الرخوة القريبة من روسيا، بغرض محاصرتها وكبح جماح الصعود الروسي، بغية عدم ظهور بديل للاتحاد السوفيتي وبما يضر بمصالح الولايات المتحدة وحلفائها، عن طريق تغيير النظم فيها والآتيان بحكومات طيعة تتماهى مع المشاريع الأميركية.

فضاءات المصالح الاقتصادية الصينية في افريقيا

هبة علي حسين*
باحثة من العراق

* باحثة ـ مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

المقدمة

تعمل الصين بهدف تعزيز مكانتها وقوتها الدولية، فهي تملك ثاني اكبر اقتصاد عالمي بعد اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية، لذلك أسهم الارتقاء الاقتصادي الصيني في دفعها للتوجه خارج حدودها الوطنية لأجل البحث عن المواد الخام من المعادن، لاسيما مصادر الطاقة لهذا نجد ان أنظارها اتجهت إلى القارة الافريقية، اذ ان العلاقات الصينية – الافريقية تقدمت بشكل سريع في القرن الحادي والعشرين، وتعُد من العلاقات المتميزة فهي تشمل كل اوجه التعاون المختلفه في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة..، فكانت الادوات الاقتصادية الاكثر تأثيراً والتي تمثلت بالمساعدات والمعونات والعلاقات التجارية والاستثمار، وهذا مايسمى بالقوة الناعمة.

وأقامت الصين علاقاتها مع الدول الأفريقية على أساس العلاقات القديمة، ما يعطي البلدان الأفريقية أولوية جديدة، وجرى التعاون مع بلدان الجنوب، من خلال الزيارات الرسمية الصينية التي تهدف إلى عدم التدخل في الشؤون الداخلية لهذه البلدان الأفريقية، وأسهمت الصين بشكل كبير في تنمية الموارد البشرية في القارة الأفريقية، فالهدف من الوجود الصيني في افريقيا هو تعميق التعاون الاقتصادي، والسيطرة على موارد الطاقة والمعادن وفتح الاسواق الافريقية امام السلع الصينية والاستثمار في المنطقة.

المحور الاول : المميزات الدافعة للتواجد الصيني في افريقيا

بدأت القارة الافريقية تأخذ بُعدًا استراتيجيًّا بالغ الأهمية على المستوى الدولي

مؤخرًا بعدما عانت من التهميش لفترة زمنية طويلة؛ وذلك لمعاناتها من الحقبة الاستعمارية، ويرجع هذا الاهتمام الخارجي لما تحتويه القارة الافريقية من كنوز في باطنها وفوق أراضيها؛ حيث إن معظم الموارد الطبيعية داخل هذه القارة لم تُستخدم بُعد،وكذلك تعتبر القارة الإفريقية ثاني أكبر قارات العالم مساحة بعد قارة آسيا، ومن هنا سوف نتطرق إلى أهم مميزات القارة الإفريقية

1- الموقع الجغرافي

تشكل قارة إفريقيا وموقعها الجغرافي الاستراتيجي الواقع على طرق التجارة العالمية الذي يمتد من رأس مضيق باب المندب إلى الساحل الإفريقي دافعًا رئيسيًّا للصين، كونها جزءًا من خزان العالم الاستراتيجي من الموارد الطبيعية والثروات المعدنية الشيء الذي جعل من علاقة الصين بإفريقيا تعتبر شكلاً جديدًا من أشكال الاستعمار استغلت فيه الصين موارد إفريقيا من المعادن والطاقة لصالح دفع نموها الاقتصادي. وبينما يراه الغرب استعمارًا، تراه الصين علاقة فوز متبادل لكلا الطرفين. ففي حين تنال الصين ما تحتاجه من المعادن وموارد الطاقة، تكسب إفريقيا مليارات الدولارات في شكل قروض ومشاريع تنموية وبنية تحتية واستثمارات تدفع بها نحو تحقيق نموها[1].

أهمية قارة افريقيا ليست وليدة اليوم، فقد كانت ومنذ العصور القديمة محط أنظار القوى والإمبراطوريات المهيمنة، لأهميتها الإستراتيجية وإطلالها على طرق التجارة الدولية البرية والبحرية، ومنذ القرن الـ 15 ازداد التنافس الغربي على النفوذ بهذه المنطقة، بل وتحول لصراع في حالات عديدة. وبالنظر للأهمية الإستراتيجية التي تشكلها هذه المنطقة الحساسة فقد أصبحت نقطة جذب وتركيز واهتمام من لدن أطراف دولية وإقليمية عديدة تتصارع على مواطن الثروة والنفوذ ومراكز القوة والحضور. وزاد من أهميتها الإستراتيجية كونها تمثل منطقة اتصال مع شبه الجزيرة العربية الغنية بالنفط، فالموانئ وحاملات النفط والغاز والاتجار بالبضائع والأسلحة وعبور الأشخاص عوامل جعلت منها نقطة جذب دولية. [2]

تعتبر القارة الإفريقية ثاني أكبر قارات العالم من حيث المساحة، وكذلك ثاني أكبر قارة على مستوى العالم من عدد السكان، وتتمثل الفئة العمرية المسيطرة للسكان الأفارقة بأنها من فئة الشباب؛ حيث يبلغون من العمر ما يتراوح بين 19 عامًا أو أقل، وكذلك تغطِّي حوالي 6% من سطح الأرض، وكذلك تطل القارة الإفريقية شمالاً على البحر المتوسط وغربًا على المحيط الأطلنطي، وكذلك تطل القارة على

(1) وصال الورفيلي، تعاظم الدور الصيني في إفريقيا: الدوافع والتحديات، مركز الدراسات الإستراتيجية والديبلوماسية, www. csds_center. com/article

(2) القرن الأفريقي.. أهمية متعاظمة وصراعات مستمرة، https: //www. aljazeera. net/encyclopedia/citie_sandregions/2018/2/23

المحيط الهندي في الجزء الجنوب الشرقي، وتضم قناة السويس والبحر الأحمر؛ كما أنها تضم جزيرة مدغشقر، بالإضافة إلى أنها تحتوي على مضيق جبل طارق، ومضيق باب المندب، وبذلك تتوسط القارة الإفريقية قارات العالم أجمع، وتمتلك ما يؤهِّلها لتكون مركزًا عالميًّا للتجارة؛ لما لها من قدرة عالية على التواصل مع العالم الخارجي.(3)

كما تبرز القيمة الجيوسياسية لمنطقة افريقيا من خلال اشرافه على البحر الاحمر وبحر العرب والمحيط الهندي الامر الذي جعل منه تأمين الممرات المائية في تلك المنطقة امر حيوي يحمي حركة التجارة العالمية، كما تعتبر المساحة البرية نقطة الانطلاق من المياة الدافئة وصولا إلى قلب افريقيا هذا مايفسر تاريخ الصراعات الاستعمارية المحتدمة حول المنطقة منذ قرون طويلة بهدف السيطرة عليها مما جعل منطقة القارة الافريقية منذ القدم وحتى اليوم تحت انظار المتنافسين.(4)

2- البترول والغاز الطبيعي

تحتوي القارة الإفريقية على نسبة كبيرة من احتياطي النفط العالمي، والذي تبلغ نسبته حوالي 12%، كما أنها تحتوي على جزء مهم من احتياطي الغاز الطبيعي العالمي والذي تبلغ نسبته حوالي 10%، ومن المتوقع تزايد هذه النسبة مستقبلاً نظرًا للكميات الضخمة التي تمَّ اكتشافها في أنحاء متعددة من القارة، وتتنافس الآن أهم الشركات على استخراجها بأحدث الطرق التكنولوجية الحديثة. ويتميز النفط الإفريقي بالعديد من المميزات، منها أنه من أجود أنواع النفط على مستوى العالم، بالإضافة إلى قرب النفط الإفريقي من أسواق التجارة العالمية، بالإضافة إلى أن الدول الإفريقية المنتجة للبترول باستثناء ليبيا والجزائر ونيجيريا ليست أعضاء في منظمة الأوبك العالمية لإنتاج البترول؛ مما يتيح لها القدرة على الإنتاج بحُرِّية للأسواق العالمية، بالإضافة إلى قلة استهلاك الدول الإفريقية للنفط، مما يؤدِّي إلى وجود فائض لديها للتصدير، وكذلك وجود النفط الخاص بها بمنأى عن الصراعات السياسية. (5)

3- الزراعة والثروة السمكية

تُعتبر الزراعة من أهم مصادر الدخل في القارة الافريقية؛ وذلك لأن حوالي 70% من السكان يعتمدون بشكل أساسي على الزراعة سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، وتقدر نسبة الأراضي الصالحة للزراعة بحوالي 35% من مساحة

(3) رانيا نادي محمد حسين، التوغُّل الصينيّ في القارة السمراء.. (المجالات ـ الدوافع – سيناريوهات مستقبلية)، قراءات افريقية، https: //www. qiraatafrican. com/home/new

(4) شريف عبد الحكيم، تحديات السياسة الخارجية الصينية تجاة منطقة القرن الافريقي – بعد الحرب الباردهـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلومالسياسية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2017، ص61.

(5) رانيا نادي محمد حسين، مصدر سبق ذكرة.

القارة، ويستغل منها حوالي 7% فقط، وتتميز القارة السمراء باتساع الرقعة الجغرافية الخاصة بها، بالإضافة إلى تنوُّع الأقاليم المناخية، وارتفاع معدلات سقوط الأمطار، وكثرة الأنهار، ولذلك تلائم القارة السمراء لزراعة كافة المحاصيل، وبذلك تساهم بحوالي من20%-60% من إجمالي الدخل القومي لكل دولة من دولها، وتُعتبر القارة الإفريقية أكبر مُصَدِّر للبن والقطن والكاكاو، كما تتميز بوجود الكثير من الغابات التي ينتج من خلالها كمية كبيرة من الأخشاب.

وتعتبر الزراعة أحد أهم الأنشطة الاقتصادية في القارة السمراء، لتنوع المناخ وكثرة الأنهار، حيث يعمل ثلثا سكانها بالزراعة تقريباً، التي تساهم بحوالي 20-60 في المئة من إجمالي الناتج القومي لكل دولة من دولها، إضافة إلى كونها أحد أكبر مصادر المنتجات الزراعية مثل البن والقطن والكاكاو، كما تتميز أفريقيا بوجود الكثير من الغابات التي ينتج منها الأخشاب بكميات كبيرة؛ علاوة على الثروة السمكية، ويساعد قطاعها على توفير الدخول لحوالي 10 ملايين أفريقي يعمل بمهنة صيد الأسماك. فيما تبلغ قيمة الأسماك التي يتم تصديرها 2. 7 مليار دولار أمريكي.[6]

(6) عبد الكريم حمودي، الصين تغزو أفريقيا اقتصادياً، https: //alkhaleejonline.net

اما قطاع الثروة السمكية فهو يساعد على توفير الدخول لحوالي 10 ملايين إفريقي يعمل بمهنة صيد الأسماك، كما تبلغ قيمة الأسماك التي يتم تصديرها حوالي 7.2 مليار دولار أمريكي، فضلاً عن هذه العمالة المباشرة توجد أعداد كبيرة من السكان يعملون في الخدمات الداعمة في القطاع متمثلة في بناء القوارب، وإصلاحها، وسفن المؤن، وتسويق الأسماك والإدارة والبحوث.[7]

(7) رانيا نادي محمد حسين، مصدر سبق ذكره.

المحور الثاني: الاهداف الاقتصادية للتواجد الصيني في افريقيا

ان من أهم أهداف التوجه الصيني نحو القارة الأفريقية هو التزود بالثروات الطبيعية، وخصوصاً الطاقية منها؛ ففي سنة 2013 أصبحت الصين ثاني أكبر دولة مستوردة للنفط في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية، فهي تستورد حالياً قرابة سبعة ملايين برميل نفط يومياً، وبتزايد حاجاتها للنفط بمعدل 30% سنوياً، فإنها من المتوقع أن تفوق الولايات المتحدة في استيراد النفط خلال السنوات القادمة. وتأخذ الصين ما يقارب ثلث حاجاتها من النفط من أفريقيا، ويتوقع أن يزداد اعتمادها على استيراد النفط من القارة في السنوات القادمة، لذلك حلت أنغولا محل السعودية كأكبر مزوِّد للصين بالنفط على المستوى الدولي، حيث تمدها بـ 15% من كل وارداتها النفطية. كما أن للصين أنشطة نفطية في الجزائر، وتشاد، والسودان، وغينيا

الاستوائية، والكونغو، ونيجيريا. فالسودان كانت تصدر نصف إنتاجها من النفط إلى الصين، ويمثل هذا 5 بالمئة من حاجات الصين الكلية.[8]

كما أن الصين عملت على شراء حصص كبيرة في منطقة دلتا النيجر، ففي أوائل عام 2007 أعلنت شركة النفط البحرية الوطنية الصينية شراءها حصة نسبتها 45% من حقل نفط وغاز نيجيريا، واشترت أيضاً ما نسبته 35% من ترخيص للاستكشاف في دلتا النيجر بالإضافة إلى الاستثمارات الصينية في هذا المجال بأنغولا. فالنفط أصبح عنصراً استراتيجياً أساسياً متزايد الأهمية في علاقات بكين الدولية، ويعكس صعود الصين في مجال الطاقة الحجم الهائل لطلبها المتزايد على النفط، ولدبلوماسيتها الاستراتيجية ذات النشاط المتزايد والمصممة لتزويدها بإمدادات الطاقة في المستقبل.[9]

وتسعى الصين إلى تأمين مصادر الامدادات النفطية بشكل مضمون ودائم في افريقيا اذ اصبح نفط القارة الافريقية من اهم اهداف السياسة الخارجية الصينية الجديدة بها ويأتي هذا الاهتمام منذ بداية التسعينات في سياق اتباع الصين سياسة تنويع مصادر التزويد بالنفط.[10]

لذلك فإن الصين تنظر إلى إفريقيا على أنها عنصر مركزي في مشروع استدامة نمو اقتصاد الصين وتطويره على المدى البعيد. وبحسب بنك الصين، فإن إفريقيا مصدر مهم لتزويد الصين بحاجتها المتزايدة للمادة الخام، إذ إن إفريقيا لديها واحد من أضخم احتياطيات المواد الخام، كما أنها المصدر الرئيسي للموارد الطبيعية الخام. أضف إلى ذلك، الفرص الكبيرة للتجارة والاستثمارات الصينية، وذلك لوجود الكثافة السكانية المتزايدة في إفريقيا وقوتها الشرائية، والحاجة الماسة لوجود بنية تحتية اجتماعية واقتصادية. وازدادت وتيرة التجارة بين الصين وإفريقيا سرعةً خلال العقد المنصرم؛ إذ قفز التبادل التجاري من 10. 6 مليارات في عام 2000 إلى 150 مليارًا في العام 2010، ثم إلى 166. 3 مليارًا في عام 2011. أما بالنسبة لعام 2012 فقد وصل حجم التبادل التجاري 198. 49 مليارًا (زيادة بمعدل 3.19 % على 2011). وقد كان 85. 319 مليارًا من هذه المبالغ عبارة عن صادرات صينية لإفريقيا, وجزء آخر هو 113. 171مليارات، واردات من إفريقيا للصين.[11]

كما عرفت العلاقات التجارية الصينية – الأفريقية تطوراً كبيراً، إذ تضاعفت أكثر من عشر مرات منذ بداية القرن الحادي والعشرين؛ فبعد أن انتزعت الصين نصف الأسواق الأفريقية منذ عام 2000، غدت الشريك التجاري الثاني للقارة سنة 2010 بعد الولايات

(8) حسن الحسناوي، استراتيجية الوجود الصيني في أفريقيا: الديناميات.. والانعكاسات، مجلة المستقبل العربي، العدد 466، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، كانون الاول، 2017.

(9) المصدرنفسة

(10) شريف عبد الحكيم، مصدر سبق ذكره، ص50.

(11) العلاقات الصينية الإفريقية.. شراكة أم استغلال: وجهة نظر إفريقية، http://studies.aljazeera.net/ ar/ issues /2014 /04/ 201441917164379610.html

المتحدة الأمريكية وقبل فرنسا. وقد وصل حجم التبادل التجاري بين الطرفين سنة 2012 إلى ما يقارب 198,49 مليار دولار، أي بنسبة نمو سنوية 19,3%. شكلت الصادرات الصينية نحو أفريقيا ما قيمته 85,31 مليار دولار، أي بنسبة نمو 16,7%. أما الواردات فقد بلغت 113,71 مليار دولار، أي بنسبة نمو 21,4%. وحسب تقرير التنمية البشرية لسنة 2013 الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تحت عنوان نهضة الجنوب: تقدم بشري في عالم متغير، فقد ارتفعت خلال الفترة 1992 – 2011 قيمة مبادلات الصين التجارية مع منطقة جنوب الصحراء الأفريقية من مليار دولار إلى أكثر من 140 ملياراً. أما في سنة 2013 فأصبحت الصين تمثل الشريك التجاري الأول لأفريقيا؛ إذ تشير الإحصاءات إلى أن حجم التبادل التجاري بين الطرفين وصل إلى مستوى 200 مليار دولار في سنة 2013 – 2014 ليتجاوز بذلك حجم التبادل التجاري بين الولايات المتحدة والقارة الأفريقية بنحو الضعفين. ولتشجيع الصادرات الأفريقية نحو الصين، ألغت هذه الأخيرة ابتداءً من سنة 2012 الرسوم الجمركية لما يقرب من 60% من صادرات 30 دولة أفريقية لها علاقات دبلوماسية مستقرة معه.[12]

(12) حسن الحسناوي، مصدر سبق ذكرة.

كما أن منطقة إفريقيا وموقعها الجغرافي الاستراتيجي الواقع على طرق التجارة العالمية الذي يمتد من رأس مضيق باب المندب إلى الساحل الإفريقي يشكّل دافعًا رئيسيًّا للصين، كونها جزءًا من خزان العالم الاستراتيجي من الموارد الطبيعية والثروات المعدنية.

ومن هذا المنطلق، تنظر الصين إلى إفريقيا نظرة خاصة، بما يحافظ على نموها الاقتصادي وصعودها الجيو/سياسي على المستويين خاصة في ظل مبادرتها «الحزام مع الطريق» كرؤية جديدة تطرحها الصين لدورها العالمي، إلا أن وجودها في شرق إفريقيا يثير الكثير من الاستفهامات حول توجهاتها المستقبلية.[13]

(13) كمال الدين شيخ محمد عرب، أبعاد الاهتمام الصيني بشرق إفريقيا: الفرص والعقبات، https: //www. qiraatafrican. com/home/new

تعتمد الصين في التغلغل في أفريقيا على التغيير الناعم طبقا لإستراتيجية صاغها المفكر الهندي (برهما تشيلاني) والتي تقوم على أن التحركات الصينية خفيفة وبطيئة ولا تشكل إستفزازاً ولا شك أن هذة السياسة تدفع الصين لتحقيق نفوذ إقتصادي وعسكري عالمي أكبر من نفوذها الحالي وقد إكتست الصين بالثوب الأفريقي لتقديم نفسها كنموذج فريد مقرب من النمط الافريقي حيث تعتمد على العمالة البشرية والإستناد إلى تشجيع شركائها التجاريين الافريقيين لتطوير إقتصادهم والاستثمار في البنى التحتية والمؤسسات الأجتماعية.[14]

(14) وصال الورفيلي، تعاظم الدور الصيني في إفريقيا: الدوافع والتحديات، مركز الدراسات الإستراتيجية والديبلوماسية، // :http www. csds_center. com/article

تضاعف حجم التبادل التجاري بين الصين وإفريقيا في السنوات الأخيرة، حسب

إحصائيات البنك الدولي في عام 2014، إلى حوالي 222 مليار دولار، ومن المنتظر أن يناهز الـ400 مليار دولار بحلول عام 2020، لكن ومنذ 2012، قدَّمت الصين قرابة 30 مليار دولار كقروض تفضيلية لعدد من البلدان الإفريقية، لدعم نمو المشاريع ذات الأولوية فيها، شملت مجالات متعدِّدة أبرزها البنى التحتية والزراعة، وبناء العمارات، ومشروعات للطاقة وغيرها. كما أنشأت بين عامي 2001 و2009، صندوق التنمية الصيني الإفريقي.(15)

(15) وصال الورفيلي، مصدر سبق ذكره.

المحور الثالث: الفرص والتحديات التي تواجه المصالح الصينية في افريقيا

تعاظم الحضور الصيني في القارة الإفريقية سيكون له آثار وتداعيات توفِّر فرصًا لكل من الصين وإفريقيا من جهة، وتفرض عقبات من جهة أخرى، وتتمثل الفرص فيما يلي:(16)

(16) هناء السيد حسن عبداللطيف غنيم، تطوُّر العلاقات الاقتصادية بين الصين وإفريقيا. https: //www. qiraatafrican. com/home/new

1 - أن إفريقيا أصبحت سوقًا واعدة للمنتجات والسِّلع الصينية.

2 - المشاريع الكثيرة التي أنجزتها شركات صينية من تشييد الطرق، وبناء السكك الحديدية، والزراعة، إضافة إلى تدريب أعداد هائلة من موظفي دول القارة الإفريقية في مختلف المجالات.

3 - قامت الصين بتدريب أعداد هائلة من أبناء دول القارة الإفريقية في مختلف المجالات؛ حيث أنشأت صندوق تنمية الموارد البشرية الإفريقية الذي يساعد في تدريب 3800 مهني إفريقي سنويًّا.

4 - تخفيض الديون عن بعض الدول الإفريقية؛ حيث إنه خلال الفترة (2010-2012م)، أسقطت الصين 16 مليون يوان مستحقَّة عن كلٍّ من: مالي، وغينيا الاستوائية، والكاميرون، وبنين، وتوغو، وكوت ديفوار، ودول أخرى، مما أدَّى إلى تخفيض كبير في ديون الدول الإفريقية.

5 - فتح أسواق الصين أمام الصادرات الإفريقية.

6 - تحسين مستوى الصحة في إفريقيا؛ حيث اتَّبعت الصين «دبلوماسية الصحة» مع الشركاء الأفارقة؛ وذلك من خلال تدشين شبكة علاقات بين الأطباء الصينيين وملايين الأفارقة العاديين، والتي تُعَدُّ أحد مؤشرات القوة الناعمة الصينية في إفريقيا؛ حيث تُجْرِي الصين تعاونًا منتظمًا مع الدول الإفريقية في حقل الصحة؛ وذلك من خلال الزيارات الصحية، والتدريب الطبي،

إلى جانب ما تقوم به الصين من تزويد العديد من الدول الإفريقية بأجهزة طبية مجانية، والبرامج المشتركة لمعالجة العديد من الأمراض مثل الملاريا وفيروس نقص المناعة الإيدز.

7 - رفع مستوى التعليم بالقارة الإفريقية؛ عن طريق مساعدة الصين في إنشاء المدارس والمعاهد، بل التعاقد أيضًا على إقامة معاهد لتدريس اللغة الصينية، وإبرام اتفاقيات مع 27 جامعة إفريقية.

هذه النقاط وغيرها من شأنها أن تعزِّز الوجود الصيني في المنطقة، وتضمن لها أيضًا مزيدًا من النجاح والثقة داخل دول القارة فيما يتعلق بمستقبل وجودها، لكن في نفس الوقت فإن مسار هذه التجربة يشوبه بعض التحديات؛ **حيث برزت تحديات جديدة تتلخص فيما يلي.**[17]

(17) كمال الدين شيخ محمد عرب، مصدر سبق ذكره.

1 - الانتقادات الكثيرة من الغرب: وتتناول نمو النفوذ الصيني في القارة، ودوره الاستثماري، وأيضًا نشر الثقافة الصينية فيها؛ من خلال افتتاح المعاهد التي تُدرَّس فيها اللغة الصينية، والوجود العسكري الصيني الجديد كما هو في جيبوتي.

2 - عدم الاستقرار الذي ينشأ لبعض دول شرق إفريقيا التي فيها استثمارات كبيرة للصين، ولعل إثيوبيا خير دليل على ذلك؛ فهناك عمليات اختطاف للرعايا والمواطنين الصينيين، ومهاجمة المصالح والمواقع والمنشآت الصينية؛ مما يؤثِّر سلبًا على الاستثمارات الصينية. ومن ذلك ما حدَث في زامبيا عام 2007م من حالات عنف وموت وقعت في منجم نحاس يملكه صينيون في تشامبيسي في زامبيا.

3 - المعارضة الإفريقية للسياسة الصينية في إفريقيا: وتتمثل في معارضة بعض جماعات المصالح لإغراق الأسواق الإفريقية بالبضائع الصينية زهيدة الثمن مما يؤدِّي للإضرار بمصالحهم كما يؤدي لتهديد الصناعات المحلية في هذه الدول, كما يؤدِّي هذا إلى تحوُّل هذه الدول الصينية من الاعتماد على الذات للاعتماد على الخارج.

تواجه الصين العديد من العقبات المتعلقة بالثقافة واللغة والدين؛ حيث يفرض هذا على الصينيين الذين يعملون في إفريقيا، سواء كانوا دبلوماسيين أو أطباء أو رجال أعمال أو تقنيين، أن يتعلموا اللغات السائدة في الدول الإفريقية؛ وذلك لزيادة فاعلية هذه السياسات واندماجها مع الواقع الإفريقي.

المحور الرابع: السيناريوهات المستقبلية لفضاءات المصالح الصينية في افريقيا

من الصعب التنبؤ بمستقبل العلاقات الصينية الإفريقية. فما زال هناك شيآن ظاهران؛ الأول: هو أن العلاقات -وخاصة المكونات الاقتصادية- ما زال أمامها متسع للتطور. وبالمثل فمن المتوقع أن تتطور العلاقات في المدى القصير والمتوسط. الثاني: هو أن العلاقات الصينية الإفريقية لغز يجمع بين الربح والألم، كما يمزج بين توفير الفرص والاستغلال، والنمو والاعتماد على الآخر. وتستمر البلدان الإفريقية في الاستفادة من الحضور الصيني؛ لأنه يؤدي إلى نمو مستدام وتحسين في البنى التحتية الاجتماعية والاقتصادية، وتدفق استثمارات جديدة، ومزيدٍ من العلاقات التجارية الاقتصادية مقابل توجهات أقل تسييسًا.

السيناريو الأول: ازدهار العلاقات الصينية الإفريقية:[18]

(18) رانيا نادي محمد حسين، مصدر سبق ذكرة.

تتميز الصين بأنها تنتهج استراتيجية مسالمة على المستوى الدولي؛ فمن أهدافها الأساسية صيانة السلم والأمن الدوليين، وتعزيز العلاقات الاقتصادية المشتركة، وضمان أمن وحماية الدولة، وكذلك تهدف الصين بشكل أساسي لجعل العالم متعدِّد الأقطاب بدلاً من هيمنة القطب الأوحد على العالم، وتسعى لتحقيق ذلك من خلال عدة خطوات، منها انضمامها إلى العديد من المنظمات الدولية المتمثلة في منظمة الأمم المتحدة، ومنظمة التجارة العالمية، وكذلك انضمامها إلى عدد من المنظمات الإقليمية المتمثلة في مجموعة البريكس ومنظمة شنغهاي.

تسعى الصين كذلك من خلال علاقاتها مع الدول الإفريقية إلى أن تحد من العلاقات الخارجية لدولة تايوان، والتي تعتبرها مقاطعة صينية تسعى لاستردادها، وضمّها للسيادة الصينية، ونظرًا لعلاقات دول القارة السمراء مع الصين عملت على قطع علاقاتها مع دولة تايوان من أجل خدمة مصالح الصين الواحدة، وقد طلبت الصين في مطلع العام الجاري 2018 من دولة «سوزولاند» الإفريقية أن تقطع علاقاتها مع دولة تايوان، ونظرًا لهذه المصالح التي تتلقاها الصين من هذه القارة السمراء، فدائمًا تسعى الصين إلى زيادة العلاقات الودية مع هذه القارة.

وترى الدول الإفريقية أن الصين تمثل الداعم الأفضل لها؛ حيث إنها لا تسعى للتدخل في الشئون الداخلية للدول الإفريقية، كما أنها تحترم ثقافات الدول الأخرى، كما أن الدول الإفريقية في حاجة إلى الدعم والمساعدات المالية التي تقدمها لها

الصين، ومن خلال ما سبق ولأن هناك مصالح متبادلة بين الجانبين تسعى كلٌّ منهم لتوطيد العلاقة بالأخرى، ووفقًا لذلك نرى أن العلاقة بينهما في تطوُّر مستمرٍّ.

هذا السيناريو يعد الأكثر واقعية والأقرب للحدوث ؛وهو مزيدا من التبادل التجاري والتعاون بين البلدين ؛وهو ما تعززه العلاقات الإقتصادية القوية بين البلدين ؛والنظرة الصينية المختلفة لأفريقيا وما يساعد في ذلك التاريخ ناصع البياض للصين في أفريقيا في مقابل الدول الغربية وسجلها الإستعماري؛ هذا السيناريو ينطلق من القيمة الجيواستراتيجية لأثيوبيا في وجهة النظر الصينية في حماية قاعدتها في جيبوتي بحثا عن مزيد من النفوذ في أفريقيا ؛كما أنها تستطيع أن تطل من نافذة أثيوبيا بورقة المياة علي مصر والسودان كورقة تفاوضية حقيقية ونفوذ أكثر واقعية.[19]

(19) ساره ممدوح حسن، الإستراتيجية الصينية في أفريقيا : دراسة حالة أثيوبيا، لمركز الديمقراطي العربي، https: //www. politics_dz. com/community/threads/al_stratigi_alsini_fi_friqia_dras_xhal_thiubia./9117

السيناريو الثاني: بقاء العلاقات التعاونية بين الجانبين كما هي:

في عام 2004 كان هناك حوالي 10 زيارات متبادلة بين كبار المسؤولين الحكوميين بين الصين والبلدان الإفريقية، وقد تمحورت معظم هذه المناقشات حول التعاون الاقتصادي في مجال الطاقة؛ ففي فبراير2004 قام الرئيس الصيني «هوجنتاو» بزيارات إلى الجزائر والجابون ونيجيريا؛ حيث إنهم أكبر البلدان المنتجة للطاقة النفطية في القارة السمراء، وفي يونيو 2004 قام نائب الرئيس الصيني «زينغ كينغ هونغ» بزيارة إلى كل من تونس وتوغو وبنين وجنوب إفريقيا؛ حيث تتوافر لديهم المعادن.

كما أعلن نائب رئيس إدارة الطاقة باللجنة الصينية للتنمية والإصلاح في عام 2005 أنَّ القارة السمراء قارة غنيَّة بالعديد من الموارد الطبيعية، لكنها تفتقد للتطوير والاستغلال الأمثل للموارد، ولكن الصين تمتلك الخبرة والتجربة، وكذلك تمتلك الاقتصاد المتنامي، وكذلك تمتلك للتكنولوجيا المتطورة وكافة التجهيزات التي تدعم بها القارة السمراء، لكنها في حاجة متزايدة للنفط مما يدفعها للتقارب مع هذه القارة السمراء.

كما أن هناك ثناء من بعض الدول الإفريقية على التعاملات الدولية للصين منها رئيس دولة روندا «كاجامي»، والذي صرَّح بأن الصين تأتي بما تحتاجه إفريقيا من استثمارات وأموال للحكومات والشركات على حدٍّ سواء، وصرح كذلك بأن الاستثمارات الغربية لم تُسْهِم في تقدم القارة تمامًا، وأن الشركات الغربية لوَّثَت القارة الإفريقية، ولا تزال تلوث هذه القارة؛ حيث إنها تستخدم الصومال كصندوق نفايات.

ومن خلال الدلائل السابقة ولأن كلاً من الجانبين لديه مصالح مع الطرف الآخر، ولا يرغب في التنازل عنها، فمن خلال ذلك يتوقع الباحث بقاء حالة التعاون الثنائية بين كلا الجانبين كما هي.

السيناريو الثالث: تعقُّد العلاقة بين الصين والقارةالافريقية:[20]

(20) رانيا نادي محمد حسين، مصدر سبق ذكرة

برغم من تعاون الصين مع القارة الافريقية في شتَّى المجالات؛ إلا أن هناك بعض المخاوف التي تساور عقول الأفارقة بأن ذلك من الممكن أن يكون فخًّا للديون، وبذلك تُرغم الدول الإفريقية فيما بعد على التخلي عن سيادتها أو جزء منها للدولة الصينية، وذلك مثل ما حدث مع دولة «سريلانكا»؛ حيث كانت الدولة الصينية خير داعم لها بعد انتهاء الحرب الأهلية بها، وذلك لكي تتمكن من إعادة بناء البنى التحتية الخاصة بها، لكن عانت الدولة فيما بعدُ من تفاقم الديون الخارجية، ولم تستطع تسديدها لذلك اضطرت للتخلي عن جزء من سيادتها، وتخلت عن ميناء «هامبانتوتا».

كما أن القارة الإفريقية تعاني من أكبر نسبة فقر في العالم؛ حيث يعاني47 % من سكانها من الفقر، وتبلغ نسبة الذين يعانون من الجوع وسوء التغذية حوالي30 %، وتصل بها نسبة البطالة إلى حوالي70 %، وتجاوزت ديون القارة السمراء حوالي 400 مليار دولار، ونظرًا لتفاقم المشكلات الاقتصادية تكون قدرة القارة الإفريقية في تضاؤل مستمر على الوفاء بالديون الخاصة بها.

فضلاً عن هناك بعض الآراء الغربية التي تشير أن الصين هي العائق الوحيد لعملية السلام والأمن في المنطقة، خاصة في المناطق الغنية بالنفط، وهذه الحالة متمثلة في دولة دارفور، وكذلك تعمل الصين على دعم الأنظمة الاستبدادية في المنطقة، مثل دولتي زيمبابوي والغابون، وكذلك تعمل الصين على السيطرة على كافة الموارد الطبيعية التي توجد في القارة الإفريقية؛ من خلال منفذ التجارة، بالإضافة إلى أنها مُلوِّث حقيقي للقارة السمراء.

ونظرًا لأن هناك قلقًا إفريقيًّا من العلاقات الصينية الإفريقية، وهناك العديد من المخاوف التي تنال من استقرار الشعب الإفريقي، ويمكن كذلك أن تنال من استقلاله ووفقًا لهذه الآراء يتوقع الباحث تراجع العلاقات الصينية الإفريقية مستقبلاً.

ويمكن القول إن هناك وجهتين للنظر في التغلغل الصينى داخل القارة الأفريقية، الأولى تعتبر الصين شريرة، لأنها تسعى إلى الحصول على الموارد الطبيعية وإلحاق

الضرر بالجهود الهشة التي تبذلها الدول الأفريقية في سبيل تحقيق النمو المستدام، التنمية، وتحسين الحكم، والثانية تعتبر الصين فاضلة، من خلال الإسهامات التى تقوم بها في تأسيس التنمية الاقتصادية على المدى البعيد من خلال مشاريع البنية التحتية، والمتأمل للوضع الراهن، يلاحظ أن هناك ضرورة للتعاون بين الصين وأفريقيا من ناحية الصعود الصيني وأفريقيا في النظام العالمي الجديد في ظل تقلب الاقتصادات السياسية في الدول الأفريقية مع تغير أجندات الدول الغربية، ووجود الصين في أفريقيا يمثل مرحلة جديدة للمشاركة بين الصين وأفريقيا، ونلاحظ تغير استراتيجية الصين التي كانت ترتكز على الفرص الاقتصادية فحسب، ولكن انخراطها مع الدول الأفريقية اتسع على مدى السنوات الماضية ليشمل مجالات عديدة منها التعاون الدبلوماسى، الثقافي، والأمني، حيث تغطي السياسة الخارجية للصين القارة السمراء بأكملها ولا تقتصر على مناطق معينة.[21]

(21) نسرين الصباحي، قراءة في الاستراتيجية الصينية في افريقيا: القوة الناعمة، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية، 2018، https: //www. politics_dz. com

الخاتمــة

تؤدي القوة الاقتصادية دوراً اساسياً في علاقة الصين بالقارة الافريقية فهي تتبع مبادئ ساهمت في تحقيق التوسع الصيني في افريقيا وكذلك تنشيط التجارة بين الصين والدول الافريقية وايضاً توسيع الاستثمار الصيني بالقارة والعمل على تنمية البنية التحتية للقارة الافريقية. كما أن ما تحققه الصين من إنجازات اقتصادية سيترك تأثيرا واضحا في دورها السياسي الخارجي الذي أصبح متحررا من القيود التي كانت تفرضها عليها بيئتها المحلية والدولية، ولا شك في أن الإصلاحات الاقتصادية الداخلية ومحاولاتها التكيف مع مشكلاتها الإقليمية والدولية جاءت لتتوافق مع تطلعات الصين لأن تصبح ذات شأن في السياسة الدولية كما أن دورها لم يعد يستند إلى المتغير الأيديولوجي بقدر ما هو مستند إلى معطيات اقتصادية تدعمها القدرات العسكرية، كما شهد العقد الأخير تحسنًا كبيرًا في مشاركة الصين في أفريقيا، حيث تم تأسيس المنتدى الصيني الأفريقي للتعاون كوسيلة رئيسة لإدارة الحوار والتحديث بين مختلف البلدان الأفريقية والصين. ويُكسب المنتدى العلاقات الأفريقية الصينية بعدًا تكامليًا يقوم على الشراكة وليس الهيمنة، وهو ما يعزز من تحديد الهوية الصينية تجاه أفريقيا بناءً على أسس خاصة. وفي السنوات القادمة، ستعزز الصين من مصالحها في القارة، وفي هذا السياق يُعد المنتدى الصيني الأفريقي للتعاون فرصة جيدة للشراكة الرابحة بين الجانبين، والذي سيعود بالنفع على أفريقيا باعتبار أن الاقتصاد الصيني من أكبر اقتصادات العالم نموًا في العالم.

بريكس والتوظيف الواقعي الليبرالي لمقاومة الهيمنة الأمريكية في النظام الدولي

أ.د. سرمد الجادر*

يونس مؤيد يونس**

باحثان وأكاديميان من العراق

* كلية العلوم السياسية ـ جامعة النهرين

** طالب دكتوراه كلية العلوم السياسية ـ جامعة النهرين

المقدمــة

بعد سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الدولي بتفكك الاتحاد السوفيتي واتسام النظام الدولي بالقطبية الاحادية، واتباعها سياسات واستراتيجيات واقعية وليبرالية متنوعة لإدامة السيطرة على النظام الدولي لتبقى هي المتحكمة فيه، وتكون القوى الاخرى تبعاً لها بما يحقق مصالحها القومية لمنع ظهور منافس لها، وهو المسار الاستراتيجي الذي ترغب في ادائه، لكن نظراً لتنوع القوى الفاعلة في النظام الدولي وعمليات انتشار القوة في القرن الحادي والعشرين نتيجة السيولة الدولية وعدم وجود السيطرة الصلبة التي كانت عبر مدة الحرب الباردة، فضلاً عن انكشاف القوى في النظام الدولي ما جعل التوازن الاستراتيجي يقصد به التعادل النسبي وليس التعادل المطلق، فالقوة الصغيرة قد توازن القوة الكبيرة، ومقاومة القوى المسيطرة في النظام الدولي، وهو ما جعل العديد من القوى الفاعلة الجديدة تتجمع وتتكتل في بريكس.

اهمية البحث: بيان اهمية الدور الذي يؤديه تكتل بريكس في النظام الدولي لاسيما وانه انطلق من منطق جمع بين افتراضات النظرية الواقعية والليبرالية لإقامة التوازن والمؤسسات العابر للإقليمية التي تدعم السلام للاتجاه نحو التعديل الهادئ للنظام الدولي.

اشكالية الدراسة: تتمثل اشكالية الدراسة في حالة الاختلالات التي يتعرض لها النظام الدولي الليبرالي- الرأسمالي المنشئ بعد الحرب العالمية الثانية والمستمر

في السيطرة إلى الوقت الراهن، وعدم قدرته السيطرة على الازمات الاقتصادية التي تحدث فيه وانعكاساته على اداء الاقتصاد العالمي، ليدفع قوى بريكس التي كان اثر الازمة اخف عليها لتعديل النظام الاقتصادي والنقدي الدولي في ضوء الجمع بين فلسفة الناظم الليبرالي وفلسفة قوى بريكس الاقتصادية، ويحاول البحث الاجابة على ذلك عبر الاسئلة الآتية:

- ما الافتراضات الواقعية والليبرالية التي اقامت على اساسها تكتل بريكس؟
- ما القوى الفاعلة في تكتل بريكس وطبيعة نظرتهم للنظام الدولي؟
- كيفية مقاومة تكتل بريكس السيطرة الأمريكية على النظام الدولي؟

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مؤداها ان لكل فعل رد فعل مساوي نسبي له في المقدار وعكسه في الاتجاه، والازمة الاقتصادية لعام 2008 والاختلالات السياسات الأمريكية للسيطرة على النظام الدوليدفع قوى بريكس التعديلية بإقامة الخطوات تلو الخطوات باتجاه اقامة مؤسسات جديدة لتقويم الاداء الاقتصادي العالمي، والسير لإنشاء نظام دولي مغاير للناظم الموجود حالياً بصوة هادئة.

منهج البحث: من اجل الاجابة على التساؤلات التي تبناها البحث تم الاعتماد على المنهج الوصفي – التحليلي لأثبات كيفية مقاومة تكتل بريكس للهيمنة الأمريكية على النظام الدولي.

هيكلية البحث: بناء على تحديد الباحث لأهمية الدراسة والاشكالية والفرضية التي انطلق منها فقد توزعت هيكلية الدراسة إلى ثلاثة محاور فضلاً عن مقدمة وخاتمة تضمنت الاستنتاجات التي تم توصل اليها، فخص المحور الاول بريكس والمقاربة الواقعية –الليبرالية، وتناول المحور الثاني بريكس والقوى الفاعله فيه، وتضمن المحور الثالث مقاومة بريكس الهيمنة الأمريكية

المحور الأول: بريكس والمقاربة الواقعية - الليبرالية

رغم التعريفات المتعددة للمقاربة الواقعية في التفاصيل الا انها تشترك في مقدمات مركزية هي: الانانية، وغياب الحكومة العالمية، والفوضى، والوضع المركزي للدولة، وهو ما يتطلب اولوية القوة والأمن في الحياة السياسية؛ نتيجة دوافع المنافسة والريبة والمجد، ويقود الارتباط بين هذه العناصر إلى حرب الجميع ضد الجميع[1].

(1) جاك دونللي، الواقعية، في مجموعة مؤلفين، نظريات العلاقات الدولية، ترجمة محمد صفار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص52.

ويذهب هانز مورغنثاو ان الهدف من ذلك الوصول إلى المكانة الدولية التي ترغب فيها الدولة للتأثير على الدول الأخرى بالقوة التي تملكها بصورة فعلية أو بالقوة التي تعتقد أو تريد من الآخرين ان يعتقدوا انها تملكها، ويؤدي التطلع إلى المكانة والسلطان في النظام الدولي الحفاظ على الوضع القائم أو الاطاحة به بحكم الضرورة عبر التوازن؛ كونه ينشئ استقراراً غريباً في العلاقات بين الدول، ويكون هناك حاجة دائمة إلى اعادة فرضه لتأكيد تحرر أية دولة من سيطرة دولة اخرى[2].

وشهدت النظرية الواقعية تطوراً في مفاهيمها عبر مفكريها كينث والتز الذي ساهم في تطور النظرية الواقعية الجديدة وسميت بالواقعية البنيوية، فضلا عن روبرت غيلين الذي ساهم بأفكاره في الواقعية الميركنتالية، فالواقعية الجديدة البنيوية تنطلق من النظام الدولي كوحدة للتحليل والفوضوية في البيئة الدولية، في حين الواقعية الميركنتالية تركز على العامل الاقتصادي كأساس لتفسير النظام الدولي عبر جعل القوة الاقتصادية اساس لتفسير شكل العلاقة بين الدول، بل ولمقاومة الهيمنة في النظام الدولي التي تمارسها احدى القوى الفاعلة المسيطرة عليه[3]، وتنبأ كينث والتز بان الحرب الباردة ستستمر؛ لكونها متجذرة بقوة في هيكل السياسة الدولية مادام هيكل النظام الدولي مستمراً مرتكزاً على تنظيم العلاقة بين اكثر من لاعب[4].

ونتيجة لذلك فان القوى تسعى إلى تغيير الوضع القائم نتيجة عدم رضاها في ظل ما يشهده النظام الدولي من تحولات للقوة بين قواه الفاعلة، ويعد كينيث اورغانسكي المؤسس النظري الأول لمفهوم تحول القوة عبر نظرية انتقال القوة في كتابة الصادر عام 1958 وهي النظرية التي تتضمن الافتراض الرئيس وهي ان المنافسة بين الدول توجهها المكاسب النهائية المحتملة من التعاون أو الصراع أو التنافس، وان غاية الأمم ليس زيادة قوتها قدر المستطاع كما تزعم نظرية توازن القوى بل زيادة المكاسب قدر الإمكان[5].

اذ هناك فرق بين دول الوضع القائم والقوى التعديلية، فالقوى العظمى تكون ميالة إلى الحفاظ على الوضع القائم لاستمرار هيمنتها، في حين القوى التعديلية – الصين وروسيا الاتحادية- فضلاً عن الهند والبرازيل وجنوب افريقيا الساعين إلى تعديل النظام الدولي الاحادية القطبية إلى التعددية لكن ليس لديها القدرة على المواجهة المنفردة بل لا بد ان تكون مجتمعة وفقاً لمنظور تحول القوة، فان الدول كافة باستثناء الولايات المتحدة الامريكي هي قوى تعديلية، لذلك فان واقعية جون ميرشايمر الدفاعية تعد ان كل نزاع أو نزاعات تكون الولايات المتحدة الأمريكية طرفاً فيها تحدياً للوضع القائم من قبل الطرف أو الاطراف الاخرى، والقوى

(2) انور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، العراق، 2007، ص ص250ـ251.

(3) علي زياد العلي، علي زياد العلي، المرتكزات النظرية في السياسة الدولية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017، ص ص205ـ206.

(4) علي الجرياوي ولورد حبش، النظرية الواقعية في مواجهة احادية القطبية الاحادية، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد38، 2019، ص29.

(5) يونسي وليد، دور مجموعة بريكس كقوة صاعدة وتأثيرها في النسق الدولي، المركز الديمقراطي العربي، برلين، 2018/6/2، شبكة المعلومات الدولية ـ انترنيت ـ https://democrat.icac.de.

التعديلية ليست بالضرورة ان تكون في خصام مع الجماعة الدولية بل تأخذ منها ما يحقق اهدافها وان تشاركها المعايير المشتركة[6].

لذلك يحافظ التعديليون على مبدأ التوازن مرتكز رئيس في النظرية الواقعية في ظل استمرار الولايات المتحدة الأمريكية كقوى عظمى في النظام الدولي من وجهة نظرهم وتحول القطبية الاحادية من لحظة عابرة إلى وضعية مستمرة، ولكنهم قاموا بتحوير دلالاته مستخدمين التوازن الناعم الذي استعاره ستيفن والت وتقديمه مدخلاً نظرياً تعديلياً على النظرية الواقعية ليمكنها تفسير استمرارية عدم التوازن المرافق للأحادية القطبية الأمريكية في ظل عدم ثقة الدول ببعضها والالتزامات التي يفرضها التحالف الصلب، لاجئة إلى الاساليب والوسائل المؤسسية والدبلوماسية والاقتصادية فيمكنها ان تتعاون وتناور دبلوماسياً، وايجاد شراكات اقتصادية وتكتلات تجارية تستثني مشاركة القوى العظمى لعرقلة هيمنة القوى المسيطرة على النظام الدولي[7].

وهذه التكتلات والمؤسسات الجديدة تسعى لزيادة القوة والنفوذ، اذ ينطوي المفهوم التقليدي للموازنة اعادة توزيع كل من القيم المطلقة والنسبية في امور الدولة، في حين المفهوم الحديث للموازن عبر التكتلات والشراكات والمؤسسات هو لتأمين صعود القوى الاقليمية مقارنة بمنافسيها وفق المنظور الواقعي لإنشاء التوازن اي تأكيد الاختلاف الرئيس المكرس في النظام الدولي[8].

وعلى الرغم من تزمت الواقعيين بالقوة مرتكز رئيس الا ان ذلك لم يمنعهم من الاستجابة للمتغيرات المعرفية والبراديمات الفكرية لمستجدات الواقع الدولي، والدليل على ذلك عدم دخول الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي مدة الحرب الباردة بحرب ساخنة مباشرة، فجددت الواقعية من مغالطاتها الفكرية حسب كينيث والتز لمفهوم القوة بإدخال التركيب الفوضوي المعتمد على ميكانزم التفاعل بين اطرافه، وادخال البعد الاقتصادي كمتغير قوة، وحاول تثبيت موقع الواقعية امام تفسيرات السلوكيين والليبراليين للتعايش السلمي والسلام والبراغماتية لتعديل النظام الدولي[9].

ويعد كل من ايمانؤيل كانت وبنثام من طليعة انصار المذهب الليبرالي اذ عارضا همجيه العلاقات الدولية على حد وصفهما «حالة الوحشية التي لاتخضع لها قانون»، وهذا النفور من الوحشية قادتهما لوضع خطط السلام الدائم والمواجهة الهادئة؛ لان قوانين الطبيعة تفرض الانسجام والتعاون بين الدول وبدون الانسجام

(6) لمزيد من التفاصيل ينظر: ستيف تشان، الواقعية والتعديلية والدول العظمى، المجلة العربية للدراسات الدولية، بيروت، العدد1، 2006، ص ص47ـ28.

(7) علي الجرياوي ولورد حبش، مصدر سبق ذكره، ص ص39ـ40.

(8) فاطمة أمحمدي، الدبلوماسية الاقتصادية للقوى الصاعدة: دول البريكس أنموذجاً، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد212، 2018، ص41.

(9) انور محمد فرج، مصدر سبق ذكره، ص ص250ـ251.

والتعاون فان الصراعات تكون مستعرة نتيجة الطبيعة العدوانية للدول لتحقيق اكبر المكاسب[10].

وعبر استغلال مضمون هذه النظرية الليبرالية في العلاقات الدولية من قبل دول بريكس لاسيما القيادية الصين وروسيا الاتحادية والهند ذات التأثير الكبير، فضلاً عن البرازيل وجنوب افريقيا كقوى ناشئة جديد في الساحة الدولية، وتحليل اثر ذلك بفضل ما يمتلكه الطرف القائم بالتأثير بجمله من عناصر القوة والقدرة والامكانات والمبادرة وعقيدة التأثير والتحالفات المرنة والهيبة التي تدفع الطرف صاحب التأثير على ايقاع التأثير في الاتجاه الآخر[11].

واستمرت افكار المدرسة الواقعية تمارس نفوذها وسطوتها في العلاقات الدولية لحين تشدين المدخل الليبرالي، وان سياسات العلاقات الاقتصادية الدولية أي الموضوعات التي تبرز نطاق التعاون أو الصراع أو التنافس بين الفاعلين الدوليين في سعيهم لتحقيق اهداف الثروة والرخاء والمكانة وتغير الهيمنة الاحادية، لاسيما وان الاعتماد المتبادل اضحت ظاهرة يتميز بها النظام الدولي المعاصر لزيادة درجة التعرض للصدمات الاقتصادية المتأتية من العالم الخارجي، وان مستوى الاداء الاقتصادي في أي بلد لايتوقف على ما يحدث داخله بل على ما يحدث في البلدان الاخرى في علاقات تجارية ومالية، ويوازي الاعتماد المتبادل بين الفاعلين توازن القوى عند الواقعيين[12].

وتعتمد القوى الصاعدة على افتراضات النظرية الليبرالية في انشائها تجمع بريكس على عد ان الفرد الاطار المرجعي الرئيس الذي يتم حوله تنظيم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وانطلاقاً من هذه الانطولوجيا الليبرالية فان التركيز ينصب على نمط الدولة الافضل لحماية الحقوق الفردية وتعزيز الرفاهية والمعايير والمؤسسات الدولية التي تؤدي إلى انشاء تعاون دائم بين الدول ونوع الاقتصاد المتبادل قادر على تحقيق هدفي الرخاء والسلام المتلازمين عبر التعاون بين الانظمة الديمقراطية وغير الديمقراطية الآخذة بمبدأ اقتصاد السوق؛ لأنه يمكن للقانون والمؤسسات والمعايير الدولية ان تخفف سلوك الدول التنافسي في ظل العالم المضطرب عبر الحوافز الاقتصادية[13].

وادت التحولات الجديدة بعد الحرب الباردة إلى ظهور مفاهيم اكدت على اهمية التعاون والتنسيق بين الدول بديلاً عن الفوضى والصراع التي هيمنت على تحليلات الواقعيين في نظرتهم للعلاقات الدولية، وتعد الظاهرة التكاملية احدى

(10) تار طه عثمان، النظرية الليبرالية والعلاقات الدولية، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، العراق، 2013، ص22.

(11) علي زياد العلي، مصدر سبق ذكره، ص99.

(12) انور محمد فرج، مصدر سبق ذكره، ص ص269ـ270، ص ص281ـ282، ص291.

(13) فيديا نادكارني، الشراكات الاستراتيجية في آسيا توازنات بلا تحالفات، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابوظبي، 2014، ص23.

مستويات التفاعلات الدولية، ومفهوم العابر للإقليمية ذات البعد الاقتصادي احدى الاتجاهات المهمة في العلاقات الاقتصادية المعاصرة، وهذه التجمعات العابرة للإقليمية تفسرها نظرية الوظيفة لصاحبها ارنست هانس الذي قدم مفهوم الانتشار تفسيراً للتداخل بين العوامل الاقتصادية والسياسية والعسكرية بشكل تدريجي(14).

واشار جوزيف ناي إلى تأثير الاطراف الفاعلة في تخطي الحدود الوطنية، وانشاء مفهوم الترابط، ولما سبق اثر في اقرار الليبرالية بالتفاعلية والتعددية الدولية، واعترافها بمستويات التحليل الجديدة التي لم تقرها الليبرالية التقليدية أو المؤسسية، وهي ان العقلانية التي تتسم بها الدول هي التي تدفعهم لحل مشكلاتها في النظام الدولي بالتعاون والتكامل عبر وجود مؤسسات وتكتلات بين القوى المنسجمة لضبط سلوكهم وسلوك الاطراف الآخرين(15).

والقوى التي تشكل التجمعات لتغيير هيكل النظام الدولي بصورة هادئة – التوازن الناعم- إلى جانب استمرارها في التوازن الصلب، تنطلق من فرضية ان المؤسسات والتجمعات والشراكات يزداد عددها وتنمو قدرتها على الضغط على الدول لكي تتعاون مع بعضها، وتتغلغل داخل البيئة الدولية وتغيير المؤسسات القائمة وانشاء مؤسسات جديدة لتتمكن من الحفاظ على نصيبها من القوة العالمية إن لم تزده، وما المؤسسات في حقيقتها الا ميادين لاستعراض علاقات القوة لكبح التنافس الأمني العالمي الصلب وتقلل الفوضوية التي تفعلها القوى المسيطرة في النظام الدولي بفعل العولمة منتج القوى المسيطرة، وتحولها إلى لاعبين هامشين في السياسة الدولية بمرور الوقت(16).

وان نجاح التوازن الناعم يستلزم شروط ثلاث يحددها ت. ف. بول وهي: **اولاً:** تزايد اهمية القوة المتزعمة وسلوكها العسكري لكن دون ان يشكل تحدياً حقيقياً لهيمنة القوى المسيطرة على النظام الدولي، **ثانياً:** ان تكون الدول المسيطرة مصدراً رئيساً للسلع الاساسية على المستوى الاقتصادي والأمني بحيث لايمكن استبدالها أو التحرر من نفوذها، **ثالثاً:** الا تكون المجابهة مع القوى المسيطرة امراً يسيراً؛ لان جهود التوازن التي تبذلها الاطراف اضعف من ان تحدث تغييراً في المدى القصير أو لان هذه الاطراف لاتستخدم الوسائل العسكرية في المنافسة بشكل مباشر وعلني، بل تسعى إلى تبوء مكانة الوصيف الدولي للقوى المهيمنة، ومن ثم الالتحاق بالطرف المهيمن وتقوية الروابط المؤسسية فيما بينها وبين الطرف المسيطر لتحاشي ردود الافعال الثأرية(17)، في ظل استيعابهم للأثار الإيجابية للعولمة المؤدية إلى الأمن في ظل تقليص الفوارق بين الشعوب والسماح بفهم الآخرين بصورة

(14) عبدالحق دحمان، التحالف الشرقي المعتدل: منظمة شنغهاي للتعاون والتوجه نحو العالمية، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد12، 2015، ص93.

(15) وصفي محمود عقيل، التحولات المعرفية للواقعية والليبرالية في نظرية العلاقات الدولية المعاصرة، مجلة دراسات للعلوم الانسانية والاجتماعية، الاردن، العدد1، 2015، ص107.

(16) جون ميرشايمر، مأساة سياسات القوى العظمى، ترجمة مصطفى محمد قاسم، جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، 2012، ص ص455ـ456.

(17) دانييل فليمس، الخيرات الاقليمية والدولية للسياسة الخارجية البرازيلية بعد مرحلة القطب الواحد، في محمد عبد العاطي محرراً، البرازيل القوة الصاعدة من اميركا اللاتينية، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2010، ص94.

افضل، منشأةً روابط اقتصادية متزايدة ذات نفع متبادل تتضرر في حالة قيام الحرب بالقوة الصلبة، أي ان مصالح السوق وراس المال يقف عائق امام الحرب، لكن مع ذلك التاريخ لايسير في اتجاه متفائل مثل هذا؛ لان فكرة استخدام الاقتصاد كسلاح في خدمة الاهداف السياسية للدولة اهملت من قبل اقتصادي النظرية الليبرالية عندما قدم الباحث السياسي الاقتصادي هيرشمان هشاشة الاقتصاديات الوطنية امام استخدام السلاح الاقتصادي (حصص- رقابة على المبادلات- استثمار رؤوس اموال) من قبل دولة او دول عدة[18].

ان ملاحظي الاقتصاد الدولي حتى وان اتفق جميعهم على الاعتراف بتضاعف التوافقات الاقتصادية الدولية بدفع من الشركات المتعددة الجنسيات، وانتشار التكنولوجية للمعلومات والاتصالات التي تدفع نحو فتح الحدود، الا انهم لايصلون إلى النتيجة ذاتها؛ لان دور الدولة سيعود إلى صدارة الساحة الاقتصادية وهو ما جعل الدول السلطوية التي تأخذ باقتصاد السوق تسعى إلى التجمع والتكتل الاقتصادي مع الدول الديمقراطية، فتنافسية امة ما تقوم اكثر فاكثر على المزايا المبنية المتعلقة بمستوى التكوين والبحث والتنوير والهياكل القاعدية للدولة وكلها ميادين تؤدي السلطات العمومية دوراً رئيساً فيها[19].

واصبحت المنظومات السياسية الاقتصادية الحجر الاساس الذي تقام عليه خطط بناء الثقة؛ لأنها تضفي طابعاً قانونياً نسبياً على المعايير والمبادئ التي تضعها وتفرض قيوداً رسمية على افعال الدول وتصرفاتها، فان كان المهم لهذه الدولة أو تلك توظيف الادوات السياسية والاقتصادية التي تعتمدها هذه المنظومات؛ لكونها تملك الدرجة ذاتها من الاهمية التي تملكها الادوات العسكرية لتغيير التوازن الاستراتيجي ومن ثم بناء نظام دولي بديلا للنظام الدولي المسيطر عليه من قبل الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الحرب الباردة[20].

ولم تعد ساحة الصراع بين الاطراف الدولية مقتصرة على الاسلحة التقليدية بل اصبح الصراع حول القوة الاقتصادية بشقيها الناعم والصلب ادوات للتنافس بين القوى الدولية، واتجاه اطراف النفوذ في عالم العلاقات الدولية إلى تشكيل تحالفات وشراكات ومنظومات لها القدرة المتكافئة للمتنافسين الدوليين الكبار للحفاظ على أمنها القومي[21].

ويبين المؤسسون الليبراليون عبر قبولهم الأطر العريضة للواقعية مع توظيف نظرية الاختيار العقلاني والمباراة للتنبؤ بسلوك الدول، وان التعاون بين الدول يمكن

(18) لمزيد من التفاصيل ينظر: جاك فونتانال، العولمة الاقتصادية والامن الدولي: مدخل إلى الجيو اقتصاد، ترجمة محمود براهم، دار المطبوعات الجامعية للنشر، الجزائر، ط2، 2009، ص8، ص ص25ـ26.

(19) المصدر نفسه، ص ص31ـ32.

(20) جيرايمي هيرد وبال دوناي، الأمن الدولي والقوى العظمى والنظام العالمي، في جيرامي هيرد محرراً، القوى العظمى والاستقرار الاستراتيجي في القرن الحادي والعشرين: رؤى متنافسة للنظام العالمي، مركز الامارات للدراسات السياسية والبحوث الاستراتيجية، ابوظبي، 2013، ص25.

(21) ابو الفضل الاسناوي، سباق القوة في عالم العلاقات الدولية، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد215، 2019، ص10.

تحسينه حتى في حالة عدم وجود لاعب مهيمن يستطيع فرض الانصياع للاتفاقات، وعند هؤلاء يخفف حالة الفوضى وجود انظمة ومؤسسات للتعاون الدولي التي تحقق مستويات اعلى من الانتظام والقابلية في العلاقات الدولية، ومن ثم تقدم النظرية الليبرالية الخطوط الارشادية للطريقة التي ينبغي ان تسلكها الدول التي تأخذ الحكومات الليبرالية وغير الليبرالية تحت قانون الشعوب المشتركة عبر تنظيم التعاون بين الدول ومنحة شكلاً رسمياً في صورة مؤسسات[22].

وبذلك اضحت المجموعة الدولية احدى الظواهر الاساسية المميزة للسياسات الدولية والنظام العالمي لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، وابرز سمات هذه المجموعة الدولية هي الاستناد إلى نمط من المؤسسية المرنة، وللمرونة شقان هما: **الاول:** هو المستوى المحدود من البيروقراطية والهيراركية اي تجنب تأسيس بناء هيراركي أو الآمنات العامة الكبيرة، **والثاني:** الطابع غير القانوني وغير الالزامي، اي الاعتماد على الآليات الجماعية مثل آلية التوافق العام في اتخاذ القرارات داخل المجموعة، وتصاغ تلك القرارات بشكل اهداف يتم تنفيذها من قبل الدول الاعضاء[23].

ان المجموعات الدولية الصاعدة وفق نظرية العلاقات الدولية التقليدية تعتمد على افتراض انها ترتبط بمشروعات ورؤى صدامية مع النظام الدولي والمؤسسات الدولية التقليدية، التي تظن انها في طريقها إلى التفكك اذا لم يتوفر لديها الآليات التي تضمن استيعاب القوى المواجهة الصاعدة[24].

اذ تلجأ الدول إلى استراتيجيات متعددة لمتابعة مصالحها القومية وتنفيذ سياستها الخارجية منها ما هو صراعي وتعاوني، ومنها ما يوظف الحياد ومنها ما يعتمد على التوازن سواء أكان ناعماً أم صلباً ومنها ما يقوم على التحالف مع القوى الاخرى ومنها ما يساير الركب أو المهادنة أو يستغرق التبعية، وهذا ما يسمى بمجمله التحوط الاستراتيجي الذي تلجأ اليه القوى الكبرى أو المتوسطة أو الصغرى، ويقصد به دخول الدولة المتحوطة ضد مصدر التهديد لأمنها القومي بما يمكنها من توظيف ميكانزمات التعاون مع القوى الاخرى التي لاتتطابق وجهات نظر الدولة المتحوطة بصورة كاملة بما يمكنها من الدخول في شراكة رسمية اقتصادية ومؤسسية ودبلوماسية ضد الدولة المهددة[25].

ويلفت الباحث باراج خانا الانتباه إلى العالم الثاني الذي يستخدم مصطلحاً دول نقطة التحول التي ستتمكن وفي فضاء جيوسياسي الدخول في تحالفات مع بعضها البعض فتمسك بزمام ميزان القوى، وأنموذجه ينطوي على انشاء نظام عالمي

(22) سكوت بورتشيل، الليبرالية، في مجموعة مؤلفين، نظريات العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص100، ص ص104ـ105.

(23) محمد فايز فرحات، الدول الصاعدة وتأثيراتها في النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد185، 2011، ص12.

(24) المصدر نفسه، ص13.

(25) ايمن ابراهيم الدسوقي، التحوط الاستراتيجي في الشرق الاوسط، مجلة السياسة الدولي، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد215، 2019، ص30.

واقعي يتعامل مع التهديدات الدولية، وهو ما يتفق معه الباحث فريد زكريا نتيجة الادوار المتعاظمة التي تقوم بها كل من الصين وروسيا الاتحادية والهند والبرازيل وجنوب افريقيا ليعكس تحولاً شديد الوقع والتأثير في المواقف والقوى الدولية، ليشهد النظام الدولي ليس ظاهرة معاداة الغرب وسياستها بل نظام عالمي لما بعد امريكا[26].

(26) جيرايمي هيرد وبال دوناي، مصدر سبق ذكره، ص ص38ـ39.

ذلك ان مفهوم العولمة لاينصرف إلى تبادل القيم والتواصل بين الانماط الحضارية او تمازج بين الثقافات بل قولبة العالم وفق قيم ومبادئ القافة الغربية على المستوى العالمي، اي تنميط الاشياء والافراد والمؤسسات في كل مكان على نمط عالمي واحد بعد الحرب الباردة ايذاناً بهيمنة الأنموذج الغربي للعالم، لذلك شرعت قوى فاعلة إلى الاعتراض على الآليات والخلفيات الحاكمة للنظام الاقتصادي العالمي[27].

(27) سامح راشد، من العولمة إلى الاقلمة، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد185، 2011، ص ص49ـ95.

فأحادية القطبية وتفكك الاتحاد السوفيتي من وجهة نظر المدرسة الواقعية قد قوضت مرتكز توازن القوى الذي يرتكز عليه التفسير الواقعي لماهية النظام الدولي وطبيعة العلاقات الدولية، ولكي يستقر هذا النظام فان الدول تسعى إلى الاعتماد على قوتها الذاتية وعلى تشكيل تحالفات أو شراكات تحد من الفوضى والتحكم في النظام الدولي من قبل القوى المسيطرة فيه، ولايتم ذلك الا عبر ايجاد توازن فيه، أي وجود قوى ساعية لإيجاد التوازن والسيطرة على السياق الفوضوي القائم وفق الاعتماد المتبادل بين الفواعل الساعية لتعديل النظام الدولي وهو ما يسعى اليه تكتل بريكس[28].

(28) علي الجرياوي، الرؤى الاستراتيجية لثلاثي القطبية الدولية: تحليل مضمون مقارن، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد31، 2018، ص9.

والتوازن الناعم يتطلب استراتيجية مؤسساتية من قبيل تحالفات دبلوماسية أو اتفاقات مثل تكتل بريكس لكبح القوة الأمريكية عبر تمتين الروابط الاقتصادية بما يؤدي إلى رجحان ميزان القوة الاقتصادية لصالحها بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية على المدى البعيد، فضلاً عن مواجهة السياسة الاحادية التي ترفع من تكلفة استعمال القوة الاحادية عبر تقليص دعم عدد الدول التي باستطاعتها دعم التدخل العسكري الامريكي مستقبلاً[29].

(29) دانييل فليمس، الخيرات الاقليمية والدولية للسياسة الخارجية البرازيلية بعد مرحلة القطب الواحد، في محمد عبد العاطي محرراً، البرازيل القوة الصاعدة من اميركا اللاتينية، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2010، ص94.

المحور الثاني: بريكس وقواه الفاعلة

هيمنت على الساحة الدولية محاولات المراكز الرأسمالية العالمية التحالفية (الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد الاوربي، اليابان) للحفاظ على ريادتهم في

الاقتصاد العالمي عبر المزج بين سياسات العولمة الاقتصادية الرأسمالية التي تسمح لرأس المال العابر للحدود بان ينفردوا في اصدار القرارات في القضايا التي تصب في مصالحهم القومية، لذلك استغلت دول مجموعة بريكس المرتكزات الواقعية والليبرالية التي انطلقت منها المراكز الرأسمالية للسيطرة الاقتصادية العالمية، وهو ما جعل المشهد الاستراتيجي العالمي يتغير منذ بداية القرن الحادي والعشرين، وتغير بصورة اكثر بعد تراجع القوة الاقتصادية الأمريكية لعام 2008 ما جعلت قوى هذه المجموعة تتصدر لمعالجة وصياغة نظام اقتصادي يفادي العالم مخاطر الاعتماد الاقتصادي على الغرب[30].

وكانت الازمة المالية العالمية لعام 2008 هي احدى اسباب الرئيسة لتشكيل تكتل؛ نتيجة اختلال التوازن الدولي منذ تفكك الاتحاد السوفيتي بعد تعطيل آليات التصحيح التي تضمنتها اتفاقيات بريتون وودز لمساعدة الدول الاعضاء على تثبيت سعر الصرف دون اللجوء إلى عمليات تخفيض تنافسية، وهي اسوء الازمات العالمية ولم تكف لحلها جميع التعديلات الهيكلية التي حدثت في بنية النظام الرأسمالي، ولا المبالغ الخيالية التي رصدت لها، وتحرير تجارة السلع والخدمات فيما بينها لتوفير السيولة المالية لدى صندوق النقد الدولي من العملات المختلفة فضلاً عن حقوق السحب الخاصة[31].

فظهر مصطلح بريك (الصين، روسيا الاتحادية، الهند، البرازيل) الذي وضع من قبل بنك الاستثمار الامريكي (غولدمان ساكس)، وتم تبنيه من قبل الجهات المهتمة بشؤون العولمة الذي يفهم منه بان مركز ثقل الاقتصاد العالمي تحول لمصلحة الاقتصادات الناشئة، وتعد المجموعة جزءاً من شبكة الارتباطات التعاونية المعقدة لاطراف اوراسيا الشرقية في مواجهة اللاعب الغربي – الولايات المتحدة الأمريكية-، فقد كان رؤساء ثلاث دول شرقية (الصين وروسيا الاتحادية والهند)، لحضور اجتماعات قمة G-8 في اليابان عام 2008 التقوا عبرها برئيس البرازيل الاسبق لولا دا سيلفا، وقرروا ان تجمعهم مجموعة بريك للدول الاسرع نمواً والتي خرجت من انقاض الازمة الاقتصادية العالمية لعام 2008، وشهدت مدينة ييكاتيرينبرغ الروسية عام 2009 اول اجتماع بين الدول الاربعة المشار اليهم واطلقوا في بيانهم الختامي مبادئ النظام الدولي الثنائي القطبية[32].

وفي عام 2011 انضمت جنوب افريقيا إلى قوى الوزن الاقتصادي في القرن الحادي والعشرين لتصبح بريكس لاسيما وهي تتقارب في ديناميكية ادائها الاقتصادي، والتغييرات الهيكلية التي التزمت بها في ما يتعلق بسياسات تحرير اسواق العمل

(30) ليلى عاشور حاجم وسالي موفق عبدالحميد، تكتل القوى الاقتصادية الصاعدة: مجموعة بريكس أنموذجاً، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، العدد45ـ46، 2016، ص ص1ـ6.

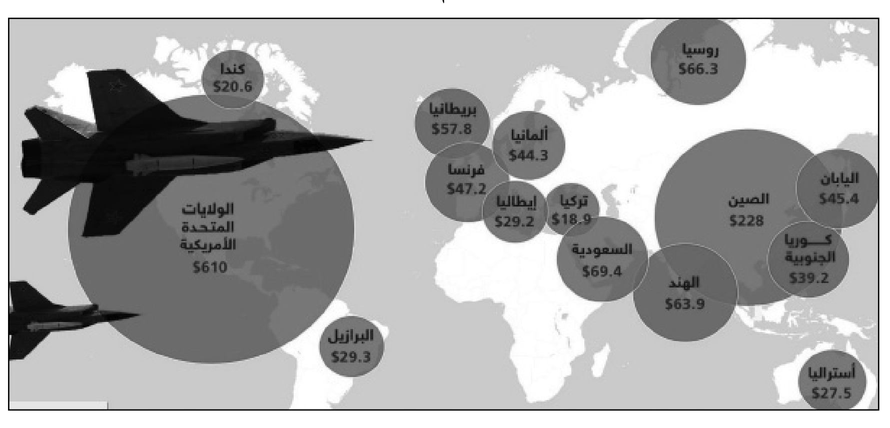
(31) علاء بسام المهنا، اثر العولمة في التوازن الدولي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة دمشق، 2015، ص ص135ـ136.

(32) عمر عمار، نهاية القرن الامريكي وبداية القرن الاوراسي: الحزام الاقتصادي وطريق الحرير، دار سما للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018، ص414.

والاسواق المالية، وركزت التنمية الاقتصادية في هذه الدول على الاستراتيجيات الصناعية والتجارية عبر زيادة حصصها في اسواق التجارة العالمية[33]، وتمتلك نظرة مشتركة لنظام دولي اكثر عدالة، والتكتل في اللغة الصينية هي البلاد المبنية على سبائك الذهب، لذلك اشار تقرير غولدمان ساكس ان البرازيل قاعدة المواد الخام، وروسيا الاتحادية محطة بانزين العالم، والهند مكتب قرطاسية العالم، والصين فبركة العالم، ومنذ عام 2003 أصدر جيم أونيل وفريقه بحثاً علمياً بعنوان «حلم البريك: الطريق نحو 2050، ووردت فيه الفرضية الشجاعة أنه حتى سنة 2050 فإن البرازيل وروسيا الاتحادية والهند والصين سوف تتحول إلى قاطرة للاقتصاد العالمي بأسره، وللتدليل على ذلك سوف تتجاوز البرازيل إيطاليا سنة 2025، وفرنسا في سنة 2031. وروسيا الاتحادية سوف تتجاوز بريطانيا سنة 2027 وألمانيا في سنة 2028. والهند سوف تتجاوز اليابان سنة 2032. وفي الختام، من المحتمل جداً أن الصين سوف تتجاوز الولايات المتحدة الأميركية في سنة 2041 وتصبح الدولة الاقتصادية الأعظم في العالم[34].

وهذا الصعود الاقتصادي انعكس على واقعية الدول في الانفاق العسكري لتفادي المعضلة الأمنية الذي يشهد تزايداً مستمراً، والشكل الآتي يوضح الانفاق العسكري لدول تكتل بريكس بالمقارنة مع الدول الاخرى.

الشكل (1): يوضح الانفاق العسكري لدول مجموعة بريكس (مليار دولار) لعام 2017[35].



وتشكل مساحة ارض تكتل بريكس اكثر من ربع مساحة العالم، واكثر من 40% من عدد سكانه، وحجم الناتج المحلي الاجمالي يشكل اكثر من ربع الناتج المحلي الاجمالي العالمي، ويمتلك اكثر من 40% من حجم انتاج مصادر الطاقة العالمي، فضلاً عن 15% من حجم التجارة الخارجية، وان اعضاءه تمتلك اكبر احتياطي نقدي

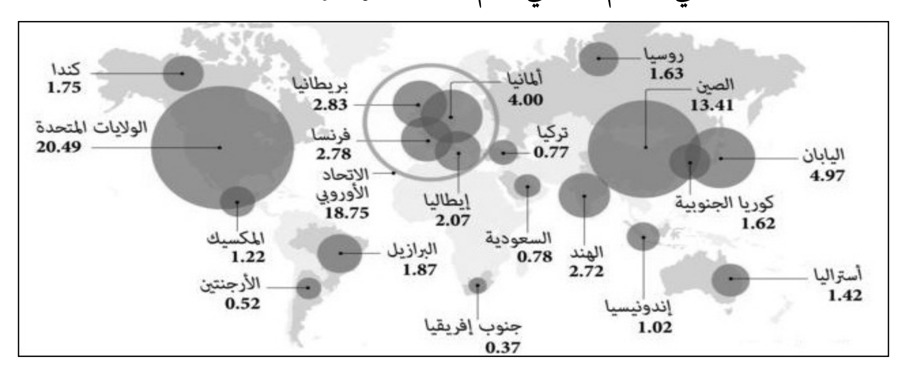
(33) باسكال ريغو، القوى الاقتصادية في القرن الحادي والعشرين، ترجمة طوني سعادة، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، 2015، ص16.

(34) نسيب شمس، البريكس والمواجهة الاستراتيجية مع اميركا، صحيفة العربي الجديد، بيروت، العدد278، 2015، ص20.

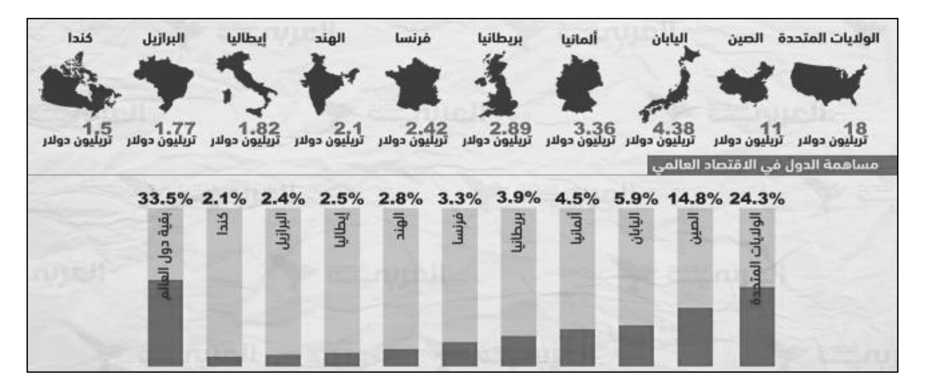
(35) قناة CNN العربية، الانفاق العسكري حول العالم، 2018/5/10، شبكة المعلومات الدولية ـ انترنيت ـ https://arabic.cnn.com.

في العالم باستثناء جنوب افريقيا، ويتمتع بمناخ استثماري؛ كونه حاضنة للاستثمارات الاجنبية، هذا ما كشفه تقرير الاستثمار العالمي لعام 2015 عندما شكلت الاقتصادات النامية نصف عدد العشرة الاوائل المستفيدين من الاستثمار الاجنبي المباشر في العالم، وهم (الصين، هونغ كونغ، سنغافورة، البرازيل، الهند)، ويضم اكثر من 20% من الاستثمارات العالمية بعد ان كانت 6% قبل عشر سنوات، ما دفع العديد من الخبراء الاقتصاديين ان يتوقعوا انه سيحتل الصادرة في قيادة العالم واحداث التوازن في اغلب المجالات وخصوصاً المالية والاقتصادية والسياسية ما بين عام 2030 وبين 2050. فهو تكتل مُضاد ومناوئ للقطبية الأمريكية التي تستأثر بإدارة العالم حالياً[36]. والاشكال الآتية توضح قوة دول بريكس بالمقارنة مع القوى الأخرى.

الشكل (2): الناتج المحلي الاجمالي لدول بريكس مع الدول الاخرى الفاعلة في النظام الدولي لعام 2018 (تريليون دولار)[37]



الشكل3: يوضح مساهمة قوى دول بريكس الاقتصادية مقارنة مع الدول الرئيسة في النظام الدولي لعام 2030[38].



اذ تبدي الدول المشكلة لتكتل بريكس المزج بين المدرستين الواقعية والليبرالية لرسم ملامح نظام دولي مساهمين في تشكيله في الحاضر والمستقبل، عبر اتباع دبلوماسية الجوار القائمة على اتخاذ الجيران، لاسيما الصين كقوة قائدة واستغلال

(36) حامد عبدالحسين الجبوري، بريكس والقطبية العالمية، مركز الفرات للتمية والدراسات الاستراتيجية، كربلاء المقدسة، العراق، 2016/11/1، شبكة المعلومات الدولية-انترنيت- http://fc.drs.com

(37) قناة الحرة الفضائية، قمة العشرين ابرز الملفات، 2019/6/27، شبكة المعلومات الدولية-انترنيت- https://www.alhurra.com.

(38) صحيفة العربي الجديد اليومية، 10 دول مرشحة لتصدر اقتصادات العالم بحلول 2030، بيروت، 2019/1/8، شبكة المعلومات الدولية-انترنيت- https://www.alaraby.co.uk.

قوتها الناعمة لتعزيز الانفتاح وتوطيد الشراكة للوصول إلى تحقيق المنفعة المتبادلة في ظل اعترافها بالتعددية وبناء منظومة الحوكمة الدولية على اساس الالتزام بمبادئ التشاور والتشارك والتنافع مع الفواعل الاخرين لدفع العولمة الاقتصادية نحو اتجاه اكثر انفتاحاً وشمولاً مشتركاً، ودعم نظام التجارة المتعدد الاطراف لبناء نظام اقتصادي عالمي منفتح[39]، وهي من اكبر الدول التي يمكن ان تستخدم القوة والعلاقات الاقتصادية في ادارتها لعلاقاته الدولية نتيجة طول فترات الحروب والازمات والصراعات الدولية المستخدمة فيها اسلحة الدمار الشامل ما يتطلب استراتيجية بديلة ليعطي دوراً ايجابياً تعاونياً عبر الادوات الاقتصادية[40].

اما روسيا الاتحادية ومنذ وصول رئيسها فلاديمير بوتين بدأ بتطبيق مذهب الواقعية في سياستها الخارجية بقوله الخيار الوحيد لها وهو خيار ان تكون دولة قوية وواثقة من قوتها قوية ليس رغماً عن المجتمع الدولي وليس ضد دول قوية اخرى عبر الجمع بين الاقتصاد والأمننة ورفض الاحادية القطبية، وتعزيز علاقاتها الخارجية في المجلات الحيوية المباشرة وغير المباشرة[41].

وادى التوجه البرغماتي الذي سيطر على سياستها الخارجية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وقضاء ردحاً من السير وراء التوجهات الغربية إلى اختيار التعاون مع القوى الشرقية – الصين والهند- في ظل اتفاقها على تنسيق الخطوات باتجاه اقامة نظام عالمي جديد بمشاركة دول تؤمن بمبادئ الحياد والشفافية ووحدة الأمن ليوطد اركان المثلث الاستراتيجي – ريك – المبادرة التي طرحها وزير الخارجية الروسي السابق بفيجيني بريماكوف عام 1998[42].

وروسيا الاتحادية تعد التكتل قطعة شطرنج على رقعة الشطرنج العالمية في ظل توظيفه في الديناميات التفاعلية للانطلاق نحو القيادة العالمية، وانضمت الهند إلى كتلة القوى الناشئة ما يرجح زيادة وزنها في المفاوضات الدولية، باحثة عن مخرج لنظام بريتون وودز الذي صار مقيداً لأي تغير يمكن ان يصيب النظام المالي العالمي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية، أي اتجهت سياسياً واقتصادياً اتجاه دائرتين متناقضتين على المدى البعيد ليسمح لها عبر المناورة الاستراتيجية بتوسيع علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية من جهة وتوسيع علاقاتها مع القوى والتجمعات المناهضة للهيمنة الأمريكية عبر تكتل بريكس[43]، وهدفها اعادة البلاد إلى المسرح العالمي بالتعادل والتساوي مع الولايات المتحدة الأمريكية كما في زمن الحرب الباردة. اي التصالح مع النظام الدولي لاتقوم فيه روسيا الاتحادية بدور ثانوي، وهو ما جعل الريس الروسي فلاديمير بوتين يوافق على عقيدة امن قومي

(39) علي الجرياوي، مصدر سبق ذكره، ص16.

(40) مصطفى علوى، دور الصين في تأسيس نظام دولي جديد، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد212، 2018، ص ص274ـ275.

(41) نقلاً عن ربا عبادة مسودة، السياسة الخارجية الروسية تجاه العراق 2200ـ2017، مجلة قضايا آسيوية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، العدد1، 2019، ص ص64ـ65.

(42) نورهان الشيخ، منظمة شنغهاي: رقم صاعد في معادلات القوة، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد215، 2019، ص239.

(43) عباس فاضل علوان، الهند والتوازن الدولي: رؤية مستقبلية، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، النجف الاشرف، العدد44، 2017، ص210.

عام 2015 التي تؤكد منزلة روسيا الاتحادية كواحدة من القوى العظمى القيادية العالمية، وهو ما جعلها باحثة عن مكانتها المفقودة بالشراكة مع القوى الشرقية البازغة المتوافقة معها في بزوغ القطب الجديد القادر على صياغته وفق رؤى الدول دون تهميش بما يحقق مصالحها دون الاقصاء(44).

في حين ارتبطت البرازيل في التكتل لاهتمامها بزيادة التجارة بين بلدان الجنوب لاسيما الاقتصاديات النامية (الهند، جنوب افريقيا) كقناة تمويل بديلة، وتجمع سياسي وسيط بين الغرب (الولايات المتحدة الأمريكية) من جهة، وامريكا اللاتينية من جهة اخرى، فالبرازيل سعت للتحرك المستقل والمشترك لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية لتدعيم مكانتها كقائد اقليمي؛ لانها تعاني من شرعية منقوصة للقيادة بهذا الدور من قبل بعض القوى الثانوية في مجالها الحيوي المباشر فلجأت إلى تدعيم مكانتها في مجالها الحيوي عبر التعاون مع دول البريكس ذات الأثر البارز في السياسة الدولية(45).

اما جنوب افريقيا فانضمامها إلى التكتل هو استمرار لمؤتمر باندونغ التاريخي، أي التعاون بين الجنوب والجنوب ضد السيطرة الغربية بما يزيد من مكانتها لاسيما في البيئة الاستراتيجية الافريقية، كما سعت إلى استغلال تحولها من دولة منبوذة إلى دولة تحظى بالقبول والاحترام ولها نفوذ قوي على المستويين الاقليمي والعالمي التي ادركت ضرورة استغلال قوتها الناعمة الاقتصادية لتوسيع نطاق التجارة والاستثمارات الجنوب افريقية وتعميق التكامل مع دول بريكس(46).

وتسمى هذه القوى بقوى المراجعة التي تسعى إلى احداث تحول في النظام الدولي، وهذه القوى تسمى ايضا القوى الصاعدة، اذ تتطلب مسألة الصعود التحرير السياسي الشامل، والتطلع للداخل اكثر من الخارج لخلق سوق محلية لتأكيد السيادة الوطنية على الاقتصاد القومي، ويتطلب تحقيق السيادة الوطنية على الحياة الاقتصادية تطبيق سياسات تحمي الأمن الغذائي والسيادة الوطنية على الموارد والوصول إلى الموارد الخارجية وتتناقض مع اهداف طبقة الكومبرادور الراضين بنماذج النمو التي تلبي احتياجات المنظومة العالمية السائدة الليبرالية الدولية والامكانات التي تقدمها(47).

المحور الثالث: مقاومة بريكس للهيمنة الأمريكية

ان الدول المجتمعة في بريكس مجتمعة على نقاط اهمها هي: كسر نمط الاحتكار البشع الذي تمارسه الشركات الغربية، ووجود شريك تجاري يتعامل وفق مبدأ

(44) اندري غراتشيف، روسيا الباحثة عن عظمتها المفقودة، في برتران بادي ودومينيك فيدال مشرفاً، اوضاع العالم 2017: من يحكم العالم؟، ترجمة نصير مروة، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، 2016، ص300.

(45) علاء محمد الجعبري، واقع ومستقبل مجموعة بريكس على النظام الدولي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلي الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة الازهر، غزة، 2018، ص ص94ـ95.

(46) صدفة محمد محمود، توظيف القوة الذكية في السياسات الخارجية للقوى المتوسطة الصاعدة، ملحق تحولات استراتيجية، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد212، 2018، ص26، ص28.

(47) فاطمة أمحمدي، مصدر سبق ذكره، ص ص35ـ36.

رابح – رابح يختلف عن الشريك التجاري التقليدي المستغل الذي يفرض شروطه الخاصة، وجود فرص جديدة للاقتراض يمكن اللجوء اليها عند الضرورة بدلاً من المؤسسات المالية العالمية التقليدية المعروفة بشروطها التعجيزية المنهكة، جاهزية شركات هذه الدول للاستثمار وتنفيذ المشاريع في المجالات والمشاريع كافة بخلاف شركات الدول الغربية التي تتحفظ على تنفيذ المشاريع الحيوية[48].

أن تكتل بريكس يحاول اداء أدوار أكثر حيوية على المستوى الدولي عبر إنشاء مؤسسة دولية توازن المؤسسات الاقتصادية الحالية، لتحرير العالم من الهيمنة الأمريكية وقيودها؛ لأن الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر على المؤسسات الاقتصادية الدولية الحالية بشكل أساسي، سواء أكان من حيث إداراتها أم سياساتها أم توجيه عملية اتخاذ القرار فيها، اي أن النظام العالمي الحالي يعيش مرحلة تتسم بالفوضى السياسية والاقتصادية، وهو ما تسعى دول «بريكس» إلى إصلاحه وفق اربعة مبادئ رئيسة هي: الاحترام المتبادل لسيادة الدول وأراضيها، وعدم التدخل في شؤون الدول الأخرى إلا وفق قواعد ومعايير متفق عليها وفي إطار متعدد الأطراف، وتعزيز المساواة القانونية بين كل دول العالم، والمنفعة المتبادلة بين الدول، ودعم مسارات التنمية الوطنية[49].

لا سيما وان النظام الليبرالي يعيش حالة من التقهقر نتيجة لعوامل عدة هي: سوء الاوضاع الاقتصادية، وبروز التيارات القومية والقبلية، والقيادات السياسية الضعيفة، واخذ العهد الجديد لتقنية الاتصالات بتنمية البعد القبلي بدلاً من اضعافه، وظهور ازمة ثقة بما يطلق عليه المشروع التنويري للنظام الليبرالي اي ترقية المبادئ العالمية لحقوق الانسان، ورغبة الولايات المتحدة الأمريكية بالحفاظ على النظام الذي قامت بإنشائه بدأت بالتراجع في ظل تساؤلهم عن جدوى تحملهم لمسؤوليات كبيرة وغير اعتيادية عبر الحروب التي خاضتها والازمات الاقتصادية التي واجهتها دون الاهتمام بمصالحهم الذاتية مقابل اخرين يستفيدون من ذلك، ما جعل الادارة الأمريكية السابقة برئاسة باراك اوباما تتبنى استراتيجية التراجع عن البعد الدولي بتقليص نطاق دورها ومصالحها الخارجية[50].

اذ ادت حروب جورج بوش الابن وقيادة الخلف لباراك اوباما إلى صعود التيار الشعبوي الذي يمثله دونالد ترامب رافعا شعاراً قومياً امريكا اولاً معبراً عن ما يحيط الولايات المتحدة الأمريكية من تحديات، وهو ما اكده الباحث فريد زكريا قائلاً «لقد اصبحت الولايات المتحدة الأمريكية امة مشحونة بالقلق من الارهابيين والدول المارقة ومن المسلمين والمكسيكيين ومن الشركات الاجنبية ومن التجارة

(48) احمد محمد عمر، موقع افريقيا في النظام الدولي: خطوة نحو العالمية والادوار الجديدة للقوى الافريقية الصاعدة انموذج نيجيريا وجنوب افريقيا، في علي بشار اغوان محرراً، مطارحات النظام الدولي والقوى الكبرى: تأملات في المسرح الجيوسياسي العالمي الجديد، دار اكاديميون للنش والتوزيع، عمان، 2019، ص513.

(49) احمد عبدالعظيم، رؤية بديلة: تكتل بريكس وارساء نظام عالمي جديد، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الدوحة، 2015/10/1، شبك المعلومات الدولية-انترنيت- https://futureuae.com.

(50) روبرت كاجان، فوز ترامب أفول النظام الليبرالي، ترجمة سيف عباس حسين، مجلة ابحاث استراتيجية، مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، بغداد،العدد14، 2017، ص119.

الحرة ومن المهاجرين ومن المنظمات الدولية وهي اقوى امة في التاريخ تجد نفسها محاطة بقوى خارجة عن سيطرتها»[51].

وادت سياسات دونالد ترامب نتائج عده هي: **اولاً:** تراجع اهمية القيم الليبرالية المرتبطة بنظرية السيطرة الاستراتيجية الأمريكية الحديثة الا وهي العولمة ما يسهم إلى المزيد من التوترات والصراعات بين الدول ليشكل عائقاً امام التعاون الدولي في القضايا العالمية، **ثانياً:** تراجع الدور القيادي لها لعدد من القضايا الدولية لاسيما المتعلقة بالبيئة وتحرير التجارة، **ثالثاً:** سعي الدول المنافسة إلى ملء فراغ القادة في القضايا الدولية التي اضحت هي رافعة شعار السيطرة الاستراتيجية الامريكي العولمة وتحرير التجارة العالمية ليؤسس لنظام تعددي الاقطاب، **رابعاً:** سعي حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية إلى احياء بعض الافكار بخصوص التعاون الاقليمي مع القوى الصاعدة في تكتل بريكس بدون الولايات المتحدة الأمريكية، **خامساً:** التحول في بؤرة الاهتمام والتفاعلات من المستوى العالمي إلى مستوى النظام الاقليمي وفتح الباب امام القوى الاقليمية لملء فراغ القيادة الأمريكية ويصبح التحليل الاقليمي اكثر اهمية من التحليل الدولي لاسيما دول تكتل بريكس موزعة بمناطق اقليمية مهمة[52].

وتهدد خطط وسياسات الادارة الأمريكية برئاسة دونالد ترامب تفجير نظام التجارة الدولية الذي تم تشدينه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، لاسيما وان نظرية التجارة الدولية قضت ردحاً طويلاً من الزمن لتعزيز نماذجها من الدعوة لتحرير التجارة بعدها مدخلاً لزيادة الرفاهية في جميع البلدان والسماح لانتقال عناصر الانتاج، لكنها واجهت صعوبات على المستوى النظري والعملي؛ نتيجة القيود المفروضة على التجارة وعلى وجه الخصوص حرية عنصر العمل اذ كانت الدول القوية تضغط من اجل ان تفتح الدول النامية اسواقها امام الانتقال الحر لرأس المال واليوم تعود إلى مبدأ الحمائية وتصاعد القومية الاقتصادية[53]

ان النمو في الاسواق الصاعدة ينشئ تحدياً فريداً يمكن ان يتخطى الولايات المتحدة الأمريكية وبصعود بقية القوى الاخرى مستقبلاً يخلق عالماً معقداً، في ظل تضاعف اعداد الدول العالمية اي زيادة عدد المفاوضين حول الطاولة ما يغذي الفوضى في البيئة الدولية الاقتصادية، ويمكن لتجمعات اقتصادية تقودها القوى الكبرى تساعد في زيادة الانحدار النسبي للولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنها ستكون قادرة على مواجهة تعامل الولايات المتحدة الأمريكية وخير دليل على ذلك هو الازمة المالية العالمية رغم ان مجموعة العشرين عملت على الحد من جماح

(51) ياسر عبد الحسين، السياسة الخارجية الأمريكية في عهد ترامب: قوة المال وفرط القوة، مجلة ابحاث استراتيجية، مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، بغداد، العدد144، 2017، ص20.

(52) لمزيد من التفاصيل ينظر: ابو بكر الدسوقي، امريكا الترامبية: حسابات المكسب والخسارة، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد215، 2019، ص ص82ـ83؛ محمد كمال، مصدر سبق ذكره، ص89

(53) لمزيد من التفاصيل ينظر: مجدي صبحي، الحمائية وتصاعد القومية الاقتصادية، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد208، 2017، ص ص6ـ8.

الحمائية الاقتصادية الا ان مقايضة الدولار بين المصارف المركزية عبر شبكة من الاتفاقات غير الرسمية للاحتياطي الفيدرالي الامريكي اثبت نجاحه واستطاعت قيادة الازمة بحزم[54].

لذلك تشير وثيقة الامن القومي لإدارة دونالد ترامب إلى عودة المنافسة بين القوى العظمى فإنها تشير صراحة إلى الصين وروسيا الاتحادية اللتان تسعيان إلى مراجعة النظام الدولي وصياغته وفقاً لمصالحهم القومية لتأكيد نفوذهما اقليمياً وعالمياً عبر استخدام القوة الاقتصادية لتشكيل النظام الدولي المعارض لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية وقيمها التي نشرتها منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتشير الوثيقة انهما تحاولان تقويض الامن والازدهار الامريكي والسعي لجعل الاقتصادات اقل حرية واقل عدالة، على عد ان الولايات المتحدة الأمريكية هي رمز الحرية الاقتصادية، وان الصين وروسيا الاتحادية تستهدفان العالم النامي باستثماراتهما في البنية التحتية في مناطق العالم المختلفة لأجل اكتساب النفوذ والمزايا التنافسية[55].

فظلت الصين وروسيا الاتحادية لاسيما في بداية القرن الحادي والعشرين تبحثان كل ما من شأنه التخلص من المحاصرة الأمريكية، وتقيد حركتهما أو الزامهما للعمل عبر بوابة المشاركة الناقصة في ادارة النظام العالمي، لذلك تسعى للإحاطة الاستراتيجية بصورة منفردة أو جماعية للتخلص من الاحتواء الامريكي، فدشنت مجموعة بريكس مؤسستين هما: بنك التنمية لمجموعة بريكس، والبنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية براس مال مدعوم من قبل قوى التكتل الهدف المعلن استكمالاً للجهود الدولية المتعددة الاطراف لدعم النمو والتنمية على المستوى العالمي والحد من انتاج التخلف الذي تقوده المؤسسات الاقتصادية العالمية، لكن الهدف الخفي هو التوافق امنياً وعسكرياً واقتصاداً وسياسياً لوضع حد لتحركات الولايات المتحدة الأمريكية في النظام العالمي[56].

والهدف من انشاء هذه المؤسسات يتمثل في تجسيد اطار عمل لتحقيق التنمية في العلاقات البينية، واقامة نظام احتياطي يحمي الدول الاعضاء من تقلبات الاقتصاد العالمي، ومنصة لرؤية اداء التكتل في مقدمتها القضاء على الفقر في العالم في ظل تزايد اثار الفقر نتيجة شروط التعجيزية لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي العالمية ادوات القوى الغربية عبر السياسات الاستثمارية والائتمانية وتقديم القروض بفوائد مناسبة وعدم التدخل في سياسات الدول السيادية، والتعامل مع بنوك التنمية الاقليمية لتشجيع فاعلية العمل الجماعي[57].

(54) لمزيد من التفاصيل ينظر: جوزيف س. ناي، هل انتهى القرن الامريكي، ترجمة محمد ابراهيم العبدالله، دار العبيكان للنشر والتوزيع، 2016، ص ص93ـ94.

(55) محمد كمال، ترامب ومستقبل النظام الدولي، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد215، 2019، ص ص88ـ89.

(56) عبد علي كاظم، المواجهة في قلب الارض: المزاحمة الروسية للولايات المتحدة الأمريكية، دار روافد للنشر والتوزيع، بيروت، 2017، ص ص165ـ166.

(57) فاطمة أمحمدي، مصدر سبق ذكره، ص ص40ـ41.

وتعمل دول التكتل على اصلاح النظام النقدي الدولي لمزاحمة العملة الدولية الرئيسة التي سيطرت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، في ظل ملاحظة خبراء صندوق النقد الدولي ان كل عملة معتمدة دولياً تكاد تكون عملة مسيطرة ذات وزن جيوسياسي تمتد حول الدولة صاحبة العملة، فاصبح النظام النقدي الدولي من نظام ثنائي القطبية – الدولار واليورو- إلى نظام ثلاثي القطبية بعد اعتماد اليوان، لاسيما بعد نفوذ اليوان كعملة تسوية مبادلات وعملة احتياطي في مجموعة دول البريكس وجنوب شرق آسيا جعله يستحوذ على 30 %، الامر الذي خفض حصة الدولار من الناتج العالمي إلى 40 % بدلاً من 60 %، واليورو 20 %، والعملات الاخرى 10 %[58].

وكما يعد البريكس تطويق للولايات المتحدة الأمريكية في حديقتها الخلفية -امريكا اللاتينية - وهو ما عبر عنه رئيس الاورغواي السابق خوسيه موخيكا قائلاً «وجود روسيا الاتحادية والصين يعد طريقاً جديداً يعكس اهمية المنطقة، وربما يبدأ العالم في تقييمنا بصورة افضل» في ظل الاتفاقيات الاقتصادية الروسية والصينية في تتلك المنطقة، لاسيما وان البرازيل سعت لتقوية سياستها الخارجية وجعلت من الدبلوماسية عنصراً في تنميتها الاقتصادية بما يعزز تعدد الاقطاب وديمقرطة المؤسسات الدولية لرفع التحديات المطروحة[59].

اذ ان للصين رؤية مستقبلية عبر تكتل بريكس في ضوء تهديدات الولايات المتحدة الأمريكية للنظام الدولي الحالي، لذلك عكفت على تعزيز وجود هذا التكتل والتنسيق والتوافق بين دوله في الحديقة الخلفية لولايات المتحدة الأمريكية – امريكا اللاتينية- مقابل تزايد النفوذ الامريكي في آسيا ومنع الاضرار بمصالح قوى بريكس في مناطق المجالات الحيوية المباشرة وغير المباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن ترجمة النفوذ الاقتصادي لهذا التكتل إلى نفوذ سياسي تستفيد منه في القضايا الخلافية مع الولايات المتحدة الأمريكية التي تستخدمها لاستمرارية سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الدولي دون منافس[60].

وتجربة دول بريكس في بناء النظام الاقتصادي العالمي اخذت بالتحول وتبنيها دول اخرى لإعادة البناء الهيكلي لاقتصاداتها وتفاعلاته المفتوحة مع العالم على اساس معادلة تحقق تقدماً متصلاً في بناء محركات القوة الداخلية، وتحويلها من مجرد قوة داخلية إلى محركات قوى اقليمية وعالمية عبر تأميم ومصادرة رؤوس الاموال الاجنبية ثم الانقلاب المفاجئ لها طلباً لزيادة رؤوس الاموال الاجنبية والانفتاح الاقتصادي ومن ثم تحرير اسواقها من كل السياسات التي تعمل بها خلال النصف الثاني من القرن العشرين[61].

(58) ابراهيم نوار، معضلات هيكلية: اصلاح النظام النقدي العالمي أم انشاء آخر جديد؟، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد215، 2019، ص ص149ـ150.

(59) نقلاً عن نسيب شمس، مصدر سبق ذكره، ص20.

(60) لمزيد من التفاصيل ينظر: صدفة محمد محمود، رهانات متضادة: كيف امتدت حرب التجارة بين بكين وواشنطن إلى امريكا اللاتينية، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ابو ظبي، 2019/9/10، شبكة المعلومات الدولية- انترنيت- https://futureuae.com.

(61) نوار ابراهيم، اختلالات النظام الاقتصادي العالمي ومحركات تغييره، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد216، 2019، ص67.

وفي مقالة بعنوان مستقبل النظام العالمي الليبرالي لمجلة افورن افريس في حزيزان عام 2011، يشير الباحث ج. جون ايكنبري إلى قدرة النظام العالمي الحالي بالاستمرار لكن ليس بصبغة امريكية أو غربية، وان بدأ كذلك لظروف تاريخية فهو نظام تراتبي ارتكز على القوة الأمريكية ولكنه ذو صفات ليبرالية- رأسمالية في ظل التراجع الامريكي بينما ابعاده الليبرالية - الرأسمالية مستمرة في ظل ملء فراغ القوة للقوى الصاعدة في تكتل بريكس التي لديها دافع التفاعل مع هذا النظام الذي يخدم مصالحها، لاسيما وان طريق الحداثة لهذا التكتل يمر عبر النظام القائم؛ لكونه يوفر ادوات التقدم السياسية والاقتصادية، وهم يحاولون العمل داخل النظام وخارجيه لانتزاع السيطرة القيادية على النظام الدولي[62]، ففي ظل عصر الاضطراب يجد العالم نفسه امام تحديات واستمرار العمل وفقاً للأنظمة والمعايير السابقة ويحمل في طياته الفشل في ظل احتواء العالم لقوى الخير والشر، لذا فأن مواجهة التحديات يتطلب الدخول في صراعات ومعارك للدفاع عن قيم بعينها والانتصار لها وازاحة اخرى[63].

وتناول تقرير مؤتمر ميونخ للأمن في دورته 54 القضايا الأمنية الرئيسة من ضمنها ازمات النظام الليبرالي في ظل التزايد المستمر لعدم المساواة وركود اقتصادي وازمات مالية، ما اوجد الخصوم –تكتل بريكس- فرصة استراتيجية لتهديد النظام الليبرالي لتشكيل نظام ما بعد الغربي لاسيما في ظل تقديم الصين أنموذجاً جذاباً للدول الاخرى يجمع ما بين القيادة الاوتوقراطية والرأسمالية كبديل للأنموذج الغربي[64].

كما قامت الدول القوية وغير القانعة –الصين وروسيا الاتحادية- بتزعم منظومة بريكس بالاتفاق فيما بينها على التمدد في مناطق الفراغ الاستراتيجي والنفوذ السياسي بعد تزايد الخطر الموجه اليها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية لاحتواء المعضلة الاقتصادية وللحد من انتشارها الاقتصادي على مستوى الاقاليم المكونة للنظام الدولي، لاسيما مع روسيا الاتحادية مستغلين التهديدات التي تواجه اقتصادها مع تراجع اسعار النفط وفرض العقوبات عليها بعد ضم شبه جزيرة القرم،[65].

ويتردى العالم في المرحلة الراهنة إلى حالة من القلق والخوف بين اطرافه أو من المستقبل نتيجة ثورة الاتصالات إلى الثورة البيوتكنولوجية التي ولدت عالم مختلف عما سبق واسهمت في احداث تحولات نوعية في الاقتصاد العالمي، فالعولمة اصبحت تواجه تهديدات بعد ان كانت هي التحدي في نهاية الثمانينيات من القرن

(62) كارن ابو الخير، تحولات القوة في عالم بلا اقطاب، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد185، 2011، ص164.

(63) نوار ابراهيم، اختلالات النظام الاقتصادي العالمي ومحركات تغييره، مصدر سبق ذكره، ص57.

(64) عمرو عبد العاطي، مأزق النظام الدولي الليبرالي، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد212، 2018، ص ص274ـ275.

(65) احمد حسن، روسيا والصين في العلاقات الأمريكية الأوروبية، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد212، 2018، ص ص199ـ201.

العشرين للاقتصاديات الاضعف والاصغر اضحت اليوم تحدياً للاقتصاد الاكبر في العالم وهو الولايات المتحدة الأمريكية، فنلاحظ النزاعات التجاربة الأمريكية – الأوروبية، والأمريكية –الصينية، والأمريكية- الروسية، والأمريكية- التركية الأمريكية -الايرانية، والأمريكية- المكسيكية، والأمريكية – امريكا الشمالية، والأمريكية المحيط الهادئ[66].

وتبعاً لما تقدم يعد تكتل بريكس أنموذجاً لتجمع اقتصادي معبراً عن الدول النامية وتطلعاتها وحفظ مواقعها في النظام الدولي وعدم التهميش؛ كون الدول الداخلة فيها كانت تعاني من سياسات القوة المهيمنة على النظام الدولي، وهو يدافع عن تصور اقرب للانسجام في منظمة التجارة العالمية لتنويع الفاعلية الدولية في ظل المؤشرات التي تحمله دول التجمع، ومن سمات هذا التجمع انه يخضع في مصادر قوته لارتباطاته وتبعيته للسوق العالمية التي تتوقف عليها كثير من مبادلاته العالمية، لذلك لايسعى إلى قلبها جذرياً بل تغييرها بما يناسب مصالحه البرغماتية[67].

وهو تحالف دفاعي اكثر منه هو هجومي في ظل ان اعضاءه يطالبون احترام استقلال جميع الدول وسيادتها ووحدتها الاقليمية، ليس لديهم اية مشكلة تنافس جماعي للهيمنة الأمريكية لكنهم لايريدون الصراع أو الاستيعاب على الرغم من خطابات بريكس تتضمن افكار حول النظام والحكم التي لاتتناسب في بعض جوانبها النظام الدولي الليبرالي[68].

ومن المشاكل التي تواجهها بريكس مدى استعداد هذا التكتل أو قدرته على تحويل قواها الاقتصادية المدمجة إلى قوة جيوسياسية، فضلاً عن افتقارها إلى الموقف الاستراتيجي وعمق التحدي مع القيادة الأمريكية او ترسيخ نظام عالمي جديد، وعلى الرغم من ان الاتحاد الاوربي عد بريكس مؤشر على توازن القوى المتغير لكنه لم يتفاوض مع المنظومة بصورة حقيقية، اذ يمكن لهذا التكتل ان يتجه نحو النظام القائم وان يضع بديلاً يتعايش مع النظام السائد لاسيما وان ارتفاع آسيا يعتمد على العولمة الليبرالية الجديد ولكنه يتجلى خارج الانموذج الليبرالي الجديد[69].

ان هذه القوى الاقليمية لها في مناطقها الحيوية المباشرة الدور الاكبر في النظام العالمي؛ لكونها جزء من جهة أو اقليم محدد جغرافياً وسياسياً واقتصادياً وايدلوجياً، تتطلع إلى الهيمنة في الاقليم التي تقع فيه، وتؤثر في رسم الملامح الجيوبوليتيكية والايدلوجية في القرن الحادي والعشرين، وتؤثر فعلياً في اجندة الاقليم الأمنية، وصولاً إلى عالم متعدد الاقطاب تشارك عبره في قيادة النظام الدولي[70].

(66) وحيد عبدالمجيد، اختبار الركائز: فرص الحرب التجارية في عالم مضطرب، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد214، 2018، ص132.

(67) حسن مصدق، البريكس تكتل ناشئ يسعى لإعادة توزيع القوة في العالم، صحيفة العرب اليومية، لندن، العدد9928، 2015، ص6.

(68) علاء محمد الجعبري، مصدر سبق ذكره، ص117.

(69) المصدر نفسه، ص114

(70) ياسر عبدالحسين، منطقة الفراغ في العلاقات الدولية: الرهان الاميركي الروسي في عالم متغير، مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، بغداد، 2016، ص91.

الخاتمــة

سار تكتل بريكس منذ تأسيسه بدفع من القوى التعديلية والمراجعة للنظام الدولي باتجاه خطوات تعديل الاسس والقواعد التي قام عليها النظام الدولي منذ الحرب العالمية الثانية، مستفيد من الافتراضات النظرية التي انطلقت منها القوى المنشأة لهذا النظام من حيث مركزية الدولة في النظام الدولي وسعيها بصورة مستمرة إلى القوة للحفاظ على الوضع القائم ومعالجة المعضلة الأمنية التي تضعها ضمن اولوياتها للتحديث المستمر لقوتها الفعلية لمنع ظهور أية قوى منافسة في البيئة الاستراتيجية الاقليمية أو العالمية، فضلاً عن اهمية التجمعات والمؤسسات الاقليمية والدولية والعابرة للإقليمية في اظهار القوة والتعبير عنها بصورة ناعمة تلافياً للتصادم الصلب الذي يمكن ان يشل قدرتهم وارتفاع تكاليفها عبر جعل التكتل ينطلق من منطلق اقتصادي لكنه متوافق امنياً واستراتيجياً وسياسياً حول تطويق الولايات المتحدة الأمريكية في البيئات الاستراتيجية التي تتواجد بها هذه القوى ولكن بصورة مؤسسية لتجميع القوة وليس المجابهة المنفردة، فضلاً عن تنسيق العلاقات والسياسات مع باقي المؤسسات الدولية أو اتجاه القضايا العالمية في النظام الدولي كنوع من التوافق الدولي بين القوى التعديلية. ومن اهم الاستنتاجات التي توصل اليها البحث هي:

1 - القوة الاقتصادية هي المرتكز الرئيس للانطلاق نحو المرتكزات الاخرى العسكرية والسياسية والتكنولوجية، واساس انتشار القوة بعد الحرب الباردة.

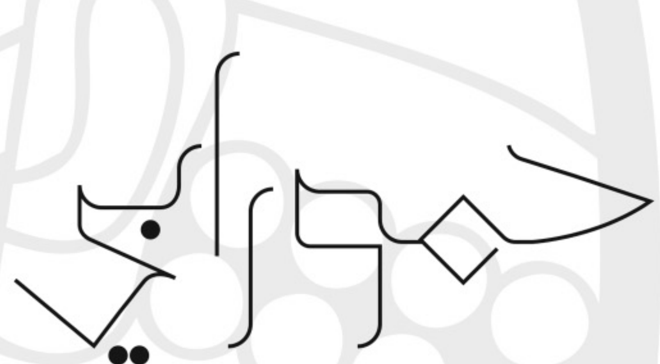
2 - ينطلق تكتل بريكس وفق نظرية التحوط الاستراتيجي التعاون مع الخصم المهدد لأمنهم القومي وتطلعاتهم المشروعة للمشاركة في القيادة العالمية، وفي الوقت نفسه التعاون فيما بين اعضاء التكتل للحد من قدرات الخصم واضعاف نفوذه عالمياً.

3 - التكتل يعبر عن حالة من التوازن الناعم في ظل عدم القدرة إلى التوصل إلى التحالفات الصلبة بين قواه الفاعلة لموازنة تهديد الولايات المتحدة الأمريكية.

4 - تكتل بريكس تكتل واقعي- ليبرالي يجمع بين ثناياه قوى ساعية لمعالجة المعضلة الأمنية وتحقيق توازن القوى عبر الإنفاق العسكري والتحالفات والشراكات والتكتلات الاستراتيجية لمواجهة قوة الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي.

5 - تكتل بريكس استفاد من النظام الليبرالي – الرأسمالي المنشئ بعد الحرب العالمية الثانية بصورة ايجابية فيما يخص السلام لصعود هذه القوى دون اعتراض القوى المسيطرة، وفي الوقت نفسه اصلاح الاختلالات التي رافقت تطبيق النظام لاسيما بعد الازمة المالية العالمية لعام 2008.

6 - بيان عيوب النظام القائم التي اصبحت قواه الفاعلة تحاربه عبر الحروب الاقتصادية والعقوبات والانسحاب من اتفاقيات التجارة الحرة واظهار الحمائية التي تزداد يوما بعد يوم والاتجاه نحو العزلة ومن ثم تراجع مكانة الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي.



بحوث حمورابي

• الحركات الإنفصالية في أوروبا: الدوافع والنتائج	م. م. غفران يونس هادي
• المجتمع الأهلي ودوره في الحياة السياسية الاردنية	أ. م. د. سداد مولود سبع
• صراع الهوية في تركيا في عهد حزب العدالة والتنمية	م. د. أحمد محمد علي جابر
• دور الفضائيات العراقية نحو ثقافة التظاهر والإحتجاج: دراسة جمهور محافظة بغداد/ المركز	انفال حسن فاضل

الحركات الإنفصالية في أوروبا: الدوافع والنتائج

م. م. غفران يونس هادي
باحثة واكاديمية من العراق

* مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ـ جامعة بغداد

المقدمــة

إزداد زخم الدعوات الانفصالية في أوروبا، منذ الأزمة المالية، بداية من 2008 وإلى الآن. وعلا صوت المطالبين بالاستقلال عن دولهم في أوروبا مع سياسات التقشّف التي فرضها الاتحاد الأوروبي على الدول الأكثر تأثرًا بالأزمة المالية.

ويرى البعض ان الازمة المالية يضاف لها العامل القومي هي من غذت دعوات الانفصال ففي اسكتلندا طالب الحزب الوطني الاسكتلندي بالحكم الذاتي الكامل رغم وجود برلمان خاص باسكتلندا مطالب الحزب دفعت لندن للموافقة على تنظيم استفتاء مستقل لكن الاسكتلنديين صوتوا بأغلبيتهم ضد الانفصال. إلا أن نتائج البريكست البريطاني عام 2016، وما تبعه من مطالبة بريطانيا بالانسحاب من الاتحاد الأوروبي، أثار النزاع مجدداً بين إسكتلندا الراغبة بالبقاء في الاتحاد الأوروبي وبين بقية المناطق البريطانية الراغبة بالانفصال. وهناك توجه في الإقليم لإجراء استفتاء ثان لتحديد مصير الروابط المستقبلية.

وفي منطقة الباسك في إسبانيا الذي يتمتع بمجلس نيابي خاص به وتتكفل مؤسساته المحلية بتحصيل الضرائب الأساسية، ويحظى بدرجة عالية من الاستقلالية الذاتيةِ تسمحُ له بالحكم الا أن دعوات الانفصال عن أسبانيا مستمرة، وتعود جذور الحركة الانفصالية الباسكية إلى عام 1893 حيث بدأ القادة في أقليم الباسك بتنمية المشاعر القومية الباسكية المرتبطة بالاحاسيس الدينية العميقة والمدعمة بالتميز العرقي المتعصب والاستقلال عن بقية الشعوب الأوروبية وخاصة «الفرنسي والاسباني

«وشكلت على هذا الاساس أول خلية أنفصالية وسميت الحزب القومي الباسكي تحت شعار «شعب أوربي متميز يتكلم لغة أوربية مختلفة».

المبحث الأول : أقليم الباسك

تدير دولة الباسك الأسبانية الإيرادات الضريبية من تلقاء نفسها وتدفع مبلغا صغيرا فقط إلى مدريد. لكن إقليم الباسك الإسباني أضعف اقتصاديا من كاتالونيا. وعلى الرغم من أن القومية الباسكية ولغة الباسك قد قمعت أيضا تحت حكم ديكتاتورية فرانكو، إلا أن أقلية صغيرة من القوميين الباسكيين تنشط في أنحاء الإقليم. وقد قتلت منظمة ايتا الباسكية اكثر من 800 شخص على مدار 50 عاما لبلوغ هدف انفصالها عن مدريد. وفي عام 2011، تعهدت منظمة إيتا بالتخلي عن العنف.[1]

يتطلع العديد من الكاتالونيين أيضا إلى منطقة الباسك في إسبانيا، إذ أن الحكومة المركزية في مدريد تجمع ضرائب من مختلف المناطق الإسبانية وتقوم بتوزيعها على المناطق الإسبانية الأخرى، باستثناء إقليم الباسك. ويتمتع إقليم الباسك بمجلس نيابي خاص به وتتكفل مؤسساته المحلية بتحصيل الضرائب الأساسية، ويحظى بدرجة عالية من الاستقلالية الذاتيةِ تسمحُ له بالحكم والإدارة المباشرين في مجالاتٍ مثل: المالية وتحصيل الضرائب والصناعة وتنشيط الاقتصاد والبحوث والمستحدثات والنقل والإسكان والبيئة والتعليم والصحة والأمن العام.[2]

تدير دولة الباسك الأسبانية الإيرادات الضريبية من تلقاء نفسها وتدفع مبلغا صغيرا فقط إلى مدريد. لكن إقليم الباسك الإسباني أضعف اقتصاديا من كاتالونيا. وعلى الرغم من أن القومية الباسكية ولغة الباسك قد قمعت أيضا تحت حكم ديكتاتورية فرانكو، إلا أن أقلية صغيرة من القوميين الباسكيين تنشط في أنحاء الإقليم.

تعد منظمة أيتا ETA والتي تعني (Basque fatherland and liberty) (الباسك أرض الوطن والحرية)، احد ابرز التنظيمات الانفصالية في غرب أوربا والتي تنادي بأستقلال أقليم الباسك والذي يقع في الجزء الجنوبي من فرنسا الشمالي من أسبانيا مستخدمه العنف كوسيلة للضغط على الحكومة الاسبانية لتحقيق مطالب الانفصال، أيتا تعتبر السكان في أقليم الباسك أمة مستقلة ذات دعائم قومية ذاتية تختلف عن ما يحيطها من الشعوب الأوروبية، وغالبا ما شكلت الاراضي الباسكية الفرنسية عمقا استراتيجيا في غاية الاهمية بالنسبة لمجندي ايتا العاملين في أسبانيا، وكانت الاراضي الفرنسية حتى أعوام مضت تشكل قاعدة متينة يكمن فيها المجندون ويهربون اليها وتجمع فيها مخازن الاسلحة.[3]

(1) https://www. sasapost. com/ europe _ disintegrate

(2) https://www.dw.com/ar/ %D9 %84 %D9 %8A %D8 %B3 %D8 %AA_ %D9 %83 %D8 %A7 %D8 %AA %D8 %A7 %D9 %84 %D9 %88 %D9 %86 %D9 %8A %D8 %A7_ %D9 %81 %D8 %AD %D8 %B3 %D8 %A8 _ %D9 % 85 % D9 %86_ %D 8 %AA %D8 %B7 %D8 %A 7 %D9 %84 %D8 %A8_ %D8 %A8 %D8 %A7 %D9 %84 %D8 %A7 %D8 %B3 %D8 % AA %D9 %82 %D9 %84 %D8 %A7 %D9 %84 _ %D9 %81 %D9 % 8A _ %D8 % A3 %D9 %88 %D8 %B1 %D9 %88 %D 8 %A8 %D8 %A7/a_40783298

(3) https://www.dw.com/ar / % D9 %84 % D9 % 8A %D8 %B3 % D8 %AA_ %D9 % 83 %D8 %A7 %D8 %AA %D8 %A7 %D9 %84 %D9 %88 %D9 % 86 %D9 %8A %D 8 %A7 _ %D9 %81 %D8 %AD %D8 % B3 %D8 %A8_ %D9 %85 % D9 % 86_ %D8 %AA %D8 %B7 %D8 %A7 %D9 %84 %D 8 %A8_ %D8 %A8 %D8 %A7 %D9 %84 % D8 %A7 %D8 %B3 %D8 %AA %D9 %82 % D9 %84 %D8 %A7 %D9 %84_ %D9 %81 %D9 %8A_ %D8 %A 3 %D9 %88 %D8 %B 1 %D9 % 88 % D8 %A 8 %D8 %A7/ a_407 83298

فما هو أمتداد أقليم الباسك الذي تطالب به ايتا وماهي جذور هذه الحركة؟

يقع اقليم الباسك الذي يطالب به الاستقلاليون القوميون من أبناء الشعب الباسكي في أراضي دولتين أوربيتين هما فرنسا وأسبانيا ويطل جزء منه على البحر الكانتابري مدخل المحيط الاطلسي ويتشكل من عدة مناطق هي نابارا،غيبوثكا، بيتكاجا وأقليم الباسك الفرنسي الذي يقع ضمن الحدود الفرنسية. وتبلغ مساحة أقليم الباسك ما يقارب 18 الف كم2 وعدد سكانه 3 مليون مواطن من أصل مجموع الشعب الاسباني البالغ 39 مليون ويتحدث اللغة الباسكية، أما توزيع السكان في الاقليم يكون على ثلاثة مناطق الاولى يمثل الباسكيون فيها نحو 80 % من أجمالي السكان والثانية هي منطقة نايازا الواقعة في الجنوب وأكثرية سكانها من الاسبان وليس الباسكييتن، اما المنطقة الثالثة التي تقع في الجنوب الغربي من فرنسا وتحديدا شمالي مدينة سان سيباستيان لا يمثل الباسكيون فيها سوى 10% من سكانها.

وتعد جذور الحركة الانفصالية الباسكية إلى عام 1893 حيث بدأ القادة في أقليم الباسك بتنمية المشاعر القومية الباسكية المرتبطة بالاحاسيس الدينية العميقة والمدعمة بالتميز العرقي المتعصب والاستقلال عن بقية الشعوب الأوروبية وخاصة «الفرنسي والاسباني» وشكلت على هذا الاساس أول خلية أنفصالية وسميت الحزب القومي الباسكي تحت شعار «شعب أوربي متميز يتكلم لغة أوربية مختلفة» وقام الاخصائيون في علم الاجتماع وعلوم التاريخ بوضع الموسوعات المختصة بتاريخ الباسك وترسيخ الفلكلور الباسكي وحفظ التراث إلى درجة المحافظة حتى على الاناشيد والاغاني الشعبية وحتى ترانيم المواليد في المهد بالغوا في التشديد على نقلها من جيل إلى أخر، كما نشطت حركة التأليف الموسيقي والادبي باللغة الباسكية.[4]

وعندما قامت الجمهورية الاسبانية الثانية، شكل الباسك أول مقاطعة مستقلة بأنتخابات محلية عام 1936 وذلك قبيل أندلاع الحرب الاهلية التي أشتعلت بين اليمين واليسار في أسبانيا، وكانت القوى اليسارية وعلى رأسها الحزب الشيوعي قد أستطاعت الاعلان عن الجمهورية الثانية في أسبانيا ومنحت الانفصاليين الحكم الذاتي، فلما قاد فرانكو حملة العنيفة لأعادة اليمين إلى الحكم ففرض عليهم الحصار وتم أعتقال وتعذيب العديد منهم، وكانت اللغة الباسكية محضورة في تلك الفترة الامر الذي ساعد على ولادة تيار جديد من الشعـور القومي الانفصالي الذي بدأ ياخذ شكلا خاصا منذ عام 1960 حيث تبلوت الفكرة لأول مرة كحركة طلابية معارضة للجنرال فرانكوا وأعلنت أيتا (ETA) عن نفسها (منظمة الباسك الانفصالية)

(4) https://www.dw.com/ar/%D8 %A5 %D8 %B3 %D8 %A8 %D8 %A7 %D9 %86 %D9 %8A %D8 %A7_ %D8 %A7 %D8 %AD %D8 %A A %D8 %AC %D8 %A7 %D8 %AC %D8 %A7 %D8 %AA_ % D8 %B9 %D9 %86 %D9 %8A %D9 %81 %D 8 %A 9_ % D8 %B6 %D8 %AF_ % D8 %A7 %D9 %84 %D8 %AA %D9 %82 %D8 %B4 %D9 %8 1_ %D9 %88 %D9 %85 %D8 %B7 %D8 %A7 %D9 %84 %D 8 % A8_ % D8 %A7 %D9 %86 %D 9 % 81 %D8 % B5 % D8 %A7 %D 9 % 84 % D9 %8A %D8 % A9/a_16263241

متعمدة على دعائم أساسية ثقافية ولغوية وعرقية وقامت منظمة ايتا بتنفيذ أول عملية أغتيال في عام 1968 لواحد من كبار رجال الدولة تبعتها سلسلة من عمليات الاغتيال والتفجير والاختطاف. الامر الذي يجعلنا أن نتطرق إلى التركيب الداخلي لمنظمة ايتا والوسائل التي استخدمتها للضغط على الحكومة الاسبانية ؟

فما هو التركيب الداخلي لمنظمة ايتا وماهي الوسائل التي أستخدمتها لتحقيق مطالبها؟

ينقسم الجهار العام لمنظمة ايتا إلى ثلاثة اقسام هي :

1 - المؤسسة السياسية القانونية المتمثلة بالجناح السياسي والذي يتشكل من أعضاء الحزب المسمى (باتا سونا) وهذا الحزب ممثل بأربعة اعضاء في مجلس الشعب الاسباني وتصدر عنه صحيفة رسمية.

2 - المؤسسة التقنية وهي تختص بتوزيع المجندين وايوائهم وتزويدهم بالاوراق المزوره اللازمه وأعدادهم الحركتي النفسي ويتواجد هذا الجهاز في الاراض الفرنسية.

3 - المؤسسة العسكرية التنفيذية وهي التي تعمل على أعداد العناصر الفاعلة في المنظمة وتجهيز هؤلاء عسكريا ومن ثم تزويدهم بالخرائط والخطط والاسلحة اللازمة.

وتحتاج هذه المؤسسات التي تعتبر عالية التجهيز إلى دخل مادي واسع ويعتبر أهم مصدر من مصادر دخل ايتا هو عمليات الاختطاف ودفع ما يسمى (الجزية الثورية) وتمتد فترات أحتجاز المختطفين لدى أيتا إلى اكثر من عام احيانا وتسجن ايتا هؤلاء الاشخاص في قبور تحت الارض وفي عزلة تامة عن الحياة ولم تستطع قوى الامن الفرنسية ولا الاسبانية العثور وبالتالي الافراج الا عن أثنين فقط من المختطفين خلال 30 عاما.

كما يرى البعض بأن ايتا تتلقى الدعم من بعض دول امريكا اللاتينية التي يهمها الضغط على السياسية الأوروبية من خلال الضغط على السياسية الاسبانية، كما يرى بعض المراقبين ان ايتا تتلقى مساعدات كبيرة من الحكومات الاسبانية ذاتها لتوقف عملياتها خلال مدة من الزمن كما حدث اثتناء مباريات كأس كرة القدم عام 1984 أو اثناء معرض اشبيلة الدولي عام 1992.

يسعى الانفصاليون الباسكيون إلى استقلال» أرض الناطقين بالاوسكيرا» وينسب إلى هذه المنظمة مقتل 819 شخصا خلال أربعين عام في حربها من أجل الاستقلال ففي عام 1980 قامت المنظمة بعملية أغيتال 92 وفي عام 2000 نفذت عملية أغتيال 23 شخص وفي 2001 قامت باغتيال 51 وفي عام 2002 نفذت 5 عمليات أغتيال اما في عام 2003 فقامت المنظمة بأغتيال 3 اشخاص .ولم تكتفي منظمة ايتا بعمليات الاغتيال التي شملت رجال شرطة وعدد من الشخصيات الحكومية بل نفذت العديد من عمليات التفجير فقد شنت في عام 2006 هجوما على مطار مدريد، كما تمكنت الحكومة الاسبانية من أحباط محاولة دبرتها المنظمة للهجوم على قمة الاتحاد الاوربي في مارس من عام 2002 وقد كلفت العمليات المسلحة التي نفذتها منظمة ايتا الحكومة الاسبانية 11 بليون دولار للفترة من 1994 لغاية 2003.

الا أن الحكومة الاسبانية وبالتعاون مع الحكومة الفرنسية وجهت عدة ضربات لمنظمة ايتا ففي العام 2004 أذ أعتقلت 26 شخص بينهم أكبر زعماء المنظمة وهم (مايكل البثو) و(ماري سول) المتوطة شخصيا بـ14 عملية اغتيال، ولعل مساهمة الحكومة الفرنسية في مجال القضاء على هذه الحركة يعود المخاوف الفرنسية من الانفصاليون الباسك الذين يطالبون بقسم من الاراضي الفرنسية كامتداد لأقليمهم كما ان فرنسا تريد من اسبانيا مساعدتها في تطويق حركة المسلحين الاسلاميين وضبط نشاطاتهم لكي لاتشكل هذه عمقاً معنوياً لتلك المتواجدة في الاراضي الفرنسية.

مع وصول اليمين إلى الحكم في اسبانيا أصبحت أسبانيا أمة متعددة القوميات ومتعددة اللغات فقد منحت الاقاليم المختلفة حكما ذاتيا وبدات شخصيات هذه الاقاليم بالتبلور إلى درجة شعور كل واحدة منها بأنها أمة مستقلة، وفقا لذلك فأن أقليم الباسك وفقاً للدستور الاسباني ومنذ عام 1978 يتمتع بحكم ذاتي إذ ينص الدستور الاسباني من حق الاقاليم السبعة عشر التي تشتمل عليها أسبانيا في أدارة نفسها ذاتيا عبر حكومات محلية تخضع مباشرة للحكومة المركزية في مدريد كما يكون من حق الاقاليم (الباسك وكاتالونيا وبلانسية) استعمال اللغة المحلية واحترام تقاليدها وأعرافها الخاصة.

وعليه فالاقليم الباسك برلمان خاص ويتمتع الاقليم بسلطات لأدارة شؤون الاقليم في مجال التعليم والصحة، ورغم السلطات التي يتمتع بها الاقليم إلا ان الرغبة في الحصول على الاستقلال الكامل بقيت ولفترات طويلة الهدف الذي يسعى الانفصاليون اليه لا سيما مع احتفاظ ايتا بالجناح العسكري الفعال، اما الخارطة

السياسية للاقليم فتتوزع بين ثلاثة احزاب فاعلة الحزب الوطني الباسكي الذي يستنكر العنف إلا أن هذا الحزب لا يخفي ميوله الانفصالية، الحزب الشعبي ثم الحزب الاشتراكي وهما يناهضان الانفصال ويحظيان بتأييد شعبي أما تنظيم هيري باتاسونا ومعناه (الباسكيون معنا) فهو الحزب المتطرف الذي يطالب بالاستقلال عن أسبانيا ووسيلته في ذلك أشاعة الفوضى والاعتداءات الارهابية والهدف من ذلك هو أحراج الحكومة المركزية في مدريد واجبارها على قبول استقلال أقليم الباسك عن أسبانيا.[5]

(5) الشرق الاوسط 19 شهر رمضان 1439 هـ ـ 02 يونيو 2018 م. رقم العدد (14431)

الحكومة الاسبانية اصرت على التعامل مع قضية اقليم الباسك وفق الدستور الذي أعطى الاقاليم أستقلالاً ماليا وأمنيا باستثناء العدل والخارجية، كما حاربت الحكومة الاسبانية التنظيمات السياسية التابعة لمنظمة أيتا فقد أصدرت المحكمة الاسبانية العليا قرار بحل حزب (أوسكال هيريتاروك) (الانفصاليون المتشددون) لمسانده الارهاب، كما سعت الحكومة الاسبانية إلى توقيع ميثاق لمكافحة الارهاب مع احزاب المعارضة يهدف إلى أحكام القبضة الامنية على كل مايحيط بمنظمة ايتا من أشخاص أو جمعيات أو احزاب وتجميد ممتلكات الشخصيات القيادية في التنظيم.

ولم تستجب الحكومة الاسبانية لأغلب مطالب المنظمة ففي عام 1997 أختطفت منظمة ايتا مستشار محلي مطالبة باطلاق سراح 460 من أعضاء المنظمة كشرط لأطلاق سراحة، الا ان الحكومة الاسبانية لم تستجب، وبقيت احداث العنف تلعب دورا في الخارطة السياسية للأقليم الباسفك وبالتالي صعود الاحزاب المعتدلة، ففي أنتخابات عام 2001 ومع الانفجار الذي طال العاصمة مدريد دفع الغضب الشعبي عن أعمال المنظمة إلى التصويت للحزب الوطني وحصل الحزب على 33 مقعد من مجموع 75 فيما لم يحصل ممثلي ايتا إلا على 7 مقاعد ولعل رفع الشعب الاسباني شعار «هذا يكفي» لمواجهة منظمة ايتا بعد الاعمال الارهابية العديدة ساهم في تحجيم فرص نجاح ممثلي أيتا.

ساهم المنهج المتشدد الذي أتبعته الحكومة الاسبانية في التعامل مع قضية اقليم الباسك بخلق قناعة للشعب الباسكي بشرعية نضالة ضد الدولة الاسبانية لا سيما مع تورط الحكومة الاسبانية في تأسيس منظمة الغال والتي نفذت أعمال الخطف والقتل ضد مجندي أيتا أو من يشتبه بصلته المباشرة بالمنظمة هذا الموقف المتشدد يضاف له أستناد منظمة أيتا إلى فكر قومي ثقافي منحها قوة روحية خاصة، كلها عوامل ساهمت في استمرار تأجيج العنف، فكلما تدخل مرحلة أطلاق النار بين

الطرفين حيز التنفيذ تنتهي بسبب تمسك أحد الاطراف بمواقفة فقد أوقفت أيتا قرار أطلاق النار في 2007 والذي أستمر منذ مارس 2006 أحتجاجا على قرار الحكومة الاسبانية لألغاء بعض اللوائح الانتخابية المحلية والتي منعت مشاركة اليسار الباسكي، كما تمكنت السلطات الاسبانية في يناير 2010 من أعتقال أربعة عناصر من المنظمة على الحدود الاسبانية - البرتغالية وهم يقودون سيارة محملة بالمتفجرات. كلها مؤشرات تدل على بقاء مخاطر تصاعد العمليات المسلحة.(6)

(6) http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2018/08/180830101721966.html

إلا أن الضربات التي وجهت للمنظمة المتمثلة باعتقال العقول المدبرة فيها واتجاه أغلب السكان في الاقليم برفض العنف والعمليات المسلحة التي تقودها المنظمة عوامل خلقت حالة من العزلة لمنظمة أيتا، كما أن الانفصال اصبح غير ممكن التحقيق جغرافيا لوجود 30% من بلاد الباسك في فرنسا، وعليه ستكون فكرة الانفصال في الاقليم توجه ثقافي أكثر من كونها مطالب سياسية لاسيما مع صعود الاحزاب المعتدلة والتي تسعى إلى الحفاظ على الموروث الثقافي للاقليم ضمن الحكم الذاتي الذي يتمتع به اقليم الباسك ولا تسعى إلى تحقيق فكرة الانفصال التام.

المبحث الثاني: إسكتلندا

الحديث عن اسكتلندا يرتبط بالتأكيد بالحديث عن المملكة المتحدة التي تمثل دولة ذات نظام ملكي دستوري وتعد دولة إتحادية بموجب قرار سنة 1800 وتتكون من أربع أقاليم وهي: إنجلترا وأيرلندا الشمالية واسكتلندا وويلز يحكمها نظام برلماني وتتمركز الحكومة في العاصمة لندن، لكن هنالك حكومات محلية في كل من بلفاست عاصمة آيرلندا الشمالية وكارديف عاصمة ويلز وادنبره عاصمةاسكتلندا أي أنها أقاليم تتمتع بحكم ذاتي داخلي.

اسكتلندا كانت أمة مستقلة بذاتها حتى بداية القرن الثامن عشر. وتحت ضغط ظروف عديدة راحت تنضم إلى إنجلترا، لكي تشكل ما ندعوه: ببريطانيا العظمى. وقد حافظت تلك البلاد على استقلالها على مدار القرون بشكل كلي أو جزئي على الرغم من محاولات إنجلترا ضمها إليها. ولم تنجح هذه المحاولات فعلاً إلا عام 1707، أي في بداية القرن الثامن عشر كما قلنا. أما قبل ذلك فكانت اسكتلندا بلاداً مستقلة بذاتها، ولها هويتها الثقافية واللغوية والتاريخية الخاصة بها يجمعها مع بريطانيا المذهب الديني البروتستانتي.

يعد العام 1560 عاما مهما في تبني الاصلاح الديني في اسكتلندا. عندما أدان البرلمان الاسكتلندي الفاتيكان وسلطة البابا وأعلن عدم الاعتراف بها بعد الآن. وكان بابا روما يسيطر على كل أنحاء أوروبا في ذلك الزمان على الأقل من الناحية الدينية. وبعدئذ طلب البرلمان من عدد من رجال اللاهوت ان يتم تبني العقيدة الكاثوليكية القديمة. وقد تجاوب المصلح الديني الكبير كنوكس* مع طلب البرلمان ونشر عدة كتب لاهوتية. وهي التي أسست المذهب البروتستانتي في اسكتلندا وجعله ينتشر.[7]

وقد أدت كل هذه التفاعلات والصراعات الدينية والعقائديةإلى انفجار الثورة الانجليزية الأولى عام 1642 ثم الثانية عام 1688. وهاتان الثورتان هما اللتان أدتا إلى تأسيس الحداثة السياسية في انجلترا. وهكذا اصبحت بريطانيا أول ديمقراطية في العالم. وكل ذلك مرتبط بالمذهب الإصلاحي البروتستانتي وانتشار الأفكار الجديدة.

هناك عدة عوامل جعلت اسكتلندا تنضم إلى مملكة انجلترا وتشكلان معاً بريطانيا العظمى. وهذا المصطلح ظهر لأول مرة عام 1603 أي في بداية القرن السابع عشر وذلك على يد الملك جاك الأول. من هذه العوامل هو الاشتراك في المذهب ومحاربة المذهب الكاثوليكي وحاجة اسكتلندا إلى انجلترا جارتها الجنوبية من أجل التجارة ليس فقط دائماً مع مستعمراتها أيضاً. ومعلوم أن انجلترا كانت قد أصبحت دولة استعمارية.من بينها ضغط ملكة انجلترا على اسكتلندا لكي تقبل أخيراً بالتخلي عن نزعتها الاستقلالية. وهكذا كان. فقد تحققت الوحدة الانجليزية الاسكتلندية عندما قبلت أدنبرة معاهدة الوحدة عام 1707. ومنذ ذلك الوقت أصبحت اسكتلندا جزءاً لا يتجزأ من بريطانيا العظمى. هذه المعاهدة لم تمثل سيطرة بريطانيا على اسكتلندا بقدر ماكانت تعد ترتيبات فيدرالية التي ضمنت الحفاظ على الثقافة الاسكتلندية وضمت للطرفين حرية التجارة.[8]

وقد قبلت اسكتلندا آنذاك أن تلغي برلمانها القومي الذي كان ينعقد في أدنبرة. وأصبحت ترسل نوابها إلى البرلمان الانجليزي في ويستمنستر. وقد استمرت الوحدة بين الشمال الاسكتلندي والجنوب الانجليزي دون مشاكل تذكر لأن كلا الطرفين التزم بتطبيق بنود المعاهدة بدقة.

يضاف إلى ذلك ان هيمنة الانجليز لم تكن مطلقة ولا استبدادية. فقد قبلوا بأن يزيد عدد نواب اسكتلندا في مجلس العموم من خمسة وأربعين إلى اثنين وسبعين بين عامي 1707 1885. وساعد على الانصهار بين كلا الشعبين التبني الكامل للغة

(7) Chrestover harvie, Scotland and nationalizatiom, scothish society and politics 1707 to the present, rotuledge, London and new York, 2004, p8_28.

* كونكس هو مصلح ديني اسكتلندي وقائد حركة الإصلاح البروتستانتي كانت له اليد الطولى في نقل البلاد من الكاثوليكية إلى البروتستانتية.

(8) Chrestover harvie, opcit, p12

الانجليزية في اسكتلندا واختفاء لهجتها أو لغتها المحلية التي لم يعد يتكلمها إلا 5,1 % من عدد السكان.[9]

وبالتالي فقد حصل انسجام لغوي وثقافي بين شمال بريطانيا العظمى وجنوبها. وقد ساهمت الثورة الصناعية الانجليزية في تحسين أوضاع السكان في اسكتلندا ورفع مستوى معيشتهم.وهذا ما زاد من تقوية أواصر الوحدة بين الطرفين. فقد ابتدأ سكان اسكتلندا يقطفون من ثمار الوحدة. وأدى هذا التحسن الاقتصادي إلى زيادة عدد سكان اسكتلندا الذي كان مليوناً فقط أثناء توقيع معاهدة الوحدة فأصبح الآن أكثر من ستة ملايين.

ورغم هذه الوحدة الا أن اسكتلندا احتفظت بالعديد من السمات المميزة، بما في ذلك الكنيسة منفصلة والنظام القانوني. وأنشئ شكل من أشكال الانتقال الإداري لاسكتلندا في عام 1885 عندما تم إنشاء مكتب الاسكتلندي كوزارة حكومة المملكة المتحدة، على افتراض المسؤولية عن العديد من القضايا التي تم التعامل في انجلترا وويلز معها من قبل الحكومة البريطانية مثل الصحة والتعليم، العدل والزراعة ويرأسها وزير مجلس الوزراء في المملكة المتحدة، وزير الدولة لشؤون اسكتلندا.في عام 1979 تم عقد استفتاء على المقترحات المقدمة من الحكومة بعد ذلك إلى تأسيس الجمعية الاسكتلندية، ولكن على الرغم من أن أغلبية ضئيلة صوتت لصالح مقترحات لم تحصل على تأييد 40 في المائة من الناخبين، التي وضعت كشرط قبل أن يمكن تنفيذها.[10]

في عام 1989 تم تأسيس المؤتمر الدستوري الاسكتلندي، وتتألف من ممثلين عن اسكتلندا المدنية وبعض الأحزاب السياسية، لوضع مخطط تفصيلي للنقل بما في ذلك مقترحات لانتخاب البرلمان الاسكتلندي مباشرة مع سلطات تشريعية واسعة تلقت هذه المقترحات تأييدا ساحقا في استفتاء في 11 سبتمبر عام 1997

وبعد صدور قانون اسكتلندا لعام 1998 عقد البرلمان الاسكتلندي رسميا أول جلساتة في 1 يوليو / تموز 1999 - وهو التاريخ الذي يصادف نقل الصلاحيات في الأمور المفوضة والتي كانت تمارس سابقا من قبل وزير الدولة لشؤون اسكتلندا.[11]

ومع أنعقاد جلسات البرلمان الاسكتلندي. بدأت العديد من الافكار تتجه إلى المطالبة بأعلان أستقلال اسكتلندا، وبالفعل وافقت حكومتي المملكة المتحدة والحكومة الاسكتلندية على العمل معا لضمان إجراء استفتاء على استقلال

(9) http://www.albayan.ae /paths/books/1135664171971 ـ 2006_01_02_1.879453

(10) http://www.gov.scot/About/Factfile/18060/11550

(11) Scottish Planning Policy, Published by the Scottish Government, June 2014 p7

اسكتلندا الاتفاق الذي أطلق عليه أتفاق أدنبرة وقع في 15 أوكتوبر 2012 وتم الاتفاق ان يكون للاستفتاء اساس قانوني واضح وان يشرع من قبل البرلمان الاسكتلندي وبموجب المادة 30 من قانون اسكتلندا عام «1998 يسمح لأجراء الاستفتاء لسؤال عن استقلال اسكتلندا الذي سيعقد قبل نهاية عام 2014».[12]

(12) Scottish independence refer_ endum, December 2014, the elec_ toral commission,p29_33

على مدى 300 عام بقيت اسكتلندا جزء من التاج البريطاني، الا ان الروح الانفصالية بدأت بالتصاعد بشكل واضح على يد الحزب الوطني الاسكتلندي (Scottish National Party (SNP، وبعد جهود مستمرة وحملات عديدة قادها الحزب الوطني الاسكتلندي من أجل وضع خطوات الانفصال، نجح الحزب في أقناع بريطانيا بعقد «أتفاقية أدنبرة» ما بيـن لندن واسكتلندا التي ستفتح الطريق لبداية عهد جديد في العلاقات ما بين الطرفين ولعلها ستخلق دولة جديدة مستقلة، الاتفاق الذي وقع في قصر سانت أندرو مقر الحكومة الاسكتلندية، سيمنح البرلمان الاسكتلندي صلاحية لتنظيم الاستفتاء في 18 أيلول / سبتمبر 2014 حول رغبة سكان اسكتلندا للبقاء ضمن بريطانيا أو أعلان الانفصال عنها. واسكتلندا ترتبط منذ 1707 بالتاج البريطاني، وتحظى منذ 1997 بحكم ذاتي واسع ضمن المملكة المتحدة التي تضم بريطانيا وويلز وآيرلندا الشمالية. ويتمتع البرلمان الاسكتلندي بصلاحيات في مجالات التربية والصحة والبيئة والعدل. إلا أن المسائل المتعلقة بالشؤون الخارجية والطاقة والضرائب والدفاع تبقى من صلاحية لندن.

يرى أعضاء الحزب الوطني الأسكتلندي الممثل برئيسه» آلكس سالموند» ان اسكتلندا تطمح إلى مزيد من تفويض السلطات اليها وأنها ستكون أفضل بدون التداخل أو التعارض من السلطات في لندن، كونها ستحكم وفق رغبات الشعب الاسكتلندي وستشمر أموالها حسب الاولويات التي يحتاجها الشعب. وعلى مايبدو ان المحرك الاقتصادي لعب دورا كبيراً في تنامي الشعور بالانفصال فقد اشارت منظمة الامن والتعاون الأوروبية أن اسكتلندا في حال أنفصالها ستكون خامس أغنى دولة للموارد التي تتمتع بها.

الاسكتلنديون يرطرحون انفسهم بشكل مختلف عن عموم بريطانيا فهم يعتبون أنفسهم من أقدم الدول الأوروبية وهي أي اسكتلندا كانت دولة مستقلة عبر التاريخ أكثر من بقائها ضمن التاج البريطاني منذ العام 1707، تميل اسكتلندا إلى كونها يسارية التوجه، والاحزاب في خارطتها السياسية هي أحزاب ديمقراطية - أشتراكية وهي تفتخر بأنها قدمت أول برلمان في أوربا كان حزب الخضر فيه هو الحزب المهيمن.

فاسكتلندا تعد نفسها أنها الاكثر تقدما في أغلب القطاعات فعلى سبيل المثال وفي مجال البيئة فأن اسكتلندا أول من منعت التدخين في المناطق المغلقة، فالاسكتلندين يعتبرون ان بريطانيا لا تعكس تقدمهم وبالتالي فهم يسعون إلى الانفصال عنها.

ولكن السؤال الذي يطرح هل اسكتلندا بعد الاستقلال ستعد من دول الاتحاد الأوربي أم أنها ستحتاج إلى مفاوضات جديدة للدخول تحت خيمة الاتحاد.؟

لا بد من التأكيد أن اسكتلندا هي جزء من الاتحاد الاوربي وسكانها هم مواطنين أوربيين يضاف إلى ذلك أنها تمتلك ممثلين في هيئات الاتحاد الأوربي، وبذلك فهي ليست بحاجة إلى مفاوضات جديدة للدخول إلى الاتحاد الاوربي، الا أنها بحاجة إلى الدخول إلى مظلة اليورو، فاسكتلندا لا تعارض دخولها في العملة الموحدة وهذا ما اشار اليه «لويس مكدونالد عضو حزب العمال في البرلمان الاسكتلندي اذ أوضح «أن اليور يعد النظام الأمثل والاكثر نجاحا عبر التاريخ الأوربي». كما ان الاسكتلندين يؤكدون ان الاستقلال سيسير بشكل ناجح لان اسكتلندا تملك مواردها العديدة فهي ليست كباقي الدول الأوروبية الصغيرة التي دخلت الاتحاد الأوروبي وواجهت مشاكل مادية بسب الضعف في أقتصادها.

الا ان بريطانيا ودول عديدة في أوروبا لم تعبر عن أرتياحها من هذا التوجة، فأسبانيا على سبيل المثال ترى أن أعلان استقلال اسكتلندا سيخلق حالة من عدم الاستقرار في عموم أوربا وسيمنح الالهام لاقاليم أخرى بالسير على نفس هذا النهج، وبالتأكيد فأن أسبانيا تخشى من تنامي الحركات الانفصالية في اقليم الباسك وكتالونيا.

أما بريطانيا فقد دعا رئيس وزرائها ديفيد كاميرون عند توقيع اتفاقية ادنبره دعا الشعب الاسكتلندي إلى التصويت ب «لا» للاتفاقية موضحا «بأن اسكتلندا ستكون أفضل مع بريطانيا المتحدة وبريطانيا ستكون أفضل مع اسكتلندا فالجانبين سيكونان أقوى في الاتحاد».

كما حذرت وزارة المالية في تقرير لها من الاثار الاقتصادية لأنفصال اسكتلندا اذ أشار التقرير أن أسكتنلدا المستقلة سترث قطاعا مصرفيا ضخما جدا مقارنة بحجم اقتصادها وستتجاوز الأصول المصرفية 1250 % من الناتج المحلي الإجمالي مما يجعلها مهددة بصدمات مالية وسيدفع الشركات للانسحاب من هناك.

وبالتأكيد فأن بريطانيا ستفقد من مواردها الكثير في حال أعلان أستقلال اسكتلندا كما أنها ستفقد قوة التصويت في الاتحاد الأوربي لانها ستتعرض إلى التقليل في حجم تمثيلها وبذلك ستكون أضعف أمام قوى كبرى مثل المانيا وفرنسا.

لكن المخاوف البريطانية والأوروبية لم تتمكن من أيقاف ماخطط له الاسكتلنديون في أعلان الانفصال، فعند وصول الحزب الوطني الاسكتلندي إلى البرلمان نجح الحزب في اقرار قانون سمح بتقليل عمر التصويت ليكون 16 سنة بدلا من 18، ولعل هذه الخطوة كانت بمثابة منح قوة أكبر للتصويت لصالح أستقلال اسكتلندا لاسيما ان التصويت سيشمل الفئات العمرية الشابة التي بطبيعتها تسعى إلى الاستقلال.

وعليه فأن اسكتلندا غير مترددة من اعلان الاستقلال فهي ترغب بعودة أمجادها كدولة مستقلة لاتفرض عليها توجهات سياسية كالذي حدث في قرار الحرب على العراق أذ وقف الحزب الوطني الاسكتلندي بالضد من مشاركة بريطانيا في هذه الحرب، كما أن قوتها الاقتصادية منحتها الدافع لأعلان هذه الاستقلال وهذا ما اكدت عليه أستطلاعات الراي العام التي جرت في اسكتلندا مؤخرا التي أوضحت أن ما يقارب 51% من السكان يقف مع أعلان الاستقلال في حين يعارض استقلال اسكتلندا مانسبته 49%. وهذا يؤشر أن اسكتلندا سائرة في أعلان أستقلالها عن التاج البريطاني في 2014.

وستعى اسكتلندا بأن يكون أعلان أستقلالها أذا ماكانت نتيجة التصويت في الاستفتاء لصالح الاستقلال ستسعى بأن يكون الاحتفال متزامنا مع الذكرى ال700 لأنتصار اسكتلندا على بريطانيا في معركة بانوكبورن عام 1314 وأعلان أنتصارها واستقلالها عن بريطانيا، وتستعد اسكتلندا لأقامة معرضا سيفتتح في 2014 يتضمن عرضاً لفنون العصور الوسطى ويجسد المراحل التاريخية التي غيرت مسار اسكتلندا وأعلنتها دولة مستقلة.

الخاتمــة

رغم ان عمر الاتحاد بين اسكتلندا وبقية المملكة المتحدة يبلغ حوالي 300 عاما، إلا أن الاسكتلنديين ظلوا يسعون جاهدين من أجل المزيد من الحكم الذاتي منذ فترة طويلة. ويطالب الحزب الوطني الاسكتلندي بالحكم الذاتي الكامل حيث أن لديهم بالفعل برلمان خاص بهم. وفي عام 2014، وافقت لندن على تنظيم استفتاء مستقل من أجل تحديد مصير الاتحاد، حيث صوتت غالبية الاسكتلنديين

ضد الانفصال. إلا أن نتائج البريكست البريطاني عام 2016، وما تبعه من مطالبة بريطانيا بالانسحاب من الاتحاد الأوروبي، أثار النزاع مجددا بين إسكتلندا الراغبة بالبقاء في الاتحاد الأوروبي وبين بقية المناطق البريطانية الراغبة بالانفصال. وهناك توجه في الإقليم لإجراء استفتاء ثان لتحديد مصير الروابط المستقبلية.

تدير دولة الباسك الأسبانية الإيرادات الضريبية من تلقاء نفسها وتدفع مبلغا صغيرا فقط إلى مدريد. لكن إقليم الباسك الإسباني أضعف اقتصاديا من كاتالونيا. وعلى الرغم من أن القومية الباسكية ولغة الباسك قد قمعت أيضا تحت حكم ديكتاتورية فرانكو، إلا أن أقلية صغيرة من القوميين الباسكيين تنشط في أنحاء الإقليم. وقد قتلت منظمة ايتا الباسكية اكثر من 800 شخص على مدار 50 عاما لبلوغ هدف انفصالها عن مدريد. وفي عام 2011، تعهدت منظمة إيتا بالتخلي عن العنف.

المجتمع الأهلي ودوره في الحياة السياسية الأردنية

أ.م.د. سداد مولود سبع*

باحثة واكاديمية من العراق

* مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية ـ جامعة بغداد

المقدمــة

غالبا ما كان المجتمع الاهلي متجذر بعمق في المجتمعات العربية لعدة اسباب تأتي في مقدمتها طبيعة هذه المجتمعات التي لازالت تعتمد على العلاقات الاولية في العديد من مفاصل الدولة، وحتى بعد التطورات المؤسساتية التي شهدتها عدداً من البلدان العربية إلا أن المجتمع الاهلي لازال مستمراً في نشاطه وفاعليته وبصماته الواضحة ليست على المستوى الاجتماعي فحسب، بل على الجانب السياسي والامني والثقافي كذلك.

واحتل البحث فيه حيزاً واسعاً من افكار الباحثين والكتاب العرب، وعملية البحث ازدادت مع بدأ الحديث عن المجتمع المدني الذي بدا يأخذ حيزاً في نشاطات العديد من المثقفين والمفكرين العرب لكونه بوابة للتعبير عن آرائهم بحرية، ودارت اغلب نشاطاتهم حول القضايا الاجتماعية ومعالجة بعض المشاكل التي يواجها المجتمع واحيانا التعبير بحرية عن ارائهم ازاء القضايا التي تمس المواطن بصورة مباشرة، واخذت ملامح هذا المجتمع تبرز وتتطور انتهاء الحرب الباردة ودخول العديد من الانظمة السياسية في موجة الديمقراطية الغربية. وهنا كان الاهتمام بالمجتمع المدني العربي سواء باستعادة دور المفقود أو البحث عن مؤسسات لترسيخه، وكان بالمقابل هناك مجتمعاً اهلياً مترسخاً اجتماعياً وذا دور كبير في مختلف الميادين.

وهنا برزت مشكلة تفسير ظهور ظاهرة المجتمع المدني وفقاً للرؤية الغربية، وبين نوعين اخرين من المجتمعات في الوطن العربي الاول ياخذ بالحداثة وهو المجتمع المدني رديف النموذج الغربي، ومجتمع اخر وهو المجتمع الاهلي الذي لم يكن حديث النشأة بل مترسخ وله نشطات ومؤسسات اجتماعية وسياسية تمثله

داخل الدولة. وقد كانت العديد من الدول العربية تمثل هذا النموذج، تأتي في مقدمتها المملكة الاردنية الهاشمية التي استطاع النظام السياسي وبالتعاون والتنسيق مع المجتمع الاهلي من الحفاظ على الاستقرار السياسي والامن وصيانة الدولة من الاخطار الخارجية، لا سيّما بعد انتشار المد الاصولي، وتنامي ظاهرة الاسلام السياسي، وانتشار الجماعات الارهابية المتطرفة واتساع خطرها على امن واستقرار العديد من البلدان، فضلاً عن عملية الاختراق الفكري التي تمارسها تلك الجماعات الاصولية في اثارة العديد من الافراد وتغيير نمط سلوكهم باتجاه العداء للنظام الحاكم، وهنا كان المجتمع الاهلي الاردني احد المجتمعات العربية القليلة التي لعبت تلك المؤسسة دوراً في الحفاظ على القيم العربية الاسلامية بشكلها السليم، فضلاً عن حفاظها على كيان الدولة مستقراً، وهذا تحقق عبر عدة وسائل اهمها ولوجها بالحياة السياسية، وهذا ما سنحاول البحث في من خلال فرضنا لفرضية مفادها: استمرار عمل المجتمع الاهلي الاردني بهذا الشكل دون تحديث سيؤدي في المستقبل القريب إلى عجزه عن التواصل مع التطورات الحاصلة في المجتمع لا سيّما في ظل انفتاح الشباب الكبير على العالم الرقمي، والعكس صحيح.

وهنا نحن اما اشكالية التحديث، هل التحديث يعني الزوال لهذه المؤسسات واستبدالها بالمؤسسات الحديثة (المجتمع المدني)، لكن تلك العملية تعد اشكالية مستعصية لترسخ المجتمع الاهلي وارتباطه بقيم واعراف اجتماعية ذات رعاية واهتمام مباشر من النظام السياسي، وتحديدا من مؤسسة الملك.

واستجابة لموضوع البحث فمن الضروري التعرف على تطور الاهتمام بالمجتمع المدني كجزء من الاهتمام بالمجتمع الاهلي في الفكر السياسي العربي، بمرحلتيه الحديثة والمعاصرة، ومدى اسهام المفكرين العرب بإضفاء اسهاماتهم فيما يخص المجتمع الاهلي والمدني. لننتقل لاحقا إلى المجتمع الاهلي في الاردن، ومن ثم إلى نشاطاته السياسية، واسهامه في الحياة السياسية في الاردن؛ وذلك لاننا لا يمكننا البحث في المجتمع الاهلي دون معرفة اصول المفهوم واشكاليته في الفكر السياسي العربي، وعلاقته بالمجتمع الاهلي.

المطلب الاول : تطور مفهومي المجتمع المدني والاهلي في الفكر السياسي العربي

لم يظهر الاهتمام بالمجتمع الاهلي في البلدان العربية قبل بدأ الاهتمام بالمجتمع المدني الذي بدء يدق مفاصل الفكر السياسي العربي عن طريق الترجمات او عن

طريق فرض التعددية السياسية ومبادئ الديمقراطية عشية التغيير في النظام الدولي بانفراد الولايات المتحدة الأمريكية على قمة النظام الدولي بداية العقد الاخير من القرن المنصرم. وعملية البحث والتقصي عن مفهوم المجتمع المدني من قبل الباحثين والمفكرين جعلهم ينقسمون بين من يؤيد وجود المجتمع المدني في التراث العربي مع اختلاف التسمية والشكل وفقا للخصوصية العربية، وهنا من يرى انه بعيد كل البعد عن الفكر والتراث العربي، وان ما وجد في الاساس هو عبارة عن مجتمع اهلي ومحلي مهيمن في المجتمع العربي.

يستند الرأي الاول إلى أن انه تم استخدامه في التراث الفكري العربي في كتابات أبن خلدون[1]، فضلاً عن وجود العديد من المؤشرات على وجود أرقى وأقدم مدنية عرفها التاريخ خلال الدولة العربية الإسلامية خلال فترة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

وفيما يتعلق بالرأي المعارض لوجود المفهوم يمثل الموقف المتطرف، يرى أن مفهوم المجتمع المدني ارتبط بـ:[2]

- الخبرة السياسية للدول الرأسمالية الغربية، استندت إلى المشروع الحر والتنمية الرأسمالية على المستوى الاقتصادية والديمقراطية الليبرالية على المستوى السياسي. بالتالي أن المرجع الأساس لتبلور مجتمع مدني في الوطن العربي يجب أن يستند لتطور ذاته في الغرب.
- لم تتأسس الدولة الحديثة في الوطن العربي ملتحمة مع مجتمعاتها، فعملية تفكيك المجتمع التقليدي لم تعقبها عملية بناء وتطوير لمجتمع مدني حديث يكون بمثابة الأساس الاجتماعي للدولة والركيزة الأساسية للديمقراطية.
- أن النخب التي سيطرت على النظم السياسية العربية في مرحلة ما بعد الاستقلال استطاعت إحكام سيطرتها عليها، وهو ما أعاق ظهور مؤسسات مدنية بالأصل.

1 - مفهوم المجتمع الاهلي في الفكر العربي الحديث:

يعود وجود المجتمع الاهلي إلى قدم تاسيس المجتمعات العربية، لكونه مثل ولا يزال احد اهم التكوينات المجتمعية المهمة (القبيلة والعشيرة)، لكن مفهوم المجتمع الاهلي بشكله الحالي هو حصيلة تطور مهم شهدته المجتمعات العربية، وان كان العديد من الكتاب من يرون أن المجتمع الاهلي هو عبارة عن صورة مشوهة لنموذج

(1) ميز أبن خلدون السياسة المدنية عن السياسة المحكومة بوازع الحاكم المستند إلى شرع منزل وعن السياسة العقلية، أي أن أبن خلدون يربط السياسة المدنية بالمثالية والذي صوره الفلاسفة بالمدينة الفاضلة وهو ما يشير ضمناً إلى كتابات الفارابي حول المدينة الفاضلة والسياسة الفاضلة، ولمزيد من التفاصيل أنظر : وجيه كوثراني، المجتمع المدني والدولة في التاريخ العربي، في ندوة (المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية)، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص119.

(2) أنظر : حسنين توفيق إبراهيم، بناء المجتمع : المؤشرات الكمية والكيفية، في ندوة(المجتمع المدني في الوطن...)، مصدر سبق ذكره، ص687 .688.

المجتمع المدني. إلا أن هذا الرأي يعد متطرف، وذلك لأن عملية اسقاط التجربة الغربية بكل مفاصلها على النموذج العربي وتحديدا الاردني يعد عملية صعبة نتيجة لطبيعة المجتمع وعلاقاتها المتجذرة.

وانطلاقاً من هذا الراي فأننا ربطنا بين عملية الاهتمام بالمجتمع المدني والذي يعود إلى القرن التاسع عشر، مع بدايات الاهتمام بالمجتمع الاهلي لكون هذا التوصيف عرف كقرين للمجتمع المدني في العديد من البلدان العربية ومنها الاردن، وتعود البدايات الأولى في تطوره مع محاولات التحديث في الدولة العثمانية التي دب بها الضعف والتقهقر وبرزت معالم انهيارها.

ولهذا فقد كان لمفكري القرن التاسع عشر حساسية شديدة تجاه موضوع المؤسسات السياسية، ففي تصورهم يمثل مصدر للتقهقر الحضاري، ولا يمكن تصور أي انبعاث من دون البدء بتحرير النظام السياسي، عبر تبني الحلول السياسية والنظم الدستورية التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالدولة وسيادة القانون[3]. وكان من دعاة هذا الفكر المفكر رفاعة الطهطاوي الذي كان كثير التأثر بالعالم الغربي، الذي ربط الحقوق المدنية في الأمة بمفاهيم سياسية تبنتها الدولة الحديثة، رغم أنها مألوفة في المفاهيم العربية الإسلامية. وهو بهذا يعد أول من حاول تأصيل فكرة الحريات والحقوق العامة في الدولة الحديثة، والربط بين التمدن والحرية، فجعل التمدن سبباً من أسباب الحرية والحرية شرطاً من شروط التمدن[4]. وهنا الإشارة الفكرية الأولى لترسيخ المؤسسات المدنية عبر إيجاد دستور يضمن به حقوق المواطن وواجبات الدولة.

أما خير الدين التونسي فأنه يقدم مشروعه الإصلاحي على أساس جملة قضايا أهمها ضرورة إقامة دولة دستورية يتم فيها تقييد سلطة الحاكم بالقوانين والأنظمة وعدم جواز الانفراد بالسلطة حتى لو كان الحاكم عادلاً. وقد بين التونسي أن (فكرة المشورة هي ذاتها الديمقراطية بكل أبعادها من حرية القول والعمل) لذا فأنه أكد على وجوب المشورة في الدولة الدستورية وتبادل الرأي وقبول المعارضة، بمعنى أنه أقر الحرية السياسية وأكد على مشاركة الأفراد في صنع القرار، هذا إلى جانب ضمان الحرية الفردية. بالتالي فأن المجتمع المدني (والذي لم يذكر أسمه) عند التونسي أساسه العدل والحرية والمساواة [5].

وجاء بعض المفكرين العرب في تحديد الاستبداد كسبب في أسباب تخلف الدولة العربية، وبرر الافغاني أن هذا ناجم بفعل غياب العدل والمساواة والشورى وعدم

(3) د. أحمد شكر الصبيحي، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص56.

(4) نقلاً عن: د. إسماعيل زروخي، الدولة في الفكر العربي الحديث دراسة فكرية فلسفية، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص475.

(5) نقلاً عن : د. كامران الصالحي، حقوق الإنسان والمجتمع المدني بين النظرية والتطبيق، ط1، مؤسسة موكرياتي للطباعة والنشر، أربيل، 2000، ص184 186.

يعد خير الدين التونسي من أشد المفكرين العرب الحديثين الأكثر تأثراً بالحضارة الغربية، وبضرورة نقل التجربة الغربية إلى العرب دون الأخذ بفارق التطور الحضاري بين الحضارتين وبخصوصية المجتمعات العربية الإسلامية ومتطلباتها ومشاكلها وهذا ما يتضح بأفكاره التي ابتعدت كثيراً عن الواقع العربي، والذي لم تستطع الدول العربية ونحن في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين من الوصول إلى تطبيق أفكاره التي نادى بها في منتصف القرن التاسع عشر.

التزام الحكام بالدستور. ويلتقي الكواكبي مع من سبقه بالتأكيد على أهمية الحرية كشرط لضمان دولة عادلة، وهو ما يستلزم سلطة مدنية محضة وهو الافغاني على أن تستمد شرعيتها من قبول المجتمع المدني[6]، لذا فأن المجتمع المدني محكوم بجملة قواعد تحدد علاقته مع النظام السياسي مع المجتمع.

هذه البدايات التي شهدها الفكر السياسي العربي الحديث كانت نتيجة للتطور الذي شهدته أوربا والتي جعلتها محط بحث ودراسة من قبل العديد من المفكرين العرب، لا سيّما وأنهم قارنوا بين التطور الذي شهدته أوربا مقابل حالة التخلف الذي كانت تعانيه الدولة العربية تحت ظل الحكم العثماني، وحتى عندما حاول العثمانيين أحداث تحديث سياسي فأن خياراته كانت داخل النخب العثمانية ولم يكن للجمهور العربي المسلم أية صلة بها[7]. وهذا ما ترك تأثير الواضح حتى على تأسيس تنظيمات المجتمع المدني، فقد ظهرت أولى هذه التنظيمات في مصر (على سبيل المثال) على يد أفراد من الجالية اليونانية بالإسكندرية[8].

إلا أن هذا لا يلغي حقيقة أهمية هذه المرحلة في بناء العمل التطوعي ومحاولة للعودة للمبادئ والقيم التي وجدت في الدولة العربية الإسلامية بعد غياب طويل لهذه القيم التي نادى بها الإسلام، وكانت من ثمرات هذا التطور نشوء عدد من الجمعيات المدنية، إذ نشأت الجمعية المصرية للبحوث التاريخية والثقافية عام 1850، وتبعتها جمعية المعارف عام 1861، ثم الجمعية الجغرافية عام 1875، ثم الجمعية الخيرية الإسلامية عام 1978. وقبل نهاية القرن التاسع عشر كان عدد الجمعيات الأهلية التطوعية قد بلغ (70) جمعية. واستمر هذا الاتجاه المتنامي خلال العقدين الأول والثاني من القرن العشرين، مما أدى إلى إنشاء أول جامعة مصرية حديثة عام 1912 بأسم جامعة الملك فؤاد الأول وهي جامعة القاهرة الآن[9].

وقد ذهب العمل المدني عند إنشاءه في مصر باتجاهين:[10] أما عمل أهلي ذي طابع خيري غالباً ما اقترن بأسم النساء من الطبقات العليا التي وجهت جهودها نحو التخفيف من أعباء الفقراء ومن الفارق الاجتماعي، من خلال تقديم العون في مجالات التعليم والصحة، وفي مجالات الإغاثة في حالات الأوبئة والكوارث القومية. أما الاتجاه الأخر فقد اهتم أساساً بما يسمى بـ «الدفاع الاجتماعي» للدفاع عن الهوية الوطنية أو المطالبة بالحقوق المدنية للمواطنين، أو الدفاع عن حقوق المرأة.

وقد اتسعت حرية هذه التنظيمات في أكثر من بلد عربي، فقد نشأت جمعية الأدب

(6) د. أحمد شكر الصبيحي، مصدر سبق ذكره، ص18.

(7) سعود الموساوي (تعقيب على بحث)، معن زيادة، المجتمع المدني والدولة في فكر النهضة العربية الحديثة، مصدر سبق ذكره، ص178. في هذه المرحلة اقتصرت سياسة التحديث على الاتراك دون شمول المجتمع العربي بها، غذ كان غالبية الطلبة والمبعوثين إلى الخارج من الاتراك والشراكسة، كذلك عملية اختير تلاميذ المدارس الحديثة أيضاً. كما حدد والي مصر الوظائف العامة على العثمانيين والمماليك فقط، عدا الوظائف الدنيا والتي شملت المصريون عامة، أم الأعمال المالية والحسابية فقد شغلها الاقباط. أنظر : المصدر نفسه، ص178.

(8) ثناء فؤاد عبد الله، قانون الجمعيات الأهلية الجديد والمسارات الديمقراطية في مصر، مجلة المستقبل العربي، العدد (247)، 1999، ص20.

(9) ثناء فؤاد عبد الله، قانون الجمعيات الأهلية الجديد والمسار الديمقراطي في مصر، مجلة المستقبل العربي، العدد (247)، 1999، ص20.

(10) عبد الله عبد الدائم، وآخرون، التربية والتنوير في تنمية المجتمع العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص145.

والعلوم في عام 1947 في بيروت، والجمعية الشرقية في عام 1850 في لبنان أيضاً، والجمعية العلمية السورية التي تأسست عام 1852، وجمعية بيروت السورية والتي تأسست في عام 1875 وهذه الجمعية تميزت بنشاطها المعادي للحكم العثماني وتحديداً سياسة التتريك[11]. شكلت هذه الجمعيات تطوراً نوعياً في البلاد العربية تركت انعكاساتها الواضحة في تطور الفكر السياسي العربي الحديث.

2 - مفهوم المجتمع الاهلي في الفكر العربي المعاصر :

تميز وجود المجتمع المدني بإشكالية في الفكر السياسي العربي المعاصر، بل قد يكون المفهوم الأكثر مثاراً للجدل، لا سيّما مع تصاعد موجات التحول من نظام الحزب الواحد إلى التعددية الحزبية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات في العقد المنصرم وما رافقها من دعوات إلى ضرورة السماح بحرية تأسيس هذه الجمعيات والمنظمات، وأن كانت هناك بعض من هذه التنظيمات موجودة ولها تاريخ حافل بالنشاط المدني والمهني، وخير مثال على هذه نقابة المحامين المصرية والتي تأسست في عام 1946 واستمرت بعملها منذ ذلك التاريخ ولحد الآن، وأن تباينت بفاعلية تأثيرها، وهذا شأن أغلب التنظيمات العربية الأخرى.

والإشكالية تعود إلى سببين، الأول أن الترويج للمجتمع المدني والضغط باتجاه أما تفعيله أو إنشائه لم يكن مطلب داخلي رغم حاجة المجتمع العربي لإصلاح سياسي حقيقي بسبب استبداد النظم الحاكمة، وأنها كانت مطلب خارجي يخفي ويظهر الكثير من الأسباب يأتي في مقدمتها محاولة لاختراق هذه المجتمعات أولاً، الضخ وابتزاز هذه النظم عبر وسيلة الإصلاح واتباع معايير الديمقراطية[12]. والسبب الثاني (وهو الأهم) هو الجدل القائم على أساسه إشكالية التسمية، فهناك من يرى بعدم وجود مجتمع مدني عربي، وأن ما يوجد في المجتمع العربي هو مجتمع أهلي، ويأتي في مقدمة من يتبنون هذا الاتجاه د. متروك الفالح على أساس أن المجتمع المدني هو مجتمع المدن، وأن طبيعة المجتمع العربي هو مجتمع ريفي، بل أن المدنية العربية تتعرض لعملية ترييف بسبب الهجرة من الريف إلى المدينة[13].

وهناك من يبرر إشكالية البحث في مجتمع مدني عربي من زاوية أخرى وهي بسبب الولاء المشوه للديمقراطية العربية وليس من منطلق رفض الأفكار لكون الديمقراطية العربية المتعثرة في مرحلتها الراهنة في أمس الحاجة إلى مفهوم مجتمع سياسي ديمقراطي وليس الانتقال إلى مفهوم غامض تتبع كثرة معانيه وغموضه أن يتم تطويعه في خدمة عدة أهداف داخلية وخارجية[14].

(11) د. أحمد شكر الصبيحي، مصدر سبق ذكره، ص63.

(12) الحقيقة أن محاولة فرض الإصلاح السياسي وضرورة تحديث النظم السياسية على الدول العربية يجري وفق سياسة إزدواجية المعايير، فعلى سبيل المثال تتعرض بعض الدول لضغط للأخذ بالإصلاح لكن ضمن نطاق محدد، أي بتعبير أدق إصلاح شكلي، وخير مثال ما حصل بالسعودية فالنظام ملكي وراثي، وهو مخالف للشريعة الإسلامية ومبدأ الشورى التي استند عليها الإسلام وقتصر الإصلاح على انتخابات المجالس المحلية. وتتضح هذه السياسة بوضوح أكثر بالأردن فهي نظام ملكي أيضاً ويعاني من استمرار حالة الطوارئ وتقييد للحريات العامة والتضييق على مؤسسات المجتمع المدني، وحتى الأحزاب السياسية المشاركة في المجلس النيابي. وكذلك مصر فهي تتعرض لضغوط الإصلاح لأسباب سياسية، إلا أنها بالمقابل تتجاوز عنها فيما يتعلق بالتضييق على أحزاب المعارضة وعدم التزامها بمعايير النزاهة أثناء الانتخابات التشريعية.

(13) أنظر : د. متروك الفالح، المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002، ص24 29.

(14) د. عزمي بشارة، المجتمع المدني دراسة نقدية (مع إشارة للمجتمع المدني العربي)، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص10.

وهناك رأي أخر يقر بالبحث في شكل هذه التنظيمات إلا أنه يعرفها بالمجتمع الأهلي بدلاً من المجتمع المدني. وأصحاب هذا الاتجاه يفضلون هذه التسمية بدلاً عن المجتمع المدني لكون هذا الأخير يعبر عن أشياء واسعة وكبيرة ويمكن أن تضم الأهلي وغير الأهلي، وغير الأهلي يضم الحكومة. كما أن المصطلح في حد ذاته يحمل مضامين إيديولوجية ومعرفية ومرجعية لا تصلح لتوصيف ذلك القطاع وبالتحديد في المجتمعات العربية والإسلامية [15]، بمعنى أن المجتمع الأهلي أكثر اقتراباً من الواقع العربي لكونه يعبر عن الأهالي.

إلا أن هذا التداخل بين العمل الحكومي وغير الحكومي هو من متطلبات عمل المجتمع المدني في البيئة المحيطة به بالشكل الذي لا يفقده خاصية الاستقلال عن النظام السياسي وهو ما تم تفصيله سابقاً بالتالي فأن عملية قصر وجود المجتمع الأهلي بالمجتمع العربي به أنكار للواقع، فهناك عدد من مؤسسات المجتمع المدني التي تضم بعض مكوناتها المجتمع الأهلي كجزء من واقع المجتمع المدني العربي.

وفيما يتعلق بالمضامين الإيديولوجية فقد عرضها الفكر السياسي العربي منذ أن عرف المنتدى أدبي عام 1909، والجمعية القحطانية في العام نفسه (وهي جمعية سرية)، وحزب الأهالي (1910)، وحزب الحرية والائتلاف (1911)، وحزب اللامركزية الإدارية (1912)، وجمعية العربية الفتاة عام (1909) (وهي جمعية سرية)، وجمعية العهد (1913). وهذه الجمعيات والأحزاب اشتركت جميعها بمحاربة الاستبداد العثماني ومحاربة سياسة التتريك وضرورة تقسيم الدولة العثمانية على أساس فيدرالي لضمان الحكم الذاتي للولايات العربية[16].

فضلاً عن مؤسسات المجتمع المدني التي ظهرت بين الحربين في كلاً من مصر وسوريا وتونس والتي ساهمت في نشر الوعي الوطني من جهة وإثراء الحياة الفكرية والاجتماعية من جهة أخرى[17]. وحتى بعد استقلال الدول العربية من الاستعمار ونشوء نظم سياسية اتسمت أغلبها بالمركزية الشديدة، إلا أنه لم يمنع من نشوء تنظيمات مستقلة عن الدولة اتسمت بطابعها الخيري، لاسما أوقات الحروب العربية (الإسرائيلية). والبعض الآخر نشأ بفعل تطور الوعي بأهمية هذه المؤسسات، ونتيجة لهذا فقد اتسع نطاق المجتمع المدني المنظم في مختلف الأقطار العربية من (20 ألف) مؤسسة في منتصف الستينات إلى (70 ألف) مؤسسة في أواخر الثمانينات. وهذا الوعي بأهمية هذه التنظيمات يرجع لجملة أسباب في مقدمتها:[18]

(15) عبد الغفار شكر، د. محمد مورو، المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002، ص108.

(16) لمزيد من التفاصيل، أنظر : د. أحمد شكر الصبيحي، مصدر سبق ذكره، ص64 65.

(17) فلاح حسن آل مانع، المجتمع المدني في العراق دراسة نظرية تحليلية في علم الاجتماع السياسي، أطروحة دكتوراة (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2004، ص107.

(18) د. أحمد برقاوي، وآخرون، الدولة الوطنية وتحديات العولمة في الوطن العربي، ط1، مركز البحوث العربية والأفريقية، القاهرة، 2004، ص173.

1 - فشل جهود التنمية الوطنية المستقلة والاتجاه إلى تطبيق سياسات التثبيت والتكيف الهيكلي التي أوصي بها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وما صاحبها من انسحاب الدولة الوطنية في مجالات الإنتاج والخدمات وارتفاع أسعار السلع والخدمات. فضلاً عن اتساع المشكلات الاجتماعية كاتساع نطاق البطالة، والفقر، والأحياء العشوائية. وهذا ما شجع على الاعتماد على الجمعيات الأهلية والمنظمات غير الحكومية لتعويض عن انسحاب الدولة.

2 - تحول العديد من البلدان العربية إلى التعددية السياسية، وطرح برامج الإصلاح السياسي والديمقراطي، واتساع مجال الاهتمام بالحريات السياسية والمدنية، والسماح بإقامة تنظيمات سياسية، ونقابية، واجتماعية، وثقافية.

3 - مارس المتغير الدولي والبعد العالمي دوراً في تنمية المجتمع المدني، عبر استخدام هذه المنظمات كألية سياسية لتغيير ما يسمى بالنظم الشمولية (الاشتراكية سابقاً) في الوطن العربي في إطار الدعوة لتحقيق الديمقراطية بالمعنى الليبرالي. كما شجعت المؤسسات والمنظمات في الغرب هذه المؤسسات لكونها تعمل على الإسراع بالتحول إلى اقتصاد السوق لغرض دمجها بالاقتصاد العالمي، وإضعاف الدور المركزي للدولة وإعادتها إلى وظيفة الدولة الحارسة. ولهذا فقد شجعت قوى العولمة دول الجنوب ومن بينها الدول العربية على تأسيس المنظمات غير الحكومية وبمجالات متعددة يأتي في أهمها الدفاع عن حقوق الإنسان، والتنمية، وقضايا المرأة.

وهناك رأي رابع يخلط بين الأهلي والمدني بالتسمية (المجتمع المدني- الأهلي) عبر ربط عمل المجتمع المدني بالعمل الأهلي. ويركز أصحاب هذا الاتجاه على أن (المجتمع المدني- الأهلي) العربي يتكون من عدد من المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعمل في ميادينها المختلفة في استقلال عن سلطة الدولة لتحقيق أغراض متعددة، منها المشاركة السياسية، ومنها نقابية كالدفاع عن المصالح الاقتصادية، ومنها أغراض مهنية للارتقاء بمستوى المهنة والدفاع عن مصالح أعضائها. وهذه المؤسسات لا يمكن أن تصل إلى هذا المستوى من المدنية دون الرجوع إلى التراث العربي والإسلامي والاستفادة من التجربة التاريخية وفعاليات المدينة الإسلامية في عهد الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) وما تلاها , وذلك لأن التحولات القسرية والفجائية يصاحبها تمزق اجتماعي رهيب. وهنا يأتي دور الحركات الأهلية عبر التواصل مع قوى المجتمع

في الابقاء على أسباب الاستدامة الأمر الذي يساعد على خلق قوى مجتمعية هي صانعة للمجتمع المدني الأهلي[19].

وهنا تم الخلط بين المجتمع المدني والأهلي على أساس أن هذا الأخير يعبر عن مؤسسات وجماعات متنوعة الاهتمامات مستقلة كلياً أو جزئياً عن الحكومات وتتسم بالعمل الإنساني وليس لها أهداف تجارية[20]، بالتالي فأن الجمعيات الأهلية لا تمثل سوى جزء من عدد من المكونات المهمة التي تشكل المجتمع المدني في الوطن العربي وبالنتيجة فهي تنضوي تحت مكونات المجتمع المدني.

وبنفس الاتجاه بعد راي برهان غليون أحد أكثر الآراء الفكرية المثيرة لإشكالية المفهوم عربياً، إذ يضعه في مقابل المجتمع الأهلي. إذ يفسر المجتمع الأهلي من زاوية التكوينات الاجتماعية (القبلية، الطائفية، المذهبية، العشائرية) فهو يرى ليس هناك أي مجال ولا قيمة للتمييز بين المجتمع المدني والمجتمع الأهلي الذي يسعى البعض من خلاله لإدانة جزء من النشاط المدني وتحبيذ جزء أخر. نتيجة لما يقدمه هذا التمييز من وسيلة لإنكار شرعية وجود التكوينات والعادات والقيم القبلية والطائفية والتي هي جزء من المجتمع المدني، إلى جانب الجمعيات والنقابات والتكوينات الثقافية والأخلاقية. ويعزى برهان غليون السبب خلف ضبط حدود المجتمع المدني ضمن هذه الحدود السياسية، أن عملية الفصل بين الأهلي والمدني هي في الحقيقة عملية منع فهم طبيعة القوى الفعلية التي تحرك المجتمع كالمجتمع المدني. وعدم السعي خلف توظيف المفهوم سياسياً بين التيارات أو الحركات التقليدية وبين التيارات الحديثة والمعاصرة. كذلك أن التغيير الذي طرأ على المجتمع العربي خلال القرن المنصرم والتغير الشامل في نظم الإنتاج والاستهلاك والتعاون والعلاقات الأسرية والقبلية والمدنية هو انقلاب شامل في بنية المجتمع المدني العربي، بالتالي من الضروري التعامل مع هذا التغيير وتناقضاته بتجاوز البنى القديمة لا إنكارها[21].

إلا أن الذي حصل في المجتمع العربي هو محاولة انتقال تدريجي ومتعثر من البنى التقليدية إلى البنى الحديثة، إلا أن مسار هذا الانتقال التدريجي انحرف في العديد من الدول العربية إذ أصبحت هذه البنى التقليدية تسبغ على نفسها الحداثة، أي أصبحت بنى تقليدية ضمن إطار مؤسسات حديثة وهذه هي المشكلة الأخطر على المجتمع المدني العربي، لما تتركه من انعكاسات سلبية تتمثل بخلق أزمة اندماج بفعل اذكاء روح العصبية وابراز الولاءات الفرعية بدل الولاء للدولة الأم.

(19) أنظر : محمد محفوظ، الأمة والدولة من القطيعة إلى المصالحة لبناء المستقبل، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000، ص ص118، 123 125.

(20) د. أحمد برقاوي، وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص183.

(21) أنظر : برهان غليون، بناء المجتمع المدني العربي. ..، مصدر سبق ذكره، ص734 740.

ومن ثم فأن عملية استخدام المجتمع المدني في الوطن العربي للإشارة إلى البنى التقليدية، والدينية، والمذهبية، والقبلية والعائلية التي لا تزال سائدة في المجتمع العربي، هو استخدام مضلل وخطر. فالبنى التقليدية قد يصح ادراجها في خانة «المجتمع المللي»، أما المجتمع المدني فيستخدم للإشارة إلى جمعيات الدولة الحديثة، والمجموعات القائمة على المواطنة وحرية الانتساب عملاً على تحقيق مصلحة مشتركة. بالتالي يتم تحويل علاقات القوى التقليدية القائمة في الوطن العربي إلى علاقات مدنية حديثة وتوسيع العلاقات الاجتماعية وتمتين النسيج الاجتماعي[22]. وهنا لا يتم انكار البنى التقليدية الموجود في أكثر من بلد عربي (الأردن واليمن مثالاً) ومندمجة مع مؤسساته الحديثة، بل محاولة لتجاوز الشرعية التي اكتسبتها هذه البنى التقليدية عبر هذه المؤسسات، والمشروعية التي اكتسبتها عبر تأييد شريحة واسعة من المجتمع لها.

لذا فقد برز رأي أخر- وهو الراجح- والذي يرى بأهمية تبني مفهوم المجتمع المدني بغض النظر عن الحجج السالفة الذكر التي سيقت لرفض المفهوم أو التحفظ على استخدامه في الواقع السياسي العربي، وذلك لأن أدبيات عديدة قد تجاوزت مثل هذه التحفظات واستخدمت المفهوم كأداة نظرية تحليلية في دراسة الظواهر التي يعبر عنها في الواقع العربي من ناحية، بل اتخاذه أيضاً كمدخل لتحليل ودراسة بعض قضايا التطور السياسي والاجتماعي في الدول العربية من ناحية أخرى. وقد ساعد على ذلك عدة عوامل، منها :

تزايـد عدد تنظيمات المجتمع المدني في الغالبية العظمى من الدول العربيـة منذ منتصف الثمانينات، وقد تمثل ذلك في ظهور العديد من الأحزاب، والجمعيات، والاتحادات، والروابط التي شكلت بنية تنظيمية لمجتمع مدني لا يزال بصفة عامة قيد التكوين والتبلور، على الرغم من وجود تفاوت من حيث تنظيمه ودرجة قوته من دولة إلى أخرى كما أن الخبرة الإسلامية على صعيد الممارسة تزخر باشكال تنظيمية عبرت في جوهرها عن المجتمع المدني سواء بتعبيرها عن مصالح فئات معينة، أو استقلالها النسبي عن الدولة، فعلى سبيل المثال كانت هناك نظام الوقف الإسلامي، والطوائف الحرفية، ورجال الدين، وغيرها وكما ذكر سابقاً أضف إلى ذلك إن استخدام المجتمع المدني كمفهوم نظري تحليلي لا يشترط بالضرورة اكتمال الظاهرة التي تعبر عنها في الدول العربية حتى يتسنى استخدامه، بل أن استخدامه يفيد في الكشف عن خصوصية المجتمع المدني في الوطن العربي[23]. وهو ما يفتح المجال واسعاً أمام الكشف

(22) حسن كريم، مفهوم الحكم الصالح، في ندوة (الفساد والحكم الصالح)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص115.
ولمزيد من التفاصيل حول الانعكاسات السلبية التي تتركها المؤسسة التقليدية على المجتمع العربي، أنظر : د. أحمد شكر الصبيحي، مصدر سبق ذكره، ص79 84.

(23) أنظر في هذا الاتجاه :
د. حسنين توفيق إبراهيم، النظم السياسية العربية. ..، مصدر سبق ذكره، ص 164 165.
د. كريم حلاوة، إشكالية مفهوم المجتمع المدني «النشأة التطور التجليات»، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 1998، ص110 114.
ـ فضلاً عن العديد من البحوث والتقارير العربية التي تبنت مفهوم المجتمع المدني.

عن مواطن الضعف التي يعاني منها المجتمع المدني العربي وإمكانية تلافي هذا الضعف.

لذا فأن لمجتمع المدني العربي هو في مرحلة بناء وتبلور، ولا بد أن تصاحب هذه العملية اخفاقات، والتباين في تطور هذه المؤسسات هو فارق الوعي السياسي والاجتماعي والاقتصادي بين الدول العربية، لا سيّما في ظل فاعلية المجتمع الاهلي في العديد من البلدان العربية، ولا سيّما البلدان ذات الانظمة التقليدية.

المطلب الثاني: واقع الجمعيات الأهلية والمنظمات غير الحكومية في الاردن.

يزخر المجتمع الاردني بالعديد من مؤسسات المجتمع الاهلي وهي تعد ضامنة وحافظة للتماسك المجتمعي في الاردني الذي يمتاز بترسخ القبلية في المحافظات الاردنية عدا العاصمة عمان، وعدت المؤسسات احد عوامل الضبط الاجتماعي والسياسي في الاردن. وهذا ما سنحاول بيانه وايضاحه لكن من الضروري التطرق إلى تاريخ تلك الجمعيات في الاردن.

يعود تأسيس أول منظمة طوعية في الأردن إلى عام 1912 تحت أسم «دار الأحسان» وهي منظمة متخصصة في تقديم خدماتها إلى الأقلية الارثوذكسية. وفي الثلاثينات من القرن الماضي تأسس العديد من المنظمات بمبادرة من مختلف المجتمعات الاثنية مثل الشركس الذين هاجروا في نهاية القرن التاسع من القفقاس (روسيا) واستقروا حول مدينة عمان. ولاشك في أن هذه المنظمات التي قد ولدت بحافز هذه الاقليات هي شكل من أشكال التأطير والعمل الطوعي المدني، وقد أثر لاحقاً في انتشار هذا النسق بين السكان الأصليين، فبعد عام 1937 تم تحول منظمات المجتمع المدني من حيز خدمات التجمعات الاثنية والدينية إلى خدمات المجتمع أو الأمة العربية بصفة عامة[24]. وفي هذا السياق بدأت النوادي والجمعيات الثقافية تنتشر في الأردن في أوائل الاربعينات وفي الخمسينات نشطت الحركة الثقافية وازداد نفوذ الفئات الحزبية فيها، وتأسست روابط المعلمين والمعلمات، ومجالس الطلبة الأردنيين. إلا أن هذه الأندية والجمعيات توقفت جميع أنشطتها بعد عام 1957، لكنها استأنفت نشاطها. وأن كان من الناحية الشكلية بعد إصدار قانون الجمعيات والهيئات الاجتماعية في عام 1966، وجاء هذا القانون ليحد كثيراً من نشاط هذه الجمعيات ومن الحريات العامة[25]، بالشكل الذي جعل عملية تأسيس أي جمعية يخضع لتوجهات وسياسة الحكومة.

(24) بشير نافع، وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص186.

(25) جمال الشاعر، تجربة الديمقراطية في الأردن، مصدر سبق ذكره، ص706 .707

وقد كان للانفتاح السياسي والاقتصادي في نهاية عقد الثمانينات من القرن المنصرم غير المسبوق، والذي شجع بدوره على اتساع عدد هذه الجمعيات واتساع حجم فاعليتها عن المرحلة التي سبقتها.

وقد انقسمت مؤسسات المجتمع الاهلي إلى النوادي الاجتماعية، والثقافية، والرياضية، والطلابية، والجمعيات الخيرية والدينية، الروابط والدواوين الجغرافية والعائلية، منظمات وأصحاب العمل[26].

تنشط في الأردن الجمعيات الخيرية والتي تندرج ضمن الجمعيات الأهلية المهمة والفاعلة وتصنف هذه الجمعيات على أساسين[27]:

الأول / على أساس الفئة التطوعية في الجمعية، وهي أربعة أنواع :

- الجمعيات التقليدية ذات الطابع الإقليمي والعشائري.
- الجمعيات الخيرية ذات الطابع النسوي.
- الجمعيات الدينية، وهنا يشكل الدافع الديني عند بعض فئات المجتمع الأردني عاملاً مهماً في انخراطها في العمل الأهلي والخيري سواء بالنسبة للمسلمين أو المسيحيين.

كما تعد الجمعيات ذات الصبغة الإسلامية أكثر فاعلية على الساحة الأردنية بسبب قدراتها المالية العالية واستثماراتها الضخمة، وأحد أبرز هذه الجمعيات «جمعية المركز الإسلامي» وهي تابعة لجماعة الإخوان المسلمين وتأسست هذه الجمعية كمركز إسلامي عام 1963، بعد عقدين من ترخيص الاخوان المسلمين كهيئة خيرية[28]. وتنضوي هذه الجمعيات الخيرية تحت ظل اتحاد الجمعيات الخيرية، وينتسب لهذه الجمعية عدد كبير من المنتسبين وبرأسمال عالي[29]، وهي أهم المكونات الفاعلة في المجتمع المدني الأردني.

الثاني / على أساس النوع، وهي :

- الجمعيات متعددة الأغراض : ويشكل هذا النوع الأغلبية الساحقة في الجمعيات، وتصل إلى حوالي (78%) من مجموع الجمعيات الخيرية لعام 2003، وهي تقوم في أغلبها على أساس خدمة جمهور تربطه روابط عائلية أو عشائرية أو الانتماء الجهوي لمنطقة معينة (الأردن وفلسطين).
- الجمعيات المتخصصة : وهي المستوى الأنضج من العمل الأهلي والمدني،

(26) وهيب الشاعر، الأردن... إلى أين ؟ الهوية الوطنية والاستحقاقات المستقبلية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص112.

(27) هاني الحوراني، حسين أبو رمان، المجتمع المدني والحكم في الأردن، ج1، مركز الأردن الجديد للدراسات، عمان، 2004، ص80 82.

(28) الحكومة الأردنية تحيل ملف مركز مالي إسلامي إلى القضاء، 5 / يوليو / 2006، ص1. (الانترنيت) http://new.bbc.co.uk/hi/arabic/middle – east – news

(29) صحيفة العرب اليوم، العدد (3407)، 2006/10/8، (الانترنيت) .http://www. alarab alyaw. net

لأنها تعبر عن الأحساس العام لدى الفئات المعنية بحاجة المجتمع إلى خدمات لا توفرها الحكومة كلياً أو لا توفرها بصورة كافية.

وهناك اشكال من الجمعيات الاهلية متمثلة بالروابط والدواوين الجغرافية والعائلية وهو ركن مهم من اركــان المجتمع الاهلي الاردنــي وتندرج ضمن مكونات المجتمع الاهلي في الأردن الروابط والدواوين الجغرافية والعائلية الممتدة وتعد من المكونات الفاعلة في الأردن [30]. وتشكل هذه الروابط صياغة حديثة لمؤسسة تقليدية هي مؤسسة العشيرة أو العائلة، أو إعادة تنظيم لعلاقات تجمع سكاني لأحد البلدان أو القوى في مواقع انتشاره الجديد. وتكمن الدوافع الرئيسة لقيام هذه الروابط والدواوين في مسألتين : الأولى هي السعي إلى إدامة التواصل العائلي والقرابي ومقاومة التشتت لدى أهالي فلسطين الذين لجاؤا إلى الأردن بعد حربي 1948، 1967. والثانية هي التساند بين أفراد العائلة أو البلدة في مواقعهم الجديدة بعد مغادرتهم لقراهم أو بلدانهم الأصلية إلى المدن بحثاً عن فرص عمل أو خدمات أفضل. وتخضع هذه الروابط والدواوين لقانون الجمعيات والهيئات الاجتماعية رقم 33 لسنة 1966. ويقدره البعض عددها بحوالي (276) تحتل الروابط العائلية ما نسبته (78%) من هذه الروابط أي (214) رابطة، والباقي روابط جغرافية.

(30) أنظر في هذا : وهيب الشاعر، الأردن... إلى أين؟ الهوية الوطنية...، م. س. ذ.، ص112. هاني الحوراني، حسين أبو رمان، المصدر السابق الذكر، ص119.

المطلب الثالث: دور الجمعيات الأهلية في العمل السياسي بالأردن

1 - الجمعيات الاهلية النسوية ودورها السياسي.

سبق وأن درجنا المنظمات النسوية ضمن المنظمات غير الحكومية لكونها تحتل مساحة واسعة داخل المجتمع المدني في الأردن سواء في العدد أو الفاعلية، وتتباين درجة تعقيد وتجانس واستقلال هذه المنظمات غير الحكومية فيما بينها.

فهناك منظمات تعمل باستقلالية كبيرة عن الدولة، إلا أنها تمتاز ببساطة تنظيمها فهي أقرب إلى المنظمات الخيرية ذات الأرث الثقافي التقليدي للمجتمع الأردني وهي عادة ما توجد في المناطق الريفية أو المناطق البعيدة عن العاصمة. وهناك جمعيات تابعة للدولة لكن بشروط تبعية افضل، وأغلب هذه الجمعيات تديرها الشريحة العليا من الطبقة الوسطى أو الطبقات العليا بمعنى أنها إنعكاس للطبقة الحاكمة، بالتالي فأنها تقع ضمن الجمعيات التي تتسم بالفاعلية لكونها تلقى دعم حكومي لإدامة نشاطها سواء داخل الأردن أو خارجه[31]. وبين هذين النوعين من

(31) بشير نافع، وآخرون، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص205 206.

الجمعيات هناك اتحادات نسوية وتجمعات ولجان تهتم بواقع المرأة الأردنية وكيفية تحسين دور المرأة سواء داخل البرلمان أو المجالس البلدية أو الحياة العامة[32].

(32) هاني الحوراني، حسين أبو رمان، مصدر سبق ذكره، ص112.

إلا أن هذه الجمعيات لا زالت تعاني من القيود الاجتماعية، أهمها متمثل بنظرة المجتمع العربي للمرأة، وهنا لسنا بصدد الدعوة إلى حرية المرأة (والذي هو محط جدل كبير داخل المجتمع العربي والذي لا نؤيده) لكن بصدد الدعوة إلى مكافحة الأمية والنهوض بواقع المرأة العربية والتوعية بظاهرة العنف الواقع على النساء.

كما تعاني هذه المنظمات من ضعف بنيوي بسبب عدم التجانس داخلها، فالمشاحنات والتخاصم والمناورات من أجل الحصول على المناصب هو السمة المميزة لهذه المنظمات[33].

(33) بشير نافع، وآخرون، المصدر السابق، ص207.

2 - الجمعيات الخيرية ودورها السياسي

تحتل هذه الجمعيات المرتبة الأولى لكونها تمثل أكثر من ثلث منظمات المجتمع المدني من حيث العدد، ومن حيث العضوية تمثل الكتلة الثانية بالمقارنة مع حجم عضوية الأنواع المختلفة من المنظمات فضلاً عن ذلك، فأن لها إسهام محسوس في عملية التنمية حيث تقدر مساهمتها بنحو (266) مليون دولار سنوياً وينتفع من خدماتها بصورة مباشرة حوالي (11.5 %) من السكان، وتتوزع خدماتها في مساعدة الأسر الفقيرة والطلبة المحتاجين الذين ينتمون إلى هذه الأسر، والتدريب المهني للفتيات وإنشاء رياض الأطفال، وحل المشكلات والخلافات الأسرية والاجتماعية إضافة إلى خدمات التعليم والصحة عبر إنشاء جمعيات متخصصة لرعاية المعاقين والإيتام[34]. واستطاعت هذه الجمعيات الخيرية إضافة إلى باقي المنظمات غير الحكومية ذات النفع العام أن تقدم خدماتها (سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة) إلى ما يقدر بـ (60 %) من خدمات الرعاية الاجتماعية[35]. وتشاركها الجمعيات الخيرية الإسلامية والتي تعد مكوناً مهماً في بنية الجمعيات الخيرية الأردنية[36]. فعلى سبيل المثال يبرز لنا جمعية النشامى الخيرية التي تأسست في العام، 2016 لها دور اجتماعي كبير متمثل بعدة مجلات منها مساعدة الشباب الاردني على الزواج، كذلك المساهمة في الحفاظ على البيئة داخل المجتمع المحلي والعناية بذوي الاحتياجات الخاصة، والمعاقين، والاسهام في بناء الاسر المنتجة[37].

(34) هاني الحوراني، حسين أبو رمان، مصدر سبق ذكره، ص ص77، 82.

(35) هويدا عدلي، مصدر سبق ذكره، ص516.

(36) د. حسنين توفيق إبراهيم، النظم السياسية العربية...، مصدر سبق ذكره، ص185.

(37) دليل منظمات المجتمع المدني الاردني، متاح على الرابط: http:// www.civilsociety_jo.net/ar/home

أما فيما يتعلق بمسألة التمويل فأنها تتوزع بين اشتراكات الأعضاء وهي قليلة وغير كافية، وريع المشاريع، والمصدر الثالث هو الدعم السنوي من الاتحاد العام للجمعيات الخيرية وفي بعض الأحيان دعم الوزارة، ويكون هذا لمشاريع محددة

خاصة بالإعاقة والإيتام والمناطق النائية. والمصدر الرابع وهو التمويل المحلي أو الأجنبي[38]. وتبقى مسألة التمويل عنصراً أساسي من عناصر استقلال الجمعيات الخيرية وديمومة عملها.

(38) هاني الحوراني، حسين أبو رمان، المصدر السابق، ص79.

3 - الروابط والدواوين الجغرافية والعائلية

تشكل المؤسسة التقليدية أحد المؤسسات الفاعلة في الأردن، والتي تستمد جزءاً كبير من فاعليتها من النظام السياسي، والذي شجع بدوره على تعزيزها. بالتالي فأنها لم تكن جزءاً من العملية السياسية فقط، بل أنها سعت إلى توفير بعض الاحتياجات لمواطنيها والتي عجز النظام السياسي عن توفيرها.

وهذا ما نجده في أهدافها برفع المستوى الثقافي والعلمي للأعضاء وتشجيع الأدخار المنظم وقبول الوفورات، وإصلاح ذات البين وإنهاء الخلافات بين الأعضاء، واستثمار الأموال بإنشاء مشاريع إنتاجية لا تهدف إلى الربح بل بالنفع على الأعضاء وتوفير المساعدات للأعضاء المحتاجين عن طريق التأهيل والتوجيه[39].

(39) المصدر نفسه، ص119.

الخاتمــة

نخلص مما سبق ان المجتمع الاهلي في الاردن اخذ حيزا موازيا للمجتمع المدني بل ان العديد من الكتاب الأردنيين وحتى العرب عندما يتم البحث في مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية في الاردن يتم تخصيص حيزاً للمنظمات ومؤسسات المجتمع الاهلي فيها نتيجة التخصيص الوظيفي المقر من قبل النظام السياسي، ومن قبل المؤسسات غير الحكومية، ولعل هذا ما يفسر التداخل الكبير بينهما اذا ما اريد البحث في مؤسسات المجتمع المدني والمجتمع الاهلي في الاردن.

هذا الدور لم يقتصر على الجوانب الاجتماعية والرعاية الاجتماعي فحسب، بل اتسع ليشمل دوره في الحياة السياسية من خلال المشاركة السياسية في الانتخابات البرلمانية، ومشاركتهم السياسية في ابداء الراي ازاء القضايا العامة، بل انه في احيان كثيرة يكون فاعلية وتأثير المجتمع الاهلي اكثر واكبر من تأثير المجتمع المدني في الحياة السياسية والاجتماعية.

لذا فأن المجتمع الاهلي على الرغم مما يثار حوله من انتقاد بسبب كونه جزء من المؤسسات التقليدية التي تعيق تطور وبناء الدولة ومؤسساتها، إلا انه في المقابل يحاكي ويلبي طبيعة المجتمع الذي نشا من رحمه، فضلاً عن الدور الكبير الذي

ادائه في خدمة المجتمع والنظام السياسي من خلال الحفاظ على الاستقرار السياسي، ودعم اركان المجتمع الاردني من خلال تعزيز القيم والاعراف المجتمعية والموروث الاجتماعي، ومع موجة التيارات الاصولية المتطرفة فقد مثلت هذه الجمعيات صمام امان امام هذه التيارات للحد من انتشارها مجتمعيا وبالوقت ذاته حافظت على الاستقرار والامن في الاردن.

صراع الهوية في تركيا
في عهد حزب العدالة والتنمية

م.د.احمد محمد علي جابر*
باحث واكاديمي من العراق

* مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ـ جامعة بغداد

المقدمة

يحتل صراع الهوية في تركيا دوراً مؤثراً في بناء هوية الدولة التركية، فهذا الصراع ليس جديداً بل يمتد إلى تأسيس هذه الدولة على يد مصطفى كمال اتاتورك الذي وضع الهوية العلمانية لتركيا كعقيدة الدولة، لكن الصراع والتقاطعات بين الرؤيتين العلمانية والاسلامية وبين المحافظة والحداثة وبين الشرق والغرب أستمر، وتصاعد هذا الصراع بعد وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة واستحكامة فيها، مما جعل الصبغة الإسلامية تتغلب على الصبغة العلمانية التي أستمرت لعقود والتي تعدهوية الدولة وأحد ثوابتها، كان آخرها عدة أجراءات اتخذها حزب العدالة والتنمية بزعامة رجب طيب اردوغان وأسغلال الانقلاب الفاشل للقضاء على أي تهديد يعوق سياسة الحزب والذي عزز بذلك خلاله الاسلاميون قبضتهم، بالرغم من تأكيدهم على ثوابت الجمهورية التركية العليا.

وعليه تقوم فرضيتنا من ان صراع الهوية في تركيا مابين القوى العلمانية والإسلامية مستمر ويؤدي بالنتيجة إلى طغيان الأيديولوجية والأفكار التي تبناها حزب العدالة والتنمية وتوظيفه رؤية جديدة للمبادئ العلمانية لتطبيق قيم الحزب وأفكارة.

وقد قسم البحث إلى مبحثين، تناولنا في المطلب الاول تأريخية الصراع بين القيم العلمانية والإسلامية في تركيا، أما لمطلب الثاني فتناولنا فيه موقف حزب العدالة والتنمية في كيفية الموائمة بين القيم العلمانية والإسلامية.

المطلب الأول:
تأريخية الصراع بين القيم العلمانية والإسلامية في تركيا

لعبت السياسات التي اتبعها (مصطفى كمال اتاتورك) والنجاحات التي تحققت على يده من النصر في حرب التحرير، والايمان بقيم جديدة والتي كانت تختلف اختلافا جذريا عن القيم التي كانت سائدة ابان الدولة العثمانية والتي ادت إلى انتقاله كبيره في تركيا في مجال القيم بدرجه اولى والتي تعززت بإعلان الجمهورية التركية العام 1923وما تبعها من سياسات على رأسها الغاء الخلافة، كما جاء تأسيس حزب الشعب الجمهوري في11سبتمبر 1923 تحت اسم (الفرقة الشعبية) طبقا لمبدأ (الشعبية) الذي وضعه اتاتورك والذي اصبح فيما بعد (حزب الشعب الجمهوري) ونتيجة الحاجه إلى تطبيق السياسات الاتاتوريكية والاقتداء بالغرب وكانت في مقدمة هذه السياسة هي الاحزاب، والتي حاول من خلاله اتاتورك تطبيق هذه السياسات اجتثاث التراث العثماني وابداله بقيم جديده تقارب من القيم الأوروبية الغربية وتثبيته بدستور جديد اقره المجلس الوطني الكبير الذي يتمثل في اعضاء حزب الشعب الجمهوري في 20 نيسان 1924[1].

اما فيما يتعلق بالدستور فقد تضمن الدستور التركي الذي اقر في 20 نيسان 1924 إلى 105 من المواد وعبر الدستور عن القيم التي وضعها اتاتورك وبالرغم من وضع قيود على سلطة رئيس الجمهورية إلا ان هذه القيود بقيت حبرا على ورق أذ استمر اتاتورك الحاكم المطلق في اتخاذ القرار في تركيا وحزب الشعب هو السلطة المسيطرة، بحيث فرضت شخصية اتاتورك على المؤسسات الرسمية والحزبية بل امتدت إلى الحياة العامة في المجتمع التركي ومحاولة اصباغها بالطابع الغربي ومنها الغاء الطربوش وابداله بالقبعة وكان لحزب الشعب الجمهوري الدور الفاعل في تطبيق سياسة اتاتورك من خلال المجلس الوطني الكبير الذي يسيطر عليه الحزب.[2]

بالرغم من النزعة العلمانية التي تبنتها تركيا منذ تأسيسها على يد (مصطفى كمال اتاتورك) في العام 1923، إلا انها شهدت ظهور عددا من الاحزاب ذي النزعة الاسلامية ولعل اول هذه الاحزاب هو (حزب النظام الوطني) الذي اسسه (نجم الدين اربكان) في العام 1970 إلا ان هذا الحزب لم يدم طويلا وقد عملت القوى العلمانية على حضره في العام 1971.[3]

(1) سعاد حسن جواد، تركيا في سنوات الحرب العالمية الثانية 1939_1945،ط1، دار دجلة، عمان، 2009، ص ص15_16.

(2) المصدر السابق، ص 16.

(3) محمد نور الدين، الصيغة والدور، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2008، ص 78.

لذلك عمل عددا من القيادات الاسلامية وفي مقدمتهم (نجم الدين اربكان) إلى تشكيل حزب جديد إلا وهو (حزب السلامة الوطني) في 11 تشرين الاول 1972 وشارك في الانتخابات العام 1973 وحصل فيها الحزب على 48 مقعدا من مقاعد البرلمان التركي، كما دخل حكومة ائتلافية* مع حزب الشعب الجمهوري بزعامة بولند اجاويد.(4)

إلا إن حزب السلامة الوطني تم أغلاقه بعد انقلاب ايلول 1980 بسبب الدعوات التي كان يتبناها ومنها انهاء العلمانية في تركيا واعتبار الاسلام دينا رسميا في الدولة التركية، مما ادى إلى اعتبار حزب السلامة الوطني مهددا للعمانية في تركيا.(5)

كما ان القوى العلمانية في تركيا حاولت ايجاد بديلا اسلامية معتدلا يواجه القوى الشيوعية من جهة، ولا يتعدى على ثوابت النظام العلمانيين جهه اخرى، وظهر نموذج (تورغوتاوزال) الذي اصبح رئيسا للوزراء في العام 1983، وهو اول رئيس حكومة يؤدي مناسك الحج ويشارك في صلاة الجمعة فضلاً عن انه من اتباع الطريقة النقشبندية الصوفية واستطاع اوزال اتباع سياسة اسلامية معتدلة وايجاد طريق وسط بين الاسلام والعلمانية التركية، وقد عمل على تأسيس حزب الوطن الام العام 1983، وقد ضم اليه عدد من كوادر حزب السلامة الوطني (الاسلامي) الذي تم حضره وخاصة الكوادر الوسطى والدنيا عما ان اوزال كان احد اعضاء هذا الحزب وحاول اوزال تقديم نموذجاً اسلامياً معتدلاً لا يمس المؤسسة التركية العلمانية، إلا ان وفاة اوزال انها وجود بديل اسلامي معتدل مقبولا من العسكر.(6)

وفي العام 1983 تشكل حزب الرفاه من بعض قيادات السلامة الوطني الذي لم يدخل السجن بقيادة (احمد تقدال) بمباركة اربكان وتولى اربكان زعامة الحزب العام 1987 واتخذوا من شعار (النظام العادل) الذي يعبر عن النظام الاسلامي بصورة غير مباشرة بسبب منع القوانين العلمانية التركية نشاط اي حزب يحمل نزعات اسلامية.(7)

إلا ان المحكمة الدستورية التركية اصدرت في كانون الثاني من العام 1998 امراً بحظر حزب الرفاه ومنع (نجم الدين اربكان) وستة من قياديي الحزب من مزاولة العمل السياسي لمدة خمسة سنوات ويعود هذا الحظر إلى تنامي الخشية من قبل المؤسسة العسكرية التركية والقوى العلمانية التركية لتنامي دور الاسلام السياسي وظهر ذلك في فوزهم الكبير في الانتخابات البلدية الفرعية فضلاً عن السياسة الخارجية لاربكان وازدياد وتعزيز العلاقات مع الدول الاسلامية، ويرى البعض

* الحكومة الائتلافية التي شارك فيها حزب السلامة الوطني حصل فيها الحزب على سبعة وزارات اضافه إلى وزارة الداخلية ومنصب نائب رئيس الوزراء، أذ تولى فيها نجم الدين (اربكان) بائب رئيس الوزراء، ووعد حزب السلامة الوطني بعدة اهداف حاول تحقيقها عن طريق هذه الحكومة، ومنها اطلاق السجناء السياسيين ودعم الحريات العامة فضلاً عن اعطاء الحرية للصحافة، واستطاع حزب السلامة اصباغ الحكومة الائتلافية بحكومة وطنية اسلامية ولعل احد الامثلة على دور حزب السلامة الوطني وثقله بالحكومة الائتلافية ما قام به الحزب من الضغط على اسقاط وزير الخارجية التركي خير الدين اركمان في زمن هذه الحكومة تحت حجة دعم الوزير لا إسرائيل واحتلالها للقدس، فضلاً عن التأييد الواضح للشعب الفلسطيني، اما على الصعيد الداخلي فحاول حزب السلامة الحصول العديد من المكاسب من حزب الشعب الجمهوري شريكه بائتلاف ومنها اقتراح مشروع على البرلمان يحرم الماسونية وأغلاق محافلها. للمزيد ينظر: محمد مصطفى الطحان، حزب العدالة والتنمية رؤية من الداخل، مركز الشرق العربي. http://www.asharqalarabi.org.uk/center/dirasat_h.htm

(4) غيدان سعيد عبد المجيد، العلاقات التركية _الأمريكية 1991_2005، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد، 2007، ص85.

(5) مجموعة باحثين، تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج، ط1، مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2009، ص 114.

(6) رضا هلال، السيف والهلال تركيا من اتاتورك إلى اربكان الصراع بين المؤسسة العسكرية والاسلام السياسي، ط1، دار الشروق، القاهره، 1999، ص153.

(7) المصدر السابق، ص157.

ان حظر حزب الرفاه هي رسالة حاولت المؤسسة العسكرية ايصالها وهي التأكيد على ان المؤسسة العسكرية لن تسمح لاي سياسات تعرض المبادئ الكمالية للخطر.[8]

لكن اعضاء حزب الرفاه حافظوا على تماسك الحزب والسعي لعدم تفككه بعد الحظر ومنع قادته من ممارسة العمل السياسي، فضلاً عن ان اعضاء الرفاه بدؤا بتحضير خلفاء لقيادة الحزب للتعويض عن القيادات المحضورة، وبالفعل بدأ اغضاء الحزب بتشكيل حزب الفضيلة في العام 1998، وبإدخال قيادات شابة لقيادة الحزب وظهر إلى الواجهه اسم (رجب طيب اردوغان)* رئيس بلدية اسطنبول بسبب النجاح الذي حققه في ادارة اسطنبول، فضلاً عن عدد من القادة السابقين وبالفعل انتخب (رجائي قوتان) لرئاسة حزب الفضيلة، ولم يتخلص قادة الحزب الجديد من ملاحقة القوى العلمانية اذ تم حبس رجب طيب اروغان في العام 1998 لمدة 4 اشهر وتجريدة من رئاسة بلدية اسطنبول والعضوية في حزب الفضيلة ومنعه من الترشح للانتخابات لفتره غير محدده.[9]

لقد كان غلق حزب الفضيلة ذو النزعة الاسلامية في العام 2001 بزعامة نجم الدين اربكان ايذانا بانقسام اعضاء الحزب إلى قسمين اولهما اتجاها تقليديا يتمسك بأجراء نجم الدين اربكان وأيدولوجيته وتأسيسهم حزب سمي بحزب(السعادة) في 20 تموز 2001 بزعامة (رجائي قوطان)، وتقوم اهدافه على المطالبة بحل محاكم امن الدولة وانشاء محاكم تنظر بقضايا حقوق الانسان. اما اتجاه التحديث فيضم الاعضاء المعتدلين من حزب الفضيلة بزعامة رجب طيب اردوغان الرئيس السابق لبلدية اسطنبول وعبد الله غول ومن اهدافه الدعوة إلى التعددية الحزبية والعمل على انضمام تركيا إلى الاتحاد الاوربي وتقوية العلاقة مع البلدان العربية ودعم القضية الفلسطينية وتحقيق الاسلام الدائم وبالفعل تم تأسيس (حزب العدالة والتنمية) في 14 اب 2001.[10]

وعند النظر إلى البنية الداخلية لحزب العدالة والتنمية فنجدة مكون من تيارين اولهما تيار ليبرالي يمتد إلى سياسة اوزال والدعوة إلى انفتاح تركيا على العالم والدعوة إلى الحريات وحقوق الانسان اما التيار الآخر فأنه تيار اسلامي ويعد امتداد لسياسة نجم الدين اربكان، لذلك حاول الحزب من اجل الوصول إلى السلطة، كذلك عند بداية تسلمة السلطة إلى ايجاد توازن في سياسته الداخلية تجاه التيارات العلمانية، إلى جانب العلاقة مع دول الغرب من جهه والدول الاسلامية

(8) محمد نور الدين، تركيا الجمهورية الحائرة، ط1، مركز الدراسات الستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، 1998، ص ص 120 _113.

(9) ولد أر دوغان في 26 فبراير1954 في إسطنبول. لأسرة من أصل جورجي، أمضى طفولته المبكرة نشأ أردوغان في أسرة فقيرة. وأتم تعليمه في مدارس «إمام خطيب» الدينية ثم في كلية الاقتصاد والأعمال في جامعة مرمرة، انضم أوردغان إلى حزب الخلاص الوطني بقيادة نجم الدين أربكان في نهاية السبعينات، وبحلول عام 1983 عادت الحياة الحزبية إلى تركيا وعاد نشاط أوردغان من خلال حزب الرفاه، خاصةً في محافظة إسطنبول وبحلول عام 1994 رشح حزب الرفاه أوردغان إلى منصب عمدة إسطنبول، واستطاع أن يفوز في هذه الانتخابات خاصةً مع حصول حزب الرفاه في هذه الانتخابات على عدد كبير من المقاعد. في العام 1998 اتهُم أردوغان بالتحريض على الكراهية الدينية تسببت في سجنه ومنعه من العمل في الوظائف الحكومية ومنها الترشيح للانتخابات العامة، وبعد حضر حزب الفضيلة اسس وعبد الله غول حزب العدالة والتنمية العام 2001، وحاول ان يؤسس حزبا معتدلا بعيدا عن الصراع مع العلمانيين في تركيا، لذلك اكد ان حزب أن العدالة والتنمية سيحافظ على أسس النظام الجمهوري ولن يدخل في صراع مع القوات المسلحة التركية، خاض حزب العدالة والتنمية الانتخابات التشريعية عام 2002 لكن اردوغان لم يستطع ترأس الحكومة بسبب الحظر على تسلمه للمناصب الحكومية، لكنة تولى رئاسة الحكومة العام 2003 بعد اسقاط التهم عنه بعد توليه رئاسة الحكومة عمل على الاستقرار والأمن السياسي والاقتصادي والاجتماعي في تركيا، وتصالح مع الأرمن بعد عداء تاريخي، وكذلك فعل مع يونان، وفتح جسورا بينه وبين أذربيجان وبقية جمهوريات السوفيتية السابقة، وأرسى تعاونا مع العراق وسوريا وفتح الحدود مع عدة الدول العربية ورفع تأشيرة الدخول، وفتح أبوابا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا مع عدة البلدان العالمية، أعاد لمدن وقرى الأكراد أسمائها الكردية بعدما كان ذلك محظورا، وسمح رسميا بالخطبة باللغة الكردية.. http://ar.wikipedia.org/wikiموقع ويكبيديا
محمد نور الدين، تركيا الجمهورية الحائرة، مصدر سبق ذكره، ص121.

(10) احمد نوري النعيمي، النظام السياسي في تركيا، ط1، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان،2010، ص ص291_292.

من جهه اخرى وعليه فأن حزب العدالة والتنمية لا يصف نفسة بأنه حزب اسلامي بل على العكس بالرغم من الانتماءات والجذور الاسلامية لقادته ومؤيديه.[11]

وبالرغم من الصعوبات الكبيرة التي واجهت حزب العدالة والتنمية في خوض الانتخابات البرلمانية في 3 تشرين الثاني في العام 2002 من قبل المدعي العام التركي لمحكمة التمييز والتهديد بأغلاق الحزب، إلا ان حزب العدالة استطاع خوض الانتخابات البرلمانية وحقق نجاحا كبيرا محققا 34 % من الاصوات وحصل على 350 مقعد من المقاعد الـ (550) مما يعطيه الحق في تشكيل حكومة منفرداً دون ان يأتلف مع اي حزب اخر.[12]

بحيث اصبح حزب العدلة والتنمية التركي الحزب الوحيد الذي يشكل حكومة منفرداً بعد خمسة عشر عاماً من الحكومات الائتلافية وبهذا يحتل اقل بقليل من ثلثي مقاعد البرلمان التركي[13]

واستطاع حزب العدالة والتنمية ان يطرح مبادئ معتدلة تبتعد عن اي تشدد او تطرف تطمئن المؤسسة العسكرية التركية المتخوفة من صعود اسلامي إلى الحكومة وبالتالي يهدد المبادئ العلمانية التركية فضلاً من ان العدالة التنمية اراد ان يعطي صورة ايجابية للراي العام العالمي المتخوف من صعود الاسلاميين إلى الحكم في تركيا لكن بالرغم من هذا الفوز الكبير للعدالة التنمية بزعامة رجب طيب اردوغان إلا انه لم يستطع ان يتسلم رئاسة الحكومة بسبب المنع على تولية المنصب مما ادى إلى تولي عبد الله غول رئاسة الحكومة.[14]

لذى عمل رجب طيب اردوغان إلى تقديم قضيته إلى محكمة حقوق الانسان الأوروبية لأنصاف الظلم الذي وقع عليه من قبل المحكمة العليا التركية والتي اعتبرت كوسيلة ضغط على القوى السياسية التركية المتعطشة للموافقة على دخول تركيا الاتحاد الاوربي لذلك حاول حزب العدالة والتنمية تعديل الدستور التركي واعطاء الموافقة منع الحظر على تولي اردوغان منصب رئيس الوزراء إلا ان الرئيس التركي آنذاك (احمد نجدت سيزر) رفض المصادقة على هذه التعديلات وبفعل هذا الضغط وافق البرلمان التركي على رفع الحظر عن رجب طيب ارد وغان وقد رحبت الدول الأوروبية بهذا القرار كما دعمت الولايات المتحدة اردوغان وعده الرئيس السابق جورج بوش الابن ان اردوغان هو زعيم البلاد الحقيقي، كما وافق احمد نجدت سيزر على رفع الحظر عن اردوغان والقيام بتعديل الدستور وبالفعل رشح اردوغان في انتخابات فرعيه في اقليم

(11) محمد نور الدين، حزب العدالة والتنمية والتجربة الاسلامية في تركيا، ندوة، مجلة شؤون الاوسط، بيروت، العدد123، 2006، ص ص11، 17.

(12) احمد نوري النعيمي مصدر سبق ذكره، ص294.

(13) فوز ساحق لحزب العدالة والتنمية في الانتخابات التركية، موقع بي بي سي العربية http://news.bbc.co.uk

(14) عقيل سعيد محفوظ جدليات المجتمع والدولة في تركيا المؤسسة العسكرية والسياسة العامه،ط1،مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، 2008، ص ص 56_57.

سبيرت جنوب شرق تركيا واستطاع اردوغان من خلال هذه الانتخابات ان يتولى رئاسة الحكومة التركية.[15]

لكن رجب طيب اردوغان استطاع تولي رئاسة الحكومة في اذار من العام 2003 بعد ان تم اسقاط الحكم عنه، يحاول حزب العدالة والتنمية طرح نفسة بانه يمثل الإسلام المعتدل يتبنى اقتصاد السوق فضلاً عن التواجهات غير المعادية للغرب، لكنة من جانب اخر يعتقد اغلب قياداته انهم يمثلون العثمانيون الجدد ويحاولون إعادة امجاد الدولة العثمانية وتزعم العالم الإسلامي السني، ولعل توجاهت الحزب في الدفاع عن عدد من القضايا المتعلقة بالعالم الاسلامي وفي مقدمتها قضية فلسطين تصب في هذا الاتجاه، لكن في المحصلة النهائية أستطاع الحزب ان يتولى السلطة منفرداً بعد عدة ائتلافات بين القوى السياسية التركية لتشكيل الحكومة منذ العام 1991 إلى اليوم.[16]

المطلب الثاني:
موقف حزب العدالة والتنمية في كيفية الموائمة بين القيم العلمانية والإسلامية

أتخذ حزب العدالة والتنمية سياسة معتدلة حاول من خلالها أن يوازن بين جميع الأطراف، فمن جانب طمأنة المتخوفين من وصول قوى اسلامية إلى السلطة وخاصة تخوف المؤسسة العسكرية التركية والسياسة العامة التي سيتبعها ومن جانب اخر هناك احزاب سياسية متشددة تستطيع ان تغير الراي العام التركي والقوى الداعمة له وطمأنة الجانبين باتباع سياسه متوازنةلا تضر بأي مصلحة، فرجب طيب اردوغان اتبع سياسه لا تجتاز الخطوط الحمراء في جميع الملفات الداخلية، فهو من ناحية يحاول طمأنة المؤسسة العسكرية واسترضائها ومنعها من المشاركة في السياسة ويعبر عن مخاوفه مع المؤسسة العسكرية من ان الافكار المتطرفة مصدر خطراً على الطبقة الوسطى التركية، ومن ناحية ثانية يحاول تهدئة الاسلاميين الاتراك من عدم اتباع الافكار الراديكالية مما يدفع الجيش للخروج من الثكنات، كما حاول اردوغان تطوير الاقتصاد التركي وطمأنة رجال الاعمال الاتراك على السعي إلى تقوية الاقتصاد التركي.[17]

لذا حاول حزب العدالة والتنمية ايصال رسالة بأنه سيلتزم بالمبادئ العلمانية التي ينص عليها الدستور والسعي إلى ايجاد انسجام بين الديمقراطية والاسلام كما هو الحال الاحزاب الديمقراطية المسيحية في بلدان أوروبا الغربية التي تتمتع المؤسسات الدينية ورجال الدين بدور ملحوظ دون ان يؤثر ذلك على البناء

(15) حسين بسلي وعمر أوزباي، رجب طيب اردوغان قصة زعيم، ط1، ترجمة: طارق عبد الجليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2011، ص ص 395ـ397.

(16) يسيم ارت، الإسلام والديمقراطية الليبرالية في تركيا النساء الإسلاميات في معترك السياسة، ط1، ترجمة: منى محسن الصاوي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيوت، 2013، ص 14.

(17) جورج فريدمان، ثورة اردوغان ومستقبل الدولة التركية، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد361،2009، ص133.

العلماني لهذه البلدان بحيث لا يحاسب الافراد على آرائهم الدينية او افكارهم.[18]

ويحاول حزب العدالة والتنمية ان يظهر نفسة بأنه حزب يحترم الحريات الدينية والفكرية ولاتتعارض أفكاره مع المبادئ العلمانية لتركيا وتقوم سياسته على التسامح والحوار ويحرص على تجنب استعمال الشعارات الدينية في خطاباته السياسية.[19]

واستطاع حزب العدالة والتنمية ان يحقق نجاحات اقتصادية كبيرة انعكست على الوضع الاقتصادي للمواطن التركي إذ انخفض مستوى التضخم إلى 10 % بعد ان كان قبل وصول العدالة والتنمية إلى 70 % فضلاً عن ارتفاع متوسط دخل الفرد إلى 10000 الاف دولار بعد ان كان 3000 الاف دولار كما ازداد معدل النموفي الناتج المحلي إلى 7% ليرتفع مستوى الاقتصاد التركي إلى السادس اوربيا والسادس عشر بالنسبة إلى الاقتصاد العالمي.[20]

لقد الحزب استطاع بخطابه المعتدل الموجه إلى الطبقة الوسطى الكبيرة من المجتمع التركي إلى جانب دعواته للاقتصاد الحر والانفتاح على أوروبا وسعية للانضمام للاتحاد الاوربي فضلاً عن عدم ايمان المواطن التركي بالأحزاب اليمينية التي سادت في تلك الفترة وتوجهاتها كل هذا اعطى الدعم القوي للعدالة والتنمية والوصول إلى السلطة في تركيا فضلاً عن قيامة بالبحث عن حلول عن المشاكل الداخلية التركية ومنها المشكلة الكردية فضلاً عن المشاكل التي تعاني منها الاقليات العرقية والدينية في تركيا والعمل على هل حذة المشاكل وخاصة مشكلة الاقلية العلوية هذا من جانب بل ان العدالة والتنمية من خلال نجاحاته في السياسة الخارجية حاول ان يعكس هذا النجاح على زيادة الشعبية التي يتمتع بها.[21]

ويرى محمد نور الدين ان السياسات العلمانية القوية التي اتبعت في تركيا صقلت القوى الاسلامية التركية بهذا الاسلوب المعتدل من العمل السياسي بل توصل الاسلاميون انفسهم ان المجتمع الذي تتعد في القوميات والاديان يحتاج إلى العلمانية ويقول «رغم الممارسات المتطرفة للعلمانيين الاتراك فقد ساعدت الضغوط العلمانية علي «تهذيب» الخطاب الاسلامي، كما ان الاسلاميين ولاسيما في عهد حزب العدالة والتنمية توصلوا إلى قناعه بضرورة وحاجة مجتمع متعدد المذاهب إلى نظام العلمانية، الذي هو صمام امان للاستقرار مع السعي إلى ان تكون العلمنة اكثر انفتاحا ومرونة بينما البلدان العربية والاسلامية افتقدت كلا العنصرين: الديمقراطية والعلمانية وبغيابهما لا يمكنالاستفادة جديا من التجربة الإسلامية في تركيا».[22]

(18) خليل ابراهيم طيار، الصراع بين العلمانية والاسلام في تركيا، ط1، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد99، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية،2004، ص 69.

(19) حزب العدالة والتنمية، موقع المعرفة، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/

(20) مجموعة باحثين، تركيا بين رهانات الخارج وتحديات الداخل،ط1،الدار العربية ناشرون، بيروت،2009، ص8.

(21) مجموعة باحثين، الحوار العربي التركي بين الماضي والحاضر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2010، ص ص441_442.

(22) مجموعة باحثين، الحوار العربي التركي بين الماضي والحاضر، مصدر سبق ذكره، ص،452.

أما المعارضة تجاه سياسات حزب العدالة والتنمية فكان حزب الشعب الجمهوري يعد في مقدمة الأحزاب المعارضة لهذه السياسات حاول حزب الشعب الجمهوري ان يكون قريبا من الجيش بعده حامي المبادئ التي ارساها اتاتورك فالانقلابات التي قام بها الجيش في الاعوام 1960 و1970 و1980 فضلاً عن دور الجيش في اسقاط حكومة (نجم الدين اربكان) والتي دعمها حزب الشعب الجمهوري وحاول تبرير السياسات التي اتبعها العسكر بل الوقوف بوجه التوجهات الاسلامية التي تتبناها بعض الاحزاب كحزب العدالة والتنمية ووقف موقفا متشددا تجاه سياسة حزب العدالة والتنمية في احالة بعض قيادات الجيش الغير موالين للحكومة.[23]

(23) مجموعة باحثين، تركيا والقضية الفلسطينية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2010، ص ص 10_11.

وفي انتخابات 2007 فقد شهدت هذه الانتخابات معارضة كبيرة لترشيح رجب طيب اردوغان لرئاسة الوزراء، أذ أعلنت المؤسسة العسكرية في نيسان 2007 من ان النظام العلماني في تركيا في خطر، كما اعلن الرئيس التركي آنذاك احمد نجدت سيزر من ان العلمانية التركي في خطر وتواجهه اكبر تهديد منذ علان الجمهورية التركي العام 1923 كم شهدت انقرة تظاهرات معارضة لحزب العدالة والتنمية من القوى العلمانية شارك فيها 150 الف شخص نددت بصعود الاسلاميين ومعارضه لترشيح رجب طيب اردوغان لذلك دعى اردوغان إلى اجراء انتخابات تشريعية مبكرة في 22تموز 2007 وحصل فيها الحزب على 46,6% اي بزيادة قدرها 12% مقارنة بنتائج انتخابات العام 2002وبهذا حصل حزب العدالة والتنمية على 341من المقاعد.[24]

(24) احمد نوري النعيمي، مصدر سبق ذكره، ص ص299_304.

لقد بينت انتخابات 2007 مدى الشعبية والتأييد الذي يتمتع به حزب العدالة والتنمية التركي فمؤيدي الحزب تنوعت افكارهم وتوجهاتهم من اليمين إلى اليسار كذلك مناطقهم سواء في الريف او في المدن أذ ركز الحزب في قائمته على ضم جميع الاطراف والقوى السياسية ومن مختلف التوجهات ومنهم ارطغل كوناي سكرتير حزب الشعب الجمهوري السابق فضلاً عن اعضاء مقربين من حزب الحركة القومية مما جعل حزب العدالة يمثل جميع اطياف المجتمع التركي.[25]

(25) قرائه في نتائج 2007، موقع قناة الجزيرة http://www.aljazeera.net/NR/exeres ...

كما عمل حزب العدالة والتنمية بعد الانتصار الانتخابي في العام 2007 على ترشيح عبد الله غول لمنصب رئيس الجمهورية لكن غول لم ينجح بالجولة الاولى من الانتخابات التي حصلت في 20 اب 2007 لعدم حصوله على الاغلبية في المجلس الوطني الكبير مما ادى إلى الانتقال إلى جولة ثانية من الانتخابات وبالفعل استطاع غول ان يحظى بالأغلبية بعد ان قرر حزب المجتمع الديمقراطي الكردي بالتصويت لعبد الله غول في 30 اب 2007 ويعود دعم هذا الحزب لترشيح غول هو موافقه

حزب العدالة والتنمية على بفتح الابواب امام اللغة الكردية في الدستور التركي واعتبر اول رئيس جمهورية من اصول اسلامية يصل إلى هذه المنصب الرفيع منذ تأسيس الجمهورية التركية وادى اليمين الدستورية متعهدا ان يفصل الدين عن السياسة والحفاظ على علمانية الدولة التركية.[26]

كما دعم حزب الشعب الجمهوري احتجاجات الاتراك على سياسات (رجب طيب اردوغان) حول التعديلات المقترحة في ميدان تقسيم في اسطنبول وعدت الشرارة التي اطلقت الاحتجاجات تجاه سياسات اردوغان وشارك حزب الشعب الجمهوري بقوة بالاحتجاجات إلى جانب عدد من احزاب المعاضة الاخرى وناشطين مدنيين وغيرهم واتهمت الحكومة حزب الشعب بتأجيج هذه الاحتجاجات.[27]

وبالرغم من المحاولات الكثيرة من قبل القوى العلمانية لمعارضة السياسة التي يتبعها حزب العدالة والتنمية في مايعتبره العلمانيون الأتراك اسلمة تركيا وتعيين قيادات عسكرية موالية لها في الجيش وفي المؤسسات الاخرى لكن محاولاتهم بائت بالفشل ولعل ولعل رفض المحكمة الدستورية في العام 2008 رفض اغلاق الحزب دالة واضحة على ذلك، خاصة لما يتمتع به الحزب من شعبية كبيرة بعد فوزة في انتخابات العام 2011، لكن عدم تحقيقه اغلبية كبيرة في أنتخابات7/ 6/ 2015 وحصولة على (40.87 %) جعله غير قادر على تحقيق التعديلات الدستورية التي يهدف لها، إلى جانب لم يستطع الدخول في تحالفات مع الأحزاب الصغيرة الاخرى كل ذلك جعل الحكومة الثانية التي شكلها (احمد داود اوغلو) مؤقته حتى عقد أنتخابات جديده وهو ماحصل في 1/ 11/ 2015 وحقق الحزب أغلبية ساحقة بمقاعد البرلمان التركي وحصل على (49.5 %) بحيث يسنطيع تشكيل الحكومة منفرداً والذي يحاول من خلالها أردوغان طرح تعديلات دستورية على شكل الحكم وتحويلة إلى نظام رئاسي وصلاحيات كبيرة لرئيس الجمهورية وترشيح نفسة لهذا المنصب، كل ذلك لكي يستطيع الأخير طرح رؤيته لتركيا جديدة ضمن تتبنى المبادئ العلمانية لكنها على أرض الواقع تطبق القيم الإسلامية.[28]

وعلى هذا الأساس طرح حزب العدالة رؤيته من خلال أسس فكرية للنهوض بتركيا وأعادة امجاد الدولة العثمانية ويرى محمد زاهد غول ان العدالة والتنمية أستطاع من خلال توظيف القيم العلمانية ضمن اطر دينية، فجعل من الشورى ديمقراطية ومن العلمانية حرية ومساواة ومن المواطنة انتماء وعطاء من الإجماع دستوراً، وتعد جزاً من التجديد الفكري والفقهي في الفكر الذي طرحة الحزب.[29]

ليس هذا فحسب بل طرح رؤية جديدة لتعريف مفهوم العلمانية ونزع عنها معاداتها

(26) احمد نوري النعيمي، مصدر سبق ذكره، ص306.

(27) موقع الجزيرة نت.http://www.aljazeera.net/home/print

(28) جيم زانوتي، تركيا والعلاقات مع الولايات المتحدة، ترجمة: مركز باحث للدراسات الفلسطينية والأستراتيجية، أوراق باحث، نشرة، 2013، ص 18

(29) محمد زاهد غول، الترجربة النهضوية التركية كيف قاد حزب العدالة والتنمية تركيا إلى التقدم، ط1، مركز نماء للدراسات والبحوث، بيروت، 2013، ص ص 16ـ17.

للقيم الدينية وعرفها بأنها الحرية الدينية وأعطئها وصفاً جديداً يعطي مجالاً لحرية الدين والتعبد وبهذا الرؤية الجديدة تم توسعة المبادئ العلمانية ليشمل مجالاً اوسع، بما يخدم رؤية الحزب الجديدة والتي أعطته مجلاً اوسع لتبيق رؤيته الفكرية.[30]

وبالفعل حقق حزب العدالة والتنمية هدفه بالأستفتاء على 18[31] تعديل في 16/ 4/ 2017، بالغاء نظام الحكم البرلماني وتحويلة إلى نظام رئاسي، وألغاء منصب رئيس الوزراء، ووتغييرات في مجلس القضاء الأعلى والمدعين العامين، بعد أن تحالف مع الحزب القومي اليميني، إذ أستطاع الحزب الأفادة من الأنقلاب الفاشل في تموز 2016 ومحاربة جميع معارضية بحجة الأنتماء إلى حركة فتح الله غولن ودعمهم للأنقلاب.[32]

ليس هذا فحسب بل حاولت تركيا ان يكون لها دور فاعل ومحوري في المنطقة الشرق الأوسط بعدها تحمل ارث الأمبراطورية العثمانية ولا بد ان يكون لها دور في تزعم العالم الاسلامي لذلك نجدها تشدد على دعم القضية الفلسطينية مع عدم التفريط بالعلاقة مع أسرائيل، كما دعمت ثورات الربيع العربي في ليبيا ومصر وسوريا وتونس ودعم الاخوان المسلمين بشكل خاص.[33]

ان التخوف الذي طرحته قوى المعارضة من ان تطبيق سياسة حزب العدالة والتنمية ولد انتهاكاً للحريات بشكل عام وخاصة الصحفيين والقوى المعارضة من القوى العلمانية والقوى الكردية، ليس هذا فحسب بل القوى الإسلامية التي كانت متحالفة مع الحزب ومن ثم أخلفت معه كحركة فتح الله غولن، والذي تم تطبيقه فعليا من خلال الأعتقالات والترويع بموجب قانون مكافحة الأرهاب والذي أنتقدته منظمات حقوقية وعدته فضفاضاً لاسكات المعارضة تجاه سياسات الحزب وبالتالي تحول العدالة والتنمية إلى حزب واحد.[34]

ويرى الكاتب والمحلل السياسي (اتين محجوبيان) ان مايعانية العدالة والتنمية هي مشكلة مشروعية مهما بلغت شعبية الحزب، فأن التيارات والمتبنية للأيديلوجيا العلمانية المدافعه عن المبادئ الكمالية تعده فاقداً للشرعية، فالكمالية تستند على دعامتي العلمانية والقومية التركية، وبالرغم من محاولات العدالة والتنمية من تاكيده على هذه المبادئ ومحاولته الموائمة قيمه بما تتناسب معها من خلال التركيز على أعادة أمجاد الأمبراطورية العثمانية وأطلاق تسميات العثمانيين الجدد من متبنبن هذه الرؤية، لكن الحقيقة الواقعه أن هذه المحاولات تضل قاصرة نتيجة أختلاق القيم بين العقيدتين، لذلك وصل الحزب إلى قناعة من ضرورة أقصاء القوى التي

(30) رائد مصباح أبو داير، أستراتيجية تركيا شرق أوسطياً ودولياً في ضوء علاقاتها بأسرائيل2000ـ2011، ط1، باحث للدراسات الفلسطينية والأستراتيجية، بيروت، 2013، ص ص 165ـ166.

(31) من أهم هذه التعديلات هي رفع عدد نواب البرلمان من 550 إلى 600، خفض سن الترشح لخوض الانتخابات العامة من 25 إلى 18 عام، تجري الانتخابات العامة والرئاسية في نفس اليوم كل 5 سنوات. يستخدم البرلمان صلاحيته في الرقابة والتفتيش والحصول على معلومات عبر «تقصي برلماني» أو «اجتماع عام» أو «تحقيق برلماني» أو «سؤال خطي»،عدم قطع رئيس الدولة صلته بحزبه.ولاية رئيس الدولة 5 سنوات، ولا يحق للشخص أن يتولى منصب الرئاسة أكثر من دورتين. المرشح الذي يحصل على أغلبية مطلقة في الانتخابات يفوز بمنصب الرئاسة.رئيس الدولة يتولى صلاحيات تنفيذية، وقيادة الجيش، ويحق له تعيين نوابه والوزراء وإقالتهم.يعرض الرئيس القوانين المتعلق بتغيير الدستور على استفتاء شعبي في حال رآها ضرورية.يحق للرئيس إصدار مراسيم في مواضيع تتعلق بالسلطة التنفيذية، لكن لا يحق له إصدار مراسيم في المسائل التي ينظمها القانون بشكل واضح.يعتبر المرسوم الرئاسي ملغى في حال أصدر البرلمان قانونًا يتناول نفس الموضوع. يحق للبرلمان طلب فتح تحقيق بحق رئيس الدولة ونوابه والوزراء، ولا يحق للرئيس في هذه الحالة الدعوة إلى انتخابات عامة. يحق للرئيس تعيين نائب له أو أكثر.تسقط العضوية البرلمانية عن النواب الذين يتم تعيينهم في منصب نواب الرئيس أو وزراء. يمكن للبرلمان اتخاذ قرار بإجراء انتخابات جديدة بموافقة ثلاث أخماس مجموع عدد النواب.يحق للرئيس إعلان حالة الطوارئ في حال توفر الشروط المحددة في القانون.تلغى المحاكم العسكرية، بما فيها المحكمة القضائية العليا العسكرية والمحكمة الإدارية العليا العسكرية. يحظر إنشاء محاكم عسكرية في البلاد باستثناء المحاكم التأديبية.رئيس الدولة يعرض الميزانية العامة على البرلمان.يلغى مجلس الوزراء (يلغى منصب رئيس الوزراء)، ويتولى الرئيس مهام وصلاحيات السلطة التنفيذية، بما يتناسب مع الدستور جري الانتخابات العامة والرئاسية المقبلة في 3 نوفمبر 2019.

(32) موقع بيبي سي العربي: ينظر الموقع على شبكة الأنترنيت: http://www.bbc.com/arabic/ 6

(33) مركز بلادي للدراسات والأبحاث الأستراتيجية، العثمانية الجديدة الدور التركيفيالمنطقة العربية، مجلة ابحاث أستراتيجية، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الأستراتيجية، العدد3، تشرين الأول 2012، ص20.

(34) جيم زانوتي، مصدر سبق ذكره، ص ص 20ـ22.

تتبنى هذه الأفكار أو تحجيمها بقوة القانون كما حصل في التعديلات الدستورية أو بالأعتقال للمعارضين.[35]

كذلك تغيير سياسته وطرح رؤية قومية متشددة في محاولته كسب القوى القومية التي دعمته في الأستفتاء، فبعد أن تبنى تسوية القضية الكردية والدخول بحوارات تحت مسمى (الأنفتاح الديمقراطي) العام 2009 نجدة بدأ بتبني التشدد تجاه المقاتلين الأكراد ومحاربة عناصر الحزب الديمقراطي الكردستاني بعد تمدد الحزب في عدة مناطق في العراق وسوريا وتخوف تركيا من قوات حماية الشعب الكردي المدعومة امريكياً في سوريا وسيطرتها على أراضي واسعه من سوريا، لذلك تبنت الحكومة التركية أقامة منطقة آمنه في سوريا تسيطر عليها تركي مع قوات المعارضة السورية التابعة لها لمنع اية طموحات كردية.[36]

(35) بكر صدقي، تركيا تنازع بين شرعيتين، مجلة آفاق المستقبل، مركز الأمارات للبحوث والدراسات الأستراتيجية، أبة ظبي، العدد4، نيسان، 2010،، ص 67.

(36) عبد الله عبد الامير، تركيا الرجل المريض أسباب ونتائج الأستراتيجية التركية الجديدة، سلسلة حصاد البيان، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، العدد2،اب، 2015، ص ص 130ـ131.

الخاتمــة

اظهرت مدة حكم حزب العدالة والتنمية الأستراتيجية التي يتبناها في أسلمة تركيا في جميع مفاصل الدولة والعمل على احياء مجد الأمبراطورية العثمانية، لكن مع ذلك يحاول أردوغان العمل على عدم المساس بالثوابت التي بنيت أركان الدول التركية لأن المساس بتلك الأسس يقوض النجاحات التي حققها، إذ أستطاع طرح رؤية فكرية للعلمانية تتناسب مع رؤية الحزب وخاصة التي تتعلق بالحرية الدينية وبالتالي حقق الحزب هدفه في تبني القيم الإسلامية التي تعبر عن ايديلوجيته من جهه وعدم وجود أي تعارض مع القيم العلمانية التي تقوم علبها الدولة التركية، كذلك أستطاع أن يسيطر على المؤسسة العسكرية والتي كانت الخطر الأول تجاه تلك السياسة من خلال ابعاد القيادات العسكرية المناوئة لهذه السياسة واستفاد بصورة كبيرة من الانقلاب الفاشل الذي حاولت قيادات عسكرية في الجيس التركي تنفيذه لكنه فشل من خلال احالة أعداد كبيرة من قيادات المؤسسة العسكرية التركية للمحاكمة وللتقاعد واستبداهلم بموالين له، لكن مع ذلك لايمكن غض الطرف عن التحديات الكبيرة التي تواجه سياسة حزب العدالة والتنمية، وخاصة مع تنامي الخطر من وجود قوى مناوئه لها وتتبنا ايديلوجية مشابهة لأيدلوجية العدالة والتنمية وكانت متحالفة مع إلا وهي المؤسسات التابعة لرجل الدين عبد الله كولن، وتطبيق سياسات الحزب الواحد التي تؤدي بالنتيجة إلى أزدياد حجم المعارضة الداخلية والأحتقان الداخلي وخاصة بعد سوء الأوضاع الأقتصادية التي تمر بها تركيا ونهيار العملة التركية.

دور الفضائيات العراقية نحو ثقافة التظاهر والاحتجاج.. دراسة جمهور محافظة بغداد/ المركز

انفال حسن فاضل

باحثة من العراق

المقدمــة

نظراً لما يقوم به التلفاز من وظائف متعددة من توجية وارشاد وتثقيف وتوعية وإخبار، فقد يتمكن التلفاز من أن يسهم في تشكيل أتجاهات الجمهور ازاء القضايا المختلفة ومن ضمنها قضايا التظاهر والاحتجاج، عن طريق مضامين البرامج المقدمة. ومن هنا يمكن أن نتحدث عن دور القنوات الفضائية العراقية في خلق ودعم وتعزيز الاتجاه وتشكيل الوعي بقضايا وابعاد الواقع المعاش للفرد، بما يتلاءم مع الصالح العام ومتطلبات المجتمع العراقي. حيث يتعاظم دور التلفاز وأهميته عندما يمر المجتمع في مرحلة أصلاح أو تغيير. اما فيما يخص مفهوم ثقافة التظاهر فيتضمن كل ما يتعلق بتوصيل الأخبار والمعلومات التي تخص التظاهرات والمتظاهرين إلى المواطن بشكل عام، بما يضمن اكسابه خبرات ومعارف حول هذه المواضيع، لغرض تكوين سلوك من نوع ما يخدم اتجاه ما ويعززه. فكل معلومة تقدم إلى أفراد المجتمع حول قضايا التظاهر والمتظاهرين تدخل ضمن خانة الثقافة.

أهمية البحث :

ان ما دفع الباحثة لدراسة هذا الموضوع هو توضيح الدور الذي تؤديه القنوات الفضائية العراقية في تعزيز وتنمية ثقافة التظاهر والاحتجاج، وما يتبعها من تفرعات، تغير اتجاه الفرد وفق قضايا التظاهر والاحتجاج، فضلا عن تنمية الهوية الوطنية لدى الفرد للدفاع عن حقوقه وحاجاته الاساسية. اضافة إلى توضيح ما يجسده دور هذه القنوات من وظيفة دعم مصالح المواطن، فضلا عن كونها وسيلة فعالة في التأثير،

إلى جانب تشكيلها حلقه وصل ما بين المواطن والحكومة لحل أي مشكلة أو فجوة موجودة أو تتولد في مسار العمل، بين الطرفين.

مجتمع البحث والعينة:

يتمثل مجتمع البحث المستهدف من هذه الدراسة بسكان مدينة بغداد المركز باقضيتها (الكرخ، الرصافة، مدينة الصدر الاولى والثانية، الاعظمية، الكاظمية) من الذين اعمارهم من (18- فما فوق) حيث بلغ عدد سكانه حسب احصاءات عام 2019 للجهاز المركزي الوطني للاحصاء - وزارة التخطيط العراقية بـــ(5،768،812) خمس ملايين وسبعمائة وثمانية وستون ألفاً وثمانمائة واثنا عشر، من الذكور والاناث وجرى اخذ عينة منه بطريقة العينة متعددة المراحل (العنقودية)، وقد تم اختيار عينة قوامها (817) مبحوثاً، لتمثيل مجتمع البحث.

دور التلفاز

تعددت تعريفات مصطلح الدور بتعدد الاختصاصات والمهتمين به، حيث عرفهٌ علماء الاجتماع وعلماء النفس هو مجموعة من القيم والمعايير التي تحدد السلوك المنتظر من شخص معين أستناداً إلى سماته الشخصية، حيث يعبر عنه بالاسلوب أو مجموعة الأساليب التي يؤدي بها الشخص السلوك المطلوب أو المتوقع في موقف ما حسب المعايير الموضوعة، ويعرف ليمان الدور بأنه تنظيم لاتجاهات وعادات الأفراد التي تناسب وضعاً معيناً في تنظيم العلاقات الاجتماعية، أما لتنون فيعرف الدور على انه مجموعة من الأفعال التي يقوم بها الشخص ويؤكد أحتلاله للمركز، وربط المركز بالأشخاص. أما بارسونز فيرى أن الدور عنصر مشترك بين البناء الاجتماعي والشخصية.[1]

(1) احمد عبد الحسين ثاني السوداني، التلفزيون وبناء الوعي الامني لدى الجمهور: دراسة في العلاقات التكاملية بين الامن والاعلام،(بغداد، نشر وتوزيع مركز أضواء الاستشاري للدراسات والبحوث، 2017)، ص 234.

أما الدور في دراستنا فيأتي بمعنى مجموعة من الوظائف التي يؤديها التلفزيون بما يشتمل عليه من برامج للتأثير في الجمهور المتلقي وتشكيل اتجاهاته نحو ثقافة التظاهر والاحتجاج، من خلال التوعية والتوجية والاخبار والتثقيف وغرس وتعزيز وتغيير وتدعيم اتجاه الافراد والاراء ازاء قضايا المتظاهرين والمشاركة في التظاهرات.

ويعد التلفاز وسيلة مهمة من وسائل توحيد الافكار والمشاعر بين الناس، فضلا عن توحيد عاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم وقيمهم بسبب أن الآلاف منهم يشاهدون البرامج نفسها ويتعرضون إلى المؤثرات نفسها. ولهذا يمكن الأنسجام مع الحكم

الذاهب إلى أن التلفاز يساعد على تحقيق وحدة الفكر والمعايير والثقافة والاذواق الجمالية. حتى وقد يصبح التلفاز أداة من ادوات التثقيف الجماهيري، وبهذا فقد يثير كثيرا العمليات العقلية والشعورية واللاشعورية في الانسان مع مخيلاته المستمدة مما يراه على شاشات التلفاز. كما قد يثير في المشاهد روح التقمص الوجداني مع ما يرى من شخصيات يعجب بها، أو آراء أو افعال، تجعلة يسقط آماله وآلامه وعقده ومخاوفه النفسية في الواقع، لما يشاهد من مناظر وشخصيات وأحداث.[2]

(2) عبد الرحمن محمد العيسوي، علم النفس الإعلامي، المرجع نفسه اعلاه،ص 67.

مفهوم الثقافة

تؤدي الثقافة دورا مهما في أعداد الفرد وبلورة أفكاره ومواقفه واتجاهاته، ازاء القضايا والمشكلات في المجتمع، وتساهم في تشكيل جيل جديد. هذا وقد يتضح معنى الثقافة لو قارنا بين البيئة الطبيعية للإنسان، المتمثلة في العالم الطبيعي من حوله، والبيئة الثقافية التي يخلقها هذا الإنسان ؛ فالبيئة الطبيعية بكل ما فيها،سواء أكانت عضوية أم غير عضوية لم يوجدها الإنسان، بينما الثقافة هي من خلق الإنسان أثناء محاولته للتكيف وتحقيق التوازن بينه وبين العالم الطبيعي الذي يعيش فيه.[3]

(3) عبد الكريم علي الدبيسي، الرأي العام وعوامل تكوينه وطرق قياسه، (عمان، دار الميسرة للنشر والتوزيع، 2011)، ص 163.

ثقافة التظاهر والاحتجاج

ابتداء ترى الباحثة من الضروري الأشارة إلى أن مقتضيات اطلاق مصطلح (التجمع) حيث يجب أن تتوفر فيه ثلاث صفات هي: أن يكون هذا التجمع منظما، وغير مستمر، وهدفه تحقيق فكرة ما. ولذا نلاحظ أن فكرة التلقائية تستبعد من هذا الفهم. فضلا عن ذلك فقد نلاحظ أن مضمون حرية التجمع يستلزم تمكن الافراد من عقد التجمعات السلمية، وعدم تقييد هذه الحرية، إلا اذ احدث هذا التجمع اضطراباً في الأمن العام. كما لا يجوز حمل السلاح فيها عمداً او بهدف ارغام الناس على تنفيذ أغراض التجمع بالقوة.[4]

(4) محمد فخري راضي، الديمقراطية: مشاركة المواطن في اتخاذ القرارات، (عمان، دار امجد للنشر والتوزيع، 2014)، ص 22ـ23.

ان التظاهر بوصفه سلوكا انسانيا هو في الوقت نفسه فعل بيولوجي لا ينفصل بحكم الفطرة عن طبيعة الإنسان الغريزية، ولا غرابة ان يكون ممارسة مشتركة بين الشعوب والمجتمعات كافة. وهو ايضاً فعل ثقافي ينفلت بفضل ملكة العقل، ويتلاءم مع الوسط الذي يعيش فيه وينتمي اليه. ومن الطبيعي ان يختلف من مجتمع إلى اخر، من حيث مدخلاته ومخرجاته، وهذا مايفسر كونه عملية بناء منظمة تفرض على المحتجين اختيار الشكل التعبييري الذي يسمح بالتاثير في الجهة المعنية، وتحديد المطالب والشعارات المرفوعة، التي تظل في حدود الممكن والمعقول، واستثمار

التطور الحاصل في مجال الإعلام والاتصال.[5] إلى جانب ذلك فان السلوك الاحتجاجي هو ظاهرة صحية وحضارية ؛ فهي صحية لانها دالة على أن الجسم الاجتماعي لا يزال يشتغل، بما يعنيه ذلك من قدرة على الاحساس والتفاعل مع المحيط وهي حضارية لانها تكشف عن نفسها وتمارس بالعلن.[6]

الحركات الاحتجاجية

تعد الحركة الاحتجاجية إحدى اهم اساليب الحركات الاجتماعية التي تسمح للافراد بالتعبير عن مطالبهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، من خلال التظاهرات والمسيرات والاضرابات، بوصفها ظاهرة اجتماعية كغيرها من الظواهر الاجتماعية، ولها مفهومها الخاص وخصائصها المتعددة، التي تتميز بها عن غيرها من الظواهر، ولها اسبابها ايضاً والعوامل التي ساهمت في ظهورها وانتشارها بشكل متسارع، وهو ما ادئ إلى تعاظم وظائفها داخل الوطن العربي. وبعبارات أخرى فقد تعد الحركة الاحتجاجية نشاطا اجتماعيا غالباً ما يأخذ شكل التصورات والمشاعر غير المنظمة، ليصبح بالتدريج مع مرور الوقت كياناً متميزاً ومعبراً عن اشكال جديدة من الاجتهاد والسلوك الجمعي.[7]

التظاهر السلمي

ويعرف التظاهر السلمي بأنه أعتراض على أمر ما وطلب اصلاحه او تغييره وفي الغالب يكون أمرا سياسياً نتيجة الحرمان أو التمايز أو انتهاك خطير لحق أو لعدة حقوق من حقوق الإنسان، ويأخذ شكل المسيرات أو التجمعات المطالبة بهذه الحقوق ويجب أن يكون سلمياً ومحمياً من قوى الأمن الداخلي الحكومي، لكونه ممارسة شرعية للتعبير عن حرية الرأي.[8]

اسباب التظاهرات في العراق

عندما تقوم السلطة الحاكمة باهدار حقوق وحريات الفرد وانتهاك القوانين وخرق احكام الدستور، دون مبالات بقوة الراي العام.. ففي هذه الحالة، يبرز حق مقاومة الطغيان، لضمان احترام السلطة الحاكمة لقواعد القانون الدستوري وحسن تطبيقها له.[9]

وتجدر الأشارة هنا إلى تعدد الاسباب والدوافع التي تؤدي إلى التظاهرات من قبل العدديد من الفئات الشعبية، في المجتمع ؛ فمنها ما يتعلق بالحقوق شخصية،

(5) نوير عبد السلام، الحركات الاجتماعية والسياسية، مجلة الشؤون الاجتماعية، (الشارقة الامارات العربية، العدد 100، 2008)، ص 25.

(6) حكيمة ماهير، الحركات الاجتماعية: الجذور والتحولات، (برلين، المركز الديمقراطي العربي، 2019)، ص 48.

(7) عبد الواحد أوامن، تاريخ الحركات الاجتماعية بين المفهوم والنظريات، (برلين، المركز الديمقراطي العربي، 2019)، ص 24 ـ25.

(8) صبحي المحمصاني، أركان حقوق الإنسان بحث مقارن في الشريعة الاسلامية والقوانين الحديثة، (بيروت، دار العلم للملايين، 1979)، ص 171.

(9) جاسم محمد زكريا، دساتير الربيع العربي معادلة الثورة والدولة محاولة في التاصيل، مرجع سابق، ص 205.

ومنها مايتعلق بالحقوق الجماعية، أوالعامة. واكثر التظاهرات يكون هدفها تحسين الاجور والرواتب والتعيينات واقامة العدل وتحقيق الحرية والكرامة الإنسانية ويمكن ملاحظة ذلك من خلال معرفة الشعارات التي يطلقها المتظاهرون.[10]

ان النشاطات الاحتجاجية في العراق لاسيما التظاهرات تحمل جملة من الاسباب التي ادت إلى انبثاقها وبروزها بشكل حركة لمجموعة من الافـراد للمطالبة بحقوقهم،أو بالحقوق العامة، خاصة تلك التي تتعلق بتدهور الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكل ما اسهم في ايقاظ سلوك التظاهر والاحتجاج في البلاد، ومن ضمن هذه الاسباب:

الاسباب السياسية: في اي مجتمع يمثل البناء السياسي انعكاسا للبنيتين الاقتصادية والاجتماعية، وفي ظل فشل شبه تام وعجز عن معالجة مشاكل المجتمع لا سيما المتعلقة منها باطلاق الحريات بمختلف اشكالها، وفي مقدمتها الحرية السياسية وما يتصل منها بآليات الحكم وتداول السلطة سلمياً، وهو ما يسمى بالجيل الاول من الحقوق، كما يرى بعض الباحثين، وتكون في الوقت نفسه مرتبطة بحرية التعبيير عن الرأي، التي تشكل ضمانا لتنفيس المجتمع عن مشاعره ومعاناته وما يتعرض له من مظالم. وكل ذلك ادى ويؤدي إلى تناقض حاد بين شعارات الانظمة واعلامها وبين حقائق الوعي السياسي الشعبي القائم على المعاناة اليومية وتفشي الفساد والفوضى بشكل واسع.[11] حيث أخذت التظاهرات أشكالا وصورا متعددة وشاركت فيها فئات وشرائح متعددة طالبت بحقوقها. ويمكن تلخيص اهم المطالب التي وردت في البيانات التي أصدرتها لجنة تنسيق التظاهرات (مستمرون) ؛ إصلاح النظام السياسي، بسلطاته الثلاث.إصلاح هيكلية وعمل الهيئات المستقلة. المطالبة بالخدمات.فتح ملفات الفساد وإحالة الفاسدين إلى القضاء واسترداد المال العام المنهوب، الإصلاح السياسي والقضائي. إيجاد الأنظمة والتشريعات والقوانين الضامنة لتحقيق العدالة الاجتماعية وتقديم الخدمات لكل المواطنين.

عدم وجود تلمس الإصلاحات، ولم يجر العمل وفق الورقة الإصلاحية، استنكار الإجراءات الأمنية المتخذة بحق المتظاهرين. محاسبة عنصر الأمن الذي اطلق النار على المتظاهرين، تشريع قوانين تضمن الإصلاحات، تحسن إدارة الدولة ومحاسبة الفسادين وكذلك مراقبة أداء الحكومة.[12]

الأسباب الإقتصادية والاجتماعية: على الرغم من الثروات البشرية والمادية الهائلة التي يمتلكها العراق، فان الدولة فيه اخفقت في تحقيق التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية ؛ أذ لاتزال قطاعات واسعة من الشعب تعاني من الامية والبطالة وتدني

(10) فتحي حسين عامر، الإعلام والتظاهرات مشروعيتها ودوافعها، مرجع سابق، ص 25.

(11) خالد المعيني، كي لا تسرق الثورة: دراسة موضوعية في ربيع الثورات العربية، (بيروت، منشورات ضفاف، 2014)، ص 20.

(12) جاسم محمد سهراب، الدور السياسي للحركات الاجتماعية في العراق (2003ـ2015)، أطروحة دكتوراه، (جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية،2016)، ص 188. بالاعتماد على البيانات الصادرة من لجنة تنسيق التظاهرات (مستمرون).

مستويات الدخل وغياب الخدمات، وهذا ما ادى إلى تزايد السخط الاجتماعي وظهور الحركات الاحتجاجية (التظاهرات).[13] وهي ما تسمى بالجيل الثاني من الحقوق، وتكون مرتبطة بالأمن، وتشتمل على: العمل والتعليم، والمستوى اللائق من المعيشة، والمأكل والمشرب والرعاية الصحية.[14]

(13) عبد الواحد أوامن، تاريخ الحركات الاجتماعية بين المفهوم والنظريات، مرجع سابق، ص30ـ31.

(14) ماهر صبري كاظم، حقوق الإنسان والديمقراطية والحريات العامة، (بغداد، مطبعة الكتاب، ط2، 2010)، ص 14.

الإطار الميداني (العملي):

1 - نوع المبحوثين (الجنس)

بلغ أجمالي المبحوثين المشاركين في هذه الدراسة وضمن العينة المختارة من محافظة مدينة بغداد/ المركز (817) مبحوثاً، توزعوا عشوائياً حسب متغير النوع على (482) مبحوثاً من الذكور إذ بلغت نسبتهم (59 %) وهي تمثل الجزء الاكبر من حجم عينة الدراسة، يقابلها (335) مبحوثاً من الاناث حيث بلغت نسبتهم (41 %) من أجمالي العينة المختارة للدراسة. كما موضح في الجدول رقم (1) ادناه.

جدول (1): يبين توزيع افراد العينة حسب النوع الاجتماعي

النوع الاجتماعي	التكرار	النسبة
ذكر	482	% 59
أنثى	335	% 41
المجموع	817	% 100.0

2 - ابرز البرامج والخدمات الاخبارية التي يفضلها الجمهور في استقتاء المعلومات عن التظاهرات والاحتجاجات:

لمعرفة اهم البرامج والخدمات الاخبارية التي يفضلها الجمهور في استقاء المعلومات عن قضايا التظاهر والاحتجاج التي يتعرض لها في القنوات الفضائية العراقية، بهدف التركيز والعمل عليها. ترتب على ذلك النتائج الأتية:

أ - النشرات الاخبارية: أحتلت النشرات الاخبارية المرتبة الاولى من ضمن البرامج التي يفضلها الجمهور في استقاء المعلومات عن قضايا التظاهر والاحتجاج، حيث بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا النشرات الاخبارية (489) مبحوثاً بنسبة بلغت (% 34.9).

ب - البرامج الحوارية: أحتلت البرامج الحوارية المرتبة الثانية من ضمن تفضيلات الجمهور في استقائه للمعلومات حول قضايا التظاهر والمتظاهرين حيث بلغ عدد

المبحوثين الذين اختاروا البرامج الحوارية (360) مبحوثاً بنسبة بلغت (25.7 %).

ج - **التغطية المباشرة:** أحتلت التغطيات المباشر للمتظاهرين والتظاهرات المرتبة الثالثة من ضمن تفضيلات الجمهور في استقائه للمعلومات من القنوات الفضائية العراقية، فقد بلغ عدد المبحوثين (211) مبحوثاً بنسبة بلغت (15 %).

د - **الشريط الاخباري (السبتايتل):** أحتلت الخدمات الاخبارية (السبتايتل) التي تعرض أخبار التظاهرات والمتظاهرين المرتبة الرابعة من ضمن الفئات التي يفضلها الجمهور في استقاء المعلومات من القنوات الفضائية العراقية حيث بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا الشريط الاخباري (السبتايتل) (107) مبحوثاً بنسبة بلغت (7.6 %).

هـ - **البرامج الكوميدية الساخرة:** احتلت البرامج الكوميدية المرتبة الخامسة من ضمن الفئات التي يفضلها الجمهور في استقاء المعلومات من الفضائيات العراقية، حيث بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا هذه الفئة (91) مبحوثاً بنسبة بلغت (6.5 %).

و - **المقابلات التلفازية:** أحتلت المقابلات التلفازية التي تكون خارج النشرات الاخبارية المرتبة السادسة من ضمن الفئات المفضلة للجمهور في استقاء المعلومات من الفضائيات العراقية حول قضايا التظاهر والمتظاهرين، حيث بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا هذه الفئة (45) مبحوثاً بنسبة بلغت (3.2 %).

ز - **البرامج الوثائقية:** أحتلت البرامج الوثائقية التي تتضمن قضايا التظاهر والمتظاهرين المرتبة السابعة من ضمن الفئات التي يفضلها الجمهور في استقاء المعلومات من القنوات الفضائية العراقية حيث بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا البرامج الوثائقية (44) مبحوثاً بنسبة بلغت (3.1 %).

ح - **البرامج التفاعلية:** التي تشتمل على (الجمهور الخارجي أو الجمهور الداخلي) والإتصال عبر الهاتف او(sms) والتي أحتلت المرتبة الثامنة من ضمن تفضيلات الجمهور في استقاء المعلومات من الفضائيات العراقية، حيث بلغ عدد الذين اختاروا هذه الفئة (35) مبحوثاً بنسبة بلغت (2.5 %).

ط - **الفواصل والسبوتات:** التي تعرض خارج النشرات الاخبارية، والتي أحتلت المرتبة التاسعة والاخيرة من ضمن تفضيلات الجمهور في استقاء المعلومات من الفضائيات العراقية، حيث بلغ عدد الذين اختاروا هذه الفئة (21) مبحوثاً بنسبة بلغت (1.5 %).

جدول (2): يبين أبرز البرامج التي يفضلها الجمهور في استقاء المعلومات من الفضائيات العراقية

البرامج والخدمات الأخبارية	التكرار	النسبة
نشرات الاخبار	489	%34.9
البرامج الحوارية	360	%25.7
التغطيات المباشرة	211	%15
الشريط الاخباري(السبتايتل)	107	%7.6
البرامج الكوميدية الساخرة	91	%6.5
المقابلات التلفازية (خارج نشرات الاخبار والبرامج الحوارية)	45	%3.2
البرامج الوثائقية	44	%3.1
البرامج التفاعلية (الجمهور الخارجي أو الجمهور الداخلي) والإتصال عبر الهاتف اوsms	35	%2.5
الفواصل والسبوتات(تعرض خارج النشرات عن التظاهرات)	21	%1.5
المجموع	**1403**[15]	**100.0**

(15) المجموع غير مطابق مع حجم العينة بسبب أن السؤال اتاح للمبحوثين باختيار أكثر من بديل.

3 - الفضائيات العراقية التي يتابع من خلالها الجمهور برامج ومضامين التظاهرات والاحتجاجات:

لمعرفة الفضائيات التي يفضلها المشاهد في استقاء الاخبار والمعلومات حول قضايا التظاهر والمتظاهرين، اتيحت للمبحوثين كتابة اسم القناة مع ذكر اسم البرنامج لثلاث فضائيات عراقية يتابع من خلالها برامج ومضامين التظاهرات والاحتجاجات، من ضمنها نشرات الاخبار. يتم ترتيبها حسب تفضيل الجمهور واهميتها بالنسبة له، تم وضع السؤال «حدد ثلاث فضائيات عراقية تتابع من خلالها برامج ومضامين التظاهرات والاحتجاجات من ضمنها نشرات الاخبار (رتبها حسب درجة تفضيلك واهميتها بالنسبة لك)»، وترتب على ذلك ابرز النتائج الآتية، مع الاشارة إلى باقي القنوات والبرامج في جدول النتائج:

أ- قناة الشرقية الفضائية: احتلت هذه القناة المرتبة الأولى من إجابات المبحوثين بشأن محور اهتمامات وتفضيلات المبحوثين للفضائيات التي تتناول في تغطيتها موضوعات وقضايا التظاهر والاحتجاج حيث كان مجموع الأوزان المرجحة لاختيارات المبحوثين (946) ووسطها المرجح الموزون (157,67).

ب- **قناة العراقية الفضائية:** جاءت قناة العراقية الفضائية بالمرتبة الثانية من إجابات المبحوثين بهذا الشأن إذ كان مجموع الأوزان المرجحة لاختيارات المبحوثين (614) ووسطها المرجح الموزون (102,33).

ت- **قناة دجلة الفضائية:** احتلت هذه القناة المرتبة الثالثة من اهتمامات وتفضيلات المبحوثين لمحور تغطية القنوات الفضائية العراقية لموضوعات التظاهر والاحتجاج وكان مجموع الأوزان لاختيارات المبحوثين (311) ووسطها المرجح الموزون (51,83). وجاءت باقي القنوات وبحسب مجموع الأوزان المرجحة ووسطها المرجح الموزون وعلى التوالي إذ حصلت قناة **(العهد الفضائية)** المرتبة الرابعة وكان مجموع أوزانها المرجحة (262) ووسطها المرجح الموزون (43,67). وبالمرتبة الخامسة قناة **(السومرية)** الفضائية وكان مجموع أوزانها المرجحة (232) ووسطها المرجح الموزون (38,67) ثم جاءت بالمرتبة السادسة قناة **(الاتجاه الفضائية)** ومجموع أوزانها المرجحة (218) ووسطها المرجح الموزون (36,33). للمزيد (ينظر جدول 12).

جدول رقم (3) يبين القنوات الفضائية العراقية التي يفضلها الجمهور في استقاء معلومات قضايا التظاهر والاحتجاج

القناة	المرتبة الأولى×3	المرتبة الثانية×2	المرتبة الثالثة×1	مجموع الأوزان المرجحة	الوسط المرجح الموزون
قناة الشرقية الفضائية	213	115	77	946	157,67
قناة العراقية الفضائية	135	88	33	614	102,33
قناة دجلة الفضائية	75	35	16	311	51,83
قناة العهد الفضائية	62	32	12	262	43,67
قناة السومرية الفضائية	55	28	11	232	38,67
قناة الاتجاه الفضائية	52	25	12	218	36,33
قناة الرشيد الفضائية	40	19	10	168	28
قناة هنا بغداد الفضائية	38	17	10	158	26,33
قناة الفرات الفضائية	29	16	9	128	21,33
قناة بلادي الفضائية	25	16	10	117	19,5
قناة الحدث الفضائية	20	15	9	99	16,5

قناة التغيير الفضائية	19	14	8	93	15,5
قناة الفلوجة الفضائية	18	11	7	83	13,83
قناة افاق الفضائية	15	10	7	72	12
قناة المسار الفضائية	14	10	6	68	11,33
قناة ديوان الفضائية	10	9	6	54	9
قناة اسيا الفضائية	8	9	5	47	7,83
قناة كربلاء الفضائية	6	7	2	34	5,67
قناة الرافدين الفضائية	5	7	2	31	5,17
قناة الموصلية الفضائية	4	6	2	26	4,33
قناة النجباء الفضائية	3	5	1	20	33,33

افضل البرامج التي أختارها الجمهور في القنوات الفضائية العراقية:

تمت الاشارة من قبل المبحوثين إلى جانب افضل القنوات الفضائية، إلى افضل البرامج التي يتابع من خلالها برامج ومضامين التظاهرات والاحتجاجات، من ضمنها نشرات الاخبار، حسب اهميتها وتفضيلها بالنسبة للمبحوثين، وترتب على ذلك ابرز النتائج التالية ؛ مع ذكر باقي البرامج في جدول النتائج:

1 - **نشرة الاخبار:** احتلت النشرات الاخبارية المركز الاول من ضمن البرامج التي يفضلها الجمهور في استقاء المعلومات عن التظاهرات والاحتجاجات، في القنوات الفضائية العراقية، حيث بلغ عدد المبحوثين (173) مبحوثاً بنسبة (36.1 %).

2 - **برنامج بالحرف الواحد:** احتل برنامج بالحرف الواحد الذي يقدم عل قناة الشرقية المركز الثاني من ضمن اختيارات الجمهور التي يفضلها في استقاء المعلومات عن التظاهرات والاحتجاجات، في القنوات الفضائية العراقية، حيث بلغ عدد المبحوثين (146) مبحوثاً بنسبة (14.4 %).

3 - **برنامج بين الناس:** احتل برنامج بين الناس الذي يقدم على قناة دجلة المركز الثالث من ضمن البرامج التي يفضلها الجمهور في استقاء المعلومات عن التظاهرات والاحتجاجات، في القنوات الفضائية العراقية، حيث بلغ عدد المبحوثين (72) مبحوثاً بنسبة (15 %).

جدول رقم (4): يبين افضل البرامج التي أختارها الجمهور في القنوات الفضائية العراقية

البرامج	التكرار	النسبة
نشرة الاخبار	173	36.1
بالحرف الواحد	146	30.4
بين الناس	72	15
الحصاد	15	3.1
المكاشفة	12	2.5
القرار لكم	8	1.7
تغطية خاصة	8	1.7
بتوقيت العاصمة	7	1.5
الهوى لك	4	0.8
اهل المدينة	4	0.8
قاسي القلب	3	0.6
اوراق مطلقة	3	0.6
الحوار	3	0.6
مقابلات تلفزيونية	3	0.6
خط أحمر	2	0.4
من الواقع	2	0.4
مابين السطور	2	0.4
ناس وناس	1	0.2
مع السلطة	1	0.2
الرأي العام	1	0.2
مع الناس	1	0.2
الملف	1	0.2
نشرة الاسبوع	1	0.2
الحوار لكم	1	0.2
من زاوية اخرى	1	0.2

بعد التاسعة	1	0.2
بصراحة	1	0.2
برنامج منهج	1	0.2
ممنوع من العرض	1	0.2
سحر عباس/ القرار لكم	1	0.2
المجموع	**479**	**100.0**

أبرز مميزات القنوات الفضائية التي فضلها الجمهور في متابعة برامج التظاهرات والاحتجاج:

تمت معرفة بماذا تتميز القنوات التي أختارها جمهور مدينة بغداد على وفق الخيارات التالية؛ (تعرض التظاهرات كما هي دونما تدخل في ابداء رأي بشأنها لا سلبياً ولا ايجابياً، تتناول وتعالج القضايا المهمة للتظاهرات في أكثر من برنامج، تتفق مع توجهاتي، تواجدها الدائم في تغطية التظاهرات، تهتم بآراء الخبراء والمختصين بشأن التظاهرات، لانها ساندت المتظاهرين في ايصال مطالبهم، تنقل التغطية بكل حيادية وموضوعية، ملاكاتها جيدة وتعمل بشكل مهني) وترتب على ذلك النتائج الآتية:

أ - تواجدها الدائم في تغطية التظاهرات: تميزت القنوات التي اختارها الجمهور بتواجدها الدائم في التغطية للتظاهرات والمتظاهرين، حيث أحتلت هذه الفئة المرتبة الاولى، وقد بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا هذه الفئة (264) مبحوثاً بنسبة بلغت (19.5 %).

ب - تهتم بآراء الخبراء والمختصين بشأن التظاهرات: تميزت القنوات التي اختارها الجمهور بأهتمامها باراء الخبراء والمختصين بشأن التظاهرات حيث أحتلت هذه الفئة المرتبة الثانية، وقد بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا هذه الفئة (260) مبحوثاً بنسبة بلغت (19.2 %).

ج - تتناول وتعالج القضايا المهمة للتظاهرات في أكثر من برنامج: تميزت القنوات التي اختارها الجمهور بأنها تتناول وتعالج القضايا المهمة للتظاهرات في أكثر من برنامج حيث أحتلت هذه الفئة المرتبة الثالثة، وقد بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا هذه الفئة (258) مبحوثاً بنسبة بلغت (19.1 %).

د - تتاتفق مع توجهاتي: تميزت القنوات التي اختارها الجمهور بأنها تتاتفق مع

توجهات المبحوثين حيث أحتلت هذه الفئة المرتبة الرابعة، وقد بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا هذه الفئة (188) مبحوثاً بنسبة بلغت (13.9).

هـ - تعرض التظاهرات كما هي دونما تدخل في ابداء رأي بشأنها لا سلبياً ولا ايجابياً: تميزت القنوات التي اختارها الجمهور بتواجدها الدائم في التغطية للتظاهرات والمتظاهرين، حيث أحتلت هذه الفئة المرتبة الخامسة، وقد بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا هذه الفئة (156) مبحوثاً بنسبة بلغت (11.5 %).

و - لانها ساندت المتظاهرين في ايصال مطالبهم: تميزت القنوات التي اختارها الجمهور بأنها ساندت المتظاهرين في ايصال مطالبهم حيث أحتلت هذه الفئة المرتبة السادسة، وقد بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا هذه الفئة (86) مبحوثاً بنسبة بلغت (6.4 %).

ز - تنقل التغطية بكل حيادية وموضوعية: تميزت القنوات التي اختارها الجمهور بأنها تنقل التغطية بكل حيادية، حيث أحتلت هذه الفئة المرتبة السابعة، وقد بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا هذه الفئة (73) مبحوثاً بنسبة بلغت (5.5 %).

ح - ملاكاتها جيدة وتعمل بشكل مهني: تميزت القنوات التي اختارها الجمهور بأن ملاكاتها جيدة وتعمل بشكل مهني حيث أحتلت هذه الفئة المرتبة السادسة، وقد بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا هذه الفئة (66) مبحوثاً بنسبة بلغت (4.9 %).

جدول (5): يبين مميزات القنوات التي اختارها الجمهور

المميزات	التكرار	النسبة
تواجدها الدائم في تغطية التظاهرات	264	% 19.5
تهتم بآراء الخبراء والمختصين بشأن التظاهرات	260	% 19.2
تتناول وتعالج القضايا المهمة للتظاهرات في أكثر من برنامج	258	% 19.1
تتاتفق مع توجهاتي	188	% 13.9
تعرض التظاهرات كما هي دونما تدخل في ابداء رأي بشأنها لا سلبياً ولا ايجابياً	156	% 11.5
لانها ساندت المتظاهرين في ايصال مطالبهم	86	% 6.4
تنقل التغطية بكل حيادية وموضوعية	73	% 5.5
ملاكاتها جيدة وتعمل بشكل مهني	66	% 4.9
المجموع	**1351**	**100.0**

4 - اسهام الفضائيات العراقية بغرس واشاعة ثقافة التظاهر والاحتجاج بين طبقات وشرائح المجتمع والجمهور العراقي

لمعرفة وجهة نظر الجمهور حول مدى اسهام القنوات الفضائية العراقية في اشاعة وغرس ثقافة التظاهر والاحتجاج بين طبقات المجتمع المختلفة، تم طرح السؤال الآتي: (باعتقادك إلى اي درجة اسهمت الفضائيات العراقية بغرس واشاعة ثقافة التظاهر والاحتجاج بين طبقات وشرائح المجتمع والجمهور العراقي)، مع وضع اربع خيارات للمبحوثين هي: (اسهمت بدرجة كبيرة، اسهمت بدرجة متوسطة، اسهمت بدرجة قليلة، لم تسهم اطلاقاً) وترتب على ذلك النتائج الاتية:

أ - اسهمت بدرجة متوسطة: أحتل هذا الاختيار المرتبة الاولى ؛ فقد بلغ عدد الباحثين (366) باحثاً ممن أيدوا كون القنوات الفضائية العراقية تسهم بصورة متوسطة في اشاعة وغرس ثقافة التظاهر والاحتجاج بين شرائح المجتمع، وبلغت نسبتهم 47.7 % من العدد الكامل للمبحوثين.

ب - اسهمت بدرجة كبيرة: أحتل هذا الاختيار المرتبة الثانية، فقد بلغ عدد المبحوثين (208)، أما نسبتهم فقد بلغت (27.1 %)، في كونه القنوات الفضائية اسهمت بدرجة كبيرة في غرس واشاعة ثقافة التضاهر والأحتجاج.

ج - اسهمت بدرجة قليلة: أحتل هذا الاختيار المرتبة الثالثة فقد بلغ عدد الباحثين الذين أيدوه (119) مبحوثاً بنسبة بلغت (15.5 %).

د - لم تسهم أطلاقاً: أحتلت المرتبة الاخيرة من اختيارات المبحوثين لها حيث بلغ عدد المبحوثين (74) بنسبة (9.6 %) وهي نسبة قليلة مقارنةً بالنسب السابقة وسيتم التعرف على اهم الاسباب فيما بعد.

جدول (6): يبين اسهام الفضائيات في اشاعة وغرس ثقافة التظاهر

اسهام الفضائيات في اشاعة وغرس ثقافة التظاهر	التكرار	النسبة
اسهمت بدرجة متوسطة	366	47.7
اسهمت بدرجة كبيرة	208	27.1
اسهمت بدرجة قليلة	119	15.5
لم تسهم اطلاقاً	74	9.6
المجموع	**767**	**100.0**

أسباب الذين اجابوا بـ (اسهمت بدرجة كبيرة، اسهمت بدرجة متوسطة، اسهمت بدرجة قليلة):

بالاضافة إلى ذلك فقد تم وضع سؤال تكميلي حول اسباب الذين اجابوا بـ (اسهمت بدرجة كبيرة، اسهمت بدرجة متوسطة، اسهمت بدرجة قليلة)، وترتب على ذلك النتائج الآتية:

أ - قفد ظهر من بين اهم الاسباب التي جاءت في المرتبة الاولى للمبحوثين ممن اجابوا على الفقرات السابقة المتمثلة في (اسهمت بدرجة كبيرة، اسهمت بدرجة متوسطة، اسهمت بدرجة قليلة)، سبب أن ما يميز القنوات الفضائية العراقية في الأعتقاد كونها تعزز وتشيع ثقافة التظاهر، فضلا عن كونها ساندت المتظاهرين في ايصال مطالبهم، بلغ عدد المبحوثين (428) مبحوثاً بنسبة بلغت (30.8 %)

ب - اما في المرتبة الثانية فقد كان سبب تعزيز واشاعة ثقافة التظاهر في كونها ساهمت في تعزيز قناعات المواطنين لثقافة التظاهر والاحتجاج حيث جاء في المرتبة الثانية وقد بلغ عدد المبحوثين (358) بنسبة بلغت 25.7.

ج - اما المرتبة الثالثة التي تؤيد سبب تعزيز واشاعة ثقافة التظاهر كون القنوات الفضائية وضعت يدها على ابرز نقاط الضعف في عمل الحكومة، قد بلغ عدد المبحوثين (343) بنسبة بلغت (24.7 %).

د - اما المرتبة الرابعة فقد كانت بسبب انها قدمت رؤية للحكومة عن طبيعة عمل دوائرها وتقصيرها في تقديم خدمة للمواطن، حيث بلغ عدد المبحوثين (176) بنسبة بلغت (12.6).

هـ - اما السبب الاخير تمثل في كون القنوات الفضائية العراقية عززت الجوانب الايجابية للتظاهرات، قد بلغ عدد المبحوثين (86) بنسبة بلغت (6.2 %).

أما الاسباب التي جعلت المبحوثين يجيبون على الاختيار (لم تسهم اطلاقاً)، فقد ترتب على ذلك النتائج الآتية:

جاء في المرتبة الاولى ان القنوات الفضائية العراقية (تم استغلالها لصالح السياسين)، حيث أجاب على هذا الاختيار (48) مبحوثاً بنسبة (35 %). اما المرتبة الثانية في كونها لم تسهم بتعزيز واشاعة ثقافة التظاهر، بسبب (عدم حيادية القنوات

الفضائية العراقية في تغطية التظاهرات)، حيث أجاب على هذا الاختيار (32) مبحوثاً بنسبة بلغت (23.4 %). اما في المرتبة الثالثة فقد كانت بسبب: (ان تغطيتها للتظاهرات ليست عفوية بل مخططا لها)، واجاب على هذا الاختيار (27) مبحوثاً بنسبة (19.7 %) . وجاءت في المرتبة الرابعة في كونها: (تحرك الشارع العراقي وفق الجهات الداعمة للقنوات)، وأجاب على هذا الاختيار (18) مبحوثاً بنسبة (13.1 %). اما في المرتبة الخامسة والاخيرة فقد عاد السبب في ذلك: (لانها عززت الجوانب السلبية للتظاهرات)، فقد أجاب على هذا الاختيار (12) مبحوثاً بنسبة بلغت (8.8 %).

5 - مشاهدة التظاهرات والمشاركة الجمهور الفعلية بها:

لقد عنت مجموعة من الفرضيات التي قدمها الباحثون لتأثير التلفاز على الواقع او على الجمهور المتعرض اليه في أن المشاهدة الفعلية من قبل الجمهور للوسيلة تؤدي إلى مشاركة الجمهور الفعلية في التظاهرات من خلال نقل هذه القنوات في برامجها لتظاهرات البلد او البلدان الاخرى، وبالتالي فنقل هذا الواقع بكل ما يتعلق به من أحداث وفعاليات وتغطيات وابراز الدور المهم الذي تؤدي اليه التظاهرات... كل هذه العوامل تؤدي إلى توجيه المواطن نحو الحلول الصائبة للتخلص من الواقع المعاش في حال كان هناك نقص في احتياجاته، لذلك فان من ابرز الاسئلة المهمة التي تم طرحها على الجمهور هو (هل دفعتك مشاهدة التظاهرات إلى المشاركة فعلياً فيها) وتم تحديد الاجابة بخيارين وهما (نعم، لا) وبناءً على ذلك جاءت النتائج كالاتي:

أ - المبحوثون الذين اجابوا ب(نعم): أحتل هذا الاختيار المرتبة الاولى وهو مؤشر ايجابي عن دور القنوات الفضائية العراقية في أن نقلها للتظاهرات بكل ما تحمله هذه البرامج من قضايا حول ثقافة التظاهر والاحتجاج ادى إلى مشاركة الجمهور في التظاهرات، وقد بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا هذه الفئة (409) مبحوثاً بنسبة بلغت (53.3 %).

ب - المبحوثون الذين اجابوا ب(لا): أحتل هذا الاختيار المرتبة الثانية من ضمن أختيارات الجمهور وهو مؤشر يقترب من الاجابة الاولى بفارق قليل وقد بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا هذه الفئة (358) مبحوثاً بنسبة بلغت (46.7 %).

جدول (7): يبين مشاهدة التظاهرات والمشاركة الفعلية بها

مشاهدة التظاهرات والمشاركة الفعلية بها	التكرار	النسبة
نعم	409	53.3
لا	358	46.7
المجموع	**767**	**100.0**

6 - تعزيز وتشكيل اتجاهات الجمهور ازاء ثقافة التظاهر والاحتجاج:

يمكنني في هذا السؤال معرفة تعزيز القنوات الفضائية العراقية وتشكيلها للاتجاهات المختلفة، اي أنه ستتم معرفة الدور الذي تؤديه القنوات الفضائية العراقية في تعزيز وتشكيل اتجاه الجمهور ازاء قضايا التظاهر والاحتجاج.

مدى اسهام الفضائيات العراقية في كل مما يأتي:

لبيان اسهام القنوات الفضائية العراقية في عدد من الفقرات التي تم وضعها لمعرفة تعزيز الفضائيات لثقافة التظاهر، التي تشتمل على معرفة دور القنوات الفضائية العراقية في تعريف الجمهور بايام التظاهرات والاحتجاجات والحراك الشعبي واماكنها واوقاتها وحثها للجمهور في المشاركة واستثمار أنشطة المتظاهرين (الاخبار والصور والفديوهات) عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بالاضافة في كونها أداة في تعبئة الجماهير للتظاهر والاعتصام، بوصفها وسيلة للتعبير عن ارآء الناس ومواقفهم اثناء المشكلات والازمات والتظاهرات، ودورها في تعريف الجمهور بحقوقهم وحرياتهم لاسيما حق التظاهر، واخيراً دورها بوصفها منبرا حرا للمتظاهرين والمعارضين لسياسة الحكومة ازاء الخدمات وتفشي الفساد المالي والاداري... كل هذه الفقرات يمكن ان تغطي جزءا من الموضوع حول دور القنوات الفضائية في تعزيز هذه الثقافة وبالتالي تشكيل اتجاهات الجمهور بشأنها، وترتب على ذلك النتائج الاتية:

1 - تعريف الجمهور بأيام التظاهرات والاحتجاجات والحراك الشعبي واماكنها واوقاتها:

أ - تسهم بدرجة كبيرة: بلغ عدد المبحوثين الذين اجابوا عليه (477) مبحوثاً بنسبة بلغت (62.2 %) من حجم العينة البالغ 767، وهو مؤشر عالي النسبة حول دور القنوات الفضائية العراقية في اسهامها بتعريف الجمهور بأيام التظاهرات والاحتجاجات والحراك الشعبي واماكنها واوقاتها. وهذا يدل على التغطية الكاملة والمواكبة

للاحداث، مما يؤيد اعتقادا سبق ذكره بأن أي معلومة أو معرفة أو خبرة تطرحها الوسيلة يمكن أن تؤدي إلى تغير اتجاه او تعديل اتجاه او تشكيله، ويثبت صحة ان القنوات الفضائية العراقية لها دور كبير ومساهم فعال في تشكيل اتجاهات الجمهور.

ب - **تسهم بدرجة قليلة:** احتل هذا الاختيار المرتبة الثانية وقد بلغ عدد من أجابوا بذلك (210) مبحوثاً بنسبة بلغت (27.4 %).

ج - **لا تسهم أطلاقاً:** بلغت عدد المبحوثين في هذه الأجابة التي أحتلت المرتبة الاخيرة (80) مبحوثاً شكل نسبة (10.4 %) من حجم العينة.

2 - حث الجمهور على المشاركة واستثمار أنشطة المتظاهرين (الاخبار والصور والفديوهات)عبر مواقع التواصل الاجتماعي:

أ - **تسهم بدرجة كبيرة:** احتل هذا الاختيار المرتبة الاولى من قبل الجمهور حول السؤال عن دور القنوات الفضائية العراقية في حث الجمهور على المشاركة واستثمار أنشطة المتظاهرين (الاخبار والصور والفديوهات) عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بواقع بلغ (441) مبحوثاً شكلت نسبتهم (57.5 %)، وهو مؤشر ايجابي فعال يدل على ان القنوات الفضائية ساهمت بشكل كبير في حث الجمهور، من خلال نقلها للتظاهرات واحداثها عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي وتغطيتها للحدث وجعل المواطن يشارك ويتفاعل مع هذه المواد على صفحاتهم الشخصية.

ب - **تسهم بدرجة قليلة:** احتلت هذه الفئة المرتبة الثانية من اختيار الجمهور لها بواقع بلغ عدد المبحوثين فيه (245) مبحوثاً بنسبة (31.9 %).

ج - **لا تسهم اطلاقاً:** احتلت هذه الفئة المرتبة الاخيرة بنسبة بلغت (10.6 %) وعدد (80) مبحوثاً.

3 - المساهمة كأداة في تعبئة الجماهير للتظاهر والاعتصام:

تسهم بدرجة كبيرة: احتلت هذه الفئة المرتبة الاولى من ضمن اختيارات الجمهور كتأكيد على ان القنوات تسهم بدرجة كبيرة في تعبئة الجماهير للتظاهر والاعتصام، وهذا مؤشر يدل على صدق المبحوثين وأحدى استنتاجات سابقة للباحثة حول أن المشاهدة الفعلية للتظاهرات في القنوات الفضائية تؤدي إلى المشاركة الفعلية بها،حيث بلغ عدد المبحوثين الذين اختاروا هذه الفئة (416) مبحوثاً بنسبة بلغت (54.2 %) من حجم العينة.

أ - **تسهم بدرجة قليلة:** بلغ عدد المبحوثين الذين اجابوا بأن القنوات الفضائية

العراقية تعد أداة تسهم في تعبئة الجماهير للتظاهر والاعتصام المرتبة الثانية، وبواقع بلغ عدد المبحوثين فيه (255) مبحوثاً شكلت نسبة (33.2 %).

ب - لا تسهم اطلاقاً: بلغ عدد المبحوثين الذين اجابوا بعدم اسهام القنوات الفضائية العراقية في كونها أداة في تعبئة الجماهير للتظاهر والاعتصام (96) مبحوثاً، بنسبة بلغت (12.5 %) من حجم العينة.

4 - كوسيلة للتعبير عن ارآء الناس ومواقفهم اثناء المشكلات والازمات والتظاهرات:

أ - تسهم بدرجة كبيرة: بلغت بنسبة الباحثين الذين أيدوا هذه الفقرة (477) مبحوثاً بنسبة بلغت (62.2 %) من مجموع العينة، وهو مؤشر يصنف بجانب المؤشرات الايجابية لدور القنوات الفضائية العراقية في كونها وسيلة للتعبير عن ارآء الناس ومواقفهم اثناء المشكلات والازمات والتظاهرات.

ب - تسهم بدرجة قليلة: احتل هذا الاختيار المرتبة الثانية بواقع بلغ عدد المؤيدين له (253) مبحوثاً، بنسبة بلغت (33.0 %) من حجم العينة.

ج - لا تسهم اطلاقاً: احتلت هذه الفئة المرتبة الاخيرة من اختيار الجمهور لها اعتقادا ان القنوات الفضائية العراقية لا تعد وسيلة للتعبير عن ارآء الناس ومواقفهم اثناء المشكلات والازمات والتظاهرات، حيث بلغ عدد المبحوثين (43) مبحوثاً، بنسبة بلغت (33.0 %)

5 - تعليم الجمهور بحقوقهم وحرياتهم لاسيما حق التظاهر:

أ - لا تسهم اطلاقاً: احتلت هذه الفئة المرتبة الاولى من ضمن الفئات في اختيار الجمهور لها حيث بلغ عدد المبحوثين (342) مبحوثاً بنسبة (44.6 %)، وهو مؤشر واضح على قصور القنوات الفضائية العراقية في دورها التعليمي حول الحقوق والحريات الانسانية وتعليم الجمهور بها للدفاع عنها، بالاضافة إلى قصورها في تعليم الجمهور حول حق التظاهر والاحتجاج.

ب - تسهم بدرجة قليلة: احتلت هذه الفئة المرتبة الثانية حيث بلغ عدد المبحوثين (253) بنسبة (33.0 %).

ج - تسهم بدرجة كبيرة: احتل المرتبة الاخيرة من اختيار الجمهور له حيث بلغ عدد المبحوثين (172) مبحوثاً بنسبة (22.4 %) وهي بنسبة قليلة من حيث عدد المبحوثين في العينة، ويعود السبب في ذلك ان القنوات الفضائية العراقية قليلا ما تطرح موضوع الحقوق والحريات، لا سيما حق التظاهر والاحتجاج.

6 - كمنبر حر للمتظاهرين والمعارضين لسياسة الحكومة ازاء الخدمات وتفشي الفساد المالي والاداري:

أ - تسهم بدرجة كبيرة: ايد (455) باحثاً بنسبة بلغت (59.3 %) من حجم العينة لفقرة ان القنوات الفضائية العراقية تعد منبرا حرا للمتظاهرين والمعارضين لسياسة الحكومة ازاء الخدمات وتفشي الفساد المالي والاداري.

ب - تسهم بدرجة قليلة: احتلت المرتبة الثانية وقد بلغ عدد المبحوثين (234) مبحوثاً بنسبة (30.5 %) في كون القنوات الفضائية تعد منبرا حرا للمتظاهرين والمعارضين لسياسة الحكومة ازاء الخدمات وتفشي الفساد المالي والاداري.

ج - لا تسهم اطلاقاً: ايد (78) مبحوثاً بنسبة (10.2 %) وهي نسبة قليلة مقارنة بالنسب السابقة.

جدول (8): يبين اسهام الفضائيات العراقية في تعزيز ثقافة التظاهر والاحتجاج

فقرات الاسهام	تسهم بدرجة كبيرة		تسهم بدرجة قليلة		لا تسهم اطلاقا	
	ت	%	ت	%	ت	%
تعريف الجمهور بأيام التظاهرات والاحتجاجات والحراك الشعبي واماكنها واوقاتها	477	62.2	210	27.4	80	10.4
حث الجمهور في المشاركة واستثمار أنشطة المتظاهرين (الاخبار والصور والفديوهات) عبر مواقع التواصل الاجتماعي	441	57.5	245	31.9	81	10.6
المساهمة كأداة في تعبئة الجماهير للتظاهر والاعتصام	416	54.2	255	33.2	96	12.5
كوسيلة للتعبير عن ارآء الناس ومواقفهم اثناء المشكلات والازمات والتظاهرات	477	62.2	247	32.2	43	5.6
تعليم الجمهور بحقوقهم وحرياتهم لاسيما حق التظاهر	172	22.4	253	33.0	342	44.6

فقرات الاسهام	تسهم بدرجة كبيرة		تسهم بدرجة قليلة		لا تسهم اطلاقا	
	ت	%	ت	%	ت	%
كمنبر حر للمتظاهرين والمعارضين لسياسة الحكومة ازاء الخدمات وتفشي الفساد المالي والاداري	**455**	**59.3**	**234**	**30.5**	**78**	**10.2**

النتائج

1 - تصدرت النشرة الاخبارية والبرامج الحوارية المراتب الاولى من ابرز البرامج والخدمات الاخبارية التي يفضلها الجمهور في استفتاء المعلومات عن التظاهرات والاحتجاجات.

2 - اظهرت النتائج اختيار المبحوثين لأهم الفضائيات العراقية التي يتابع من خلالها برامج ومضامين التظاهرات والاحتجاجات وبالترتيب حيث حصلت قناة الشرقية على المرتبة الاولى تليها قناة العراقية وفي المرتبة الاخيرة قناة دجلة.

3 - تصدرت (النشرات الاخبارية) وبرنامج (بالحرف الواحد) في قناة الشرقية و(بين الناس) في قناة دجلة المراتب المتقدمة من اختيارات المبحوثين بشأن افضل البرامج التي تابعوا من خلالها أخبار التظاهرات والمتظاهرين عبر الفضائيات العراقية.

4 - ان اعتماد الجمهور على معلومات القنوات الفضائية العراقية التي تقوم بتغطية قضايا التظاهرات جعلتهم يشاركون مشاركة فعليا بها.

5 - لا تسهم الفضائيات اطلاقاً في تعريف الجمهور بحقوقهم وحرياتهم لاسيما حق التظاهر، حيث اشار (44.6 %) من البحوثين إلى ذلك.

6 - اكد (47.7 %) من المبحوثين على ان الفضائيات اسهمت بدرجة متوسطة في غرس واشاعة ثقافة التظاهر والاحتجاج بين طبقات وشرائح المجتمع والجمهور العراقي. اما بالنسبة للأسباب التي تميز القنوات الفضائية العراقية في كونها اسهمت في تعزيز واشاعة ثقافة التظاهر، تمثلت في انها ساندت المتظاهرين في ايصال مطالبهم، ووضعت يدها على ابرز نقاط الضعف في

عمل الحكومة، بالاضافة إلى ذلك انها قدمت رؤية للحكومة عن طبيعة عمل دوائرها وتقصيرها في تقديم خدمة للمواطن، واخيراً تمثل بكون ان القنوات الفضائية العراقية عززت الجوانب الايجابية للتظاهرات.

الاستنتاجات

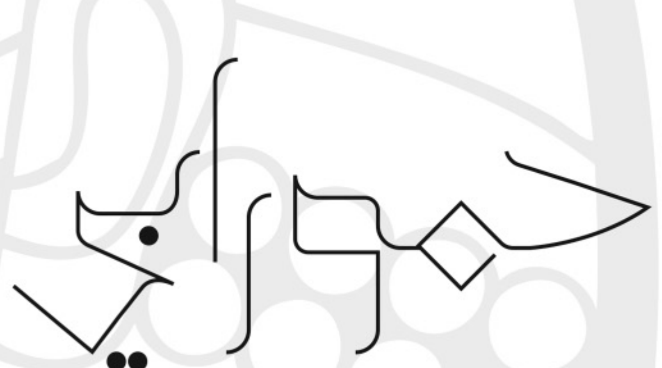
1 - تختلف ثقافة التظاهر من مواطن إلى اخر تبعاً لخصائص المواطنين والعوامل الذاتية والظروف المحيطة بهم، على الرغم من أنهم يجتمعون على هدف واحد هو: الاحتجاج، بهدف المطالبة بالحقوق واستردادها، بالتالي فان الفضائيات العراقية كونت لديهم هذا السلوك من خلال تعرضهم إلى البرامج التي تحمل مضامين قضايا التظاهر والاحتجاج بصورة عامة، وأدت بالتالي إلى المشاركة الفعلية فيها.

2 - اعطت الفضائيات العراقية بشكل غير مباشر فكرة مبسطة حول ثقافة التغيير، على الرغم من انها قنوات اصبحت ممولة او عائدة إلى الجهات السياسية.

3 - ان التظاهرات والاعتصامات هي الاشكال الوحيدة المدرجة تحت اشكال الاحتجاج في العراق.

4 - كونت الفضائيات العراقية لدى البعض ثقافة النفور السياسي، الذي تجلى بالسخط السياسي واللامبالاة، اي عدم اكتراث المواطن بالعملية السياسية، وذلك من خلال عرض اخفاقات الحكومة، وبالتالي فان مثل هذا قد يؤدي إلى رفض الواقع القائم، لكن من دون تحرك ايجابي نحو تغيير هذا الواقع.

5 - ضعف الفضائيات العراقية في تعريف الجمهور بحرياتهم وحقوقهم وواجباتهم الاساسية والدفاع عنها وتكريس القانون الحامي لها.



الأبواب الثابتة

- البحث المُترجَم

أمريكا الجديدة.. لماذا تحتاج الأمة إلى قصة وطنية ترجمة: رؤى خليل سعيد

- عرض الكتب العربية والمترجمة هبة علي حسين، مركز حمورابي للدراسات والبحوث الإستراتيجيَّة

البحث المترجم:

أوروبا وحدها..
ماذا يأتي بعد التحالف عبر الأطلسي

Europe Alone..
What comes after the Transatlantic Alliance

Alina Polyakova and Benjamin Haddad

Foreign affairs, July/ August 2019.

ترجمة: رؤى خليل سعيد*

باحثة من العراق

* باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الأستراتيجية

أثناء حديثه في مؤتمر ميونيخ الأمني في أوائل عام 2019، وجه نائب الرئيس السابق جو بايدن رسالة مطمئنة للسياسيين والدبلوماسيين والقادة العسكريين الأوروبيين الذين يشعرون بالقلق من فك الارتباط الأمريكي: «سنعود». قوبل خطاب بايدن بالتصفيق والارتياح. في انتظار فترة ولاية الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، بدا أنه يقول، وعاجلاً أم آجلاً، يمكن للقادة العودة إلى الإجماع عبر المحيط الأطلسي الذي حدد حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية. الصبر هو اسم اللعبة.

كان بايدن يغذي أملاً مشتركًا ولكن وهميًا. يمكن أن تهدئ الإدارة الأمريكية الجديدة بعض التوترات الحالية عبر الأطلسي، على سبيل المثال، بإلغاء التعريفات على الصلب والألمنيوم الأوروبيين أو الانضمام إلى اتفاق باريس للمناخ. لكن هذه الإصلاحات لن تتعامل مع المشكلة من جذورها. لم يبدأ الصدع بين الولايات المتحدة وأوروبا بترامب، ولن ينتهي به. بدلاً من الاستسلام للحنين إلى الماضي، ينبغي على القادة الأمريكيين والأوروبيين البدء بتقييم صادق للطريق الذي أدى بهم إلى الأزمة الحالية - الخطوة الأولى لبناء شراكة عبر الأطلسي أكثر نضجًا وتطلعية.

التهديد الرئيسي للعلاقة عبر الأطلسي ليس البيت الأبيض العدائي أو الفصل بين المصالح. إن أزمة اليوم هي أولاً وقبل كل شيء نتيجة عدم تناسق القوة بين الولايات المتحدة وأوروبا. لفترة طويلة، قبل الجانبان هذا الخلل، بل قاما بزراعته. بقيت أوروبا مستسلمة مقابل بقعة تحت مظلة الدفاع الأمريكية. على الرغم من كرههم الحالي حول «تقاسم الأعباء»، فقد فضل القادة الأمريكيون منذ فترة طويلة ركوب الأوروبيين الحر على الفوضى الأوروبية. ولكن نهاية الحرب الباردة، 11 سبتمبر، وصعود الصين في نهاية المطاف غيرت أولويات واشنطن الأمنية في أماكن

أخرى، تاركة أوروبا وحدها. اليوم، أصبحت القارة «نباتية في عالم من الحيوانات آكلة اللحوم»، كما وصفها سيجمار غابرييل، وزير خارجية ألمانيا آنذاك. إن سياسة إدارة ترامب في أوروبا، بالتناوب بين اللامبالاة والعداء، أعطت هذا الوحي حاجة ملحة جديدة.

في الوقت الحالي، لا تزال الرؤى الأوروبية «للحكم الذاتي الاستراتيجي» من الولايات المتحدة، والتي غالباً ما يستشهد بها رئيس المفوضية الأوروبية، جان كلود جونكر، والرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، هي تلك الرؤى. حتى الآن، لا يوجد جيش أوروبي إلا في الأوراق البيضاء. لكن حتى مثل هذه المقترحات المبدئية تغذي الشكوك، إن لم تكن معارضة صريحة، في واشنطن. يبدو أن الخوف هو أن رغبة أوروبا في السير بطريقتها الخاصة في المسائل الأمنية ستضع القارة في منافسة مباشرة مع الولايات المتحدة. يفضل صناع السياسة في الولايات المتحدة أن ينفق الأوروبيون أكثر على القوة العسكرية داخل حدود الناتو، وهي فكرة تستند إلى افتراض أن أوروبا الأكثر قدرة ستظل تحذو حذو الولايات المتحدة. ومع ذلك، فإن الأمل في إمكانية دفع أوروبا للاستثمار في دفاعها دون تطوير مصالح أمنية أكثر استقلالية هو أمر خيالي. يتعين على صانعي السياسة في الولايات المتحدة الاختيار. هل يفضلون الحفاظ على قارة أوروبية ضعيفة ومنقسمة تتماشى مع مصالحهم وتعتمد على قوة الولايات المتحدة؟ أم أنهم مستعدون للتعامل مع شريك أكثر قوة واستقلالية يتعارض أحيانًا مع سياساتهم المفضلة؟ أوروبا، من جانبها، لديها خيار مماثل للقيام به. لا يمكنها أن تدعي عباءة القيادة العالمية المستقلة وتواصل الاعتماد على الولايات المتحدة لأمنها، بما في ذلك في جوارها المباشر.

إن عكس الاتجاه نحو اللامبالاة والتفرقة الأوروبيين هو مسؤولية صانعي السياسة الأوروبيين. لكن على الولايات المتحدة ألا تعارض هذه الجهود، حتى لو انتهى بها الأمر إلى جعل أوروبا شريكًا أكثر صعوبة. على المدى البعيد، فإن قارة قوية قادرة على الدفاع عن مصالحها وخوض معاركها ستفيد واشنطن أكثر من كونها منقسمة وضعيفة. يمكن للتحالف عبر المحيط الأطلسي ويجب أن يظل حجر الأساس للنموذج الغربي للقيم والمبادئ الديمقراطية الليبرالية. لكن سيتعين عليها التحول لمواجهة التحديات الاقتصادية والأمنية والسياسية المتزايدة من الصين وروسيا. فبدلاً من السعي وراء عودة شراكة عبر الأطلسي ستستمر بلا شك، يجب على الولايات المتحدة وأوروبا الآن الاستثمار في نتائج الحكم الذاتي وقبولها.

تتم كتابة حكايات من العصر الذهبي للوحدة عبر المحيط الأطلسي مع الاستفادة

بعد فوات الأوان. في الحقيقة، كانت العلاقة دائما مضطربة. طورت فرنسا والمملكة المتحدة قدرات الضربة النووية الخاصة بها في الخمسينيات والستينيات، ضد الاعتراضات الأولية للزعماء الأمريكيين. حتى أن فرنسا تركت القيادة العسكرية المتكاملة لحلف الناتو في عام 1966، وعادت فقط في عام 2009. وسعت ألمانيا الغربية إلى الانفصال عن ألمانيا الشرقية في سبعينيات القرن الماضي، مما دفع الآخرين إلى الخوف من تآكل العلاقات عبر الأطلسي التي توحد الغرب ضد الكتلة الشرقية. الأحداث في الشرق الأوسط، قبل كل شيء، أثارت خلافات بين الولايات المتحدة وأوروبا لعقود من الزمن، قبل فترة طويلة من انسحاب الولايات المتحدة من الصفقة النووية الإيرانية.

ولم يبدأ فك الارتباط الأمريكي من أوروبا بتنصيب ترامب. منذ نهاية الحرب الباردة، أبدت الولايات المتحدة استعدادها لرفض مخاوف الأوروبيين وكتمهم في صرف الدم والكنز على الأراضي الأوروبية. في عام 2001، قام الرئيس جورج دبليو بوش بسحب الولايات المتحدة من بروتوكول كيوتو لعام 1997 على الرغم من الضغوط الشديدة التي قام بها جيرهارد شرودر، المستشار الألماني. رفضت فرنسا وألمانيا الانضمام إلى «تحالف الراغبين» في إدارة بوش في حرب العراق، وهو الانقسام الذي بدا وكأنه يمثل انخفاضًا جديدًا في العلاقات عبر الأطلسي.

الرئيس باراك أوباما كانت إدارته «محورية» لآسيا وتبعت «إعادة ضبط» مع روسيا. وفي الوقت نفسه، ألغت خططًا لبناء نظام دفاع صاروخي أمريكي في بولندا مع محطات رادار في جمهورية التشيك وسحبت في وقت لاحق لواءين من الجيش الأمريكي من أوروبا. بعد أن ضمت روسيا شبه جزيرة القرم في عام 2014، قامت إدارة أوباما بعكس مسارها، حيث أعادت في نهاية المطاف أحد الألوية وإنشاء مبادرة الطمأنينة الأوروبية (المعروفة الآن باسم مبادرة الردع الأوروبية)، وهو صندوق البنتاغون لعمليات الدفاع عن الحلفاء الأوروبيين. لكن حتى ذلك الحين، كان لدى أوباما كلمات قاسية لأوروبا، حيث وصف فرنسا والمملكة المتحدة بأنها «راكب حر» في مقابلة مع The Atlantic.

إذا وضعنا في الاعتبار، فإن الخلافات الحالية بين الولايات المتحدة وأوروبا حول صفقة إيران النووية باهتة مقارنة بالانقسام الذي نشأ عندما عارضت واشنطن الغزو البريطاني والفرنسي لمصر خلال أزمة السويس عام 1956، وانهيار العراق في عام 2003، والخلافات المتكررة حول الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. ومع ذلك، فإن روح العصر والأزمة والتفكك اليوم تبدو مناسبة، على الأرجح لأن إدارة ترامب

تصنع كبش فداء مناسبًا. كما قال الصحفي جيمس كيرشيك، «إلقاء اللوم على ترامب في مشاكلهم هو الشيء الوحيد الذي يمكن للأوروبيين الاتفاق عليه.“

بالطبع، كان بإمكان القادة الأوروبيين قراءة الكتابة على الحائط قبل فترة طويلة من رئاسة ترامب والخروج باستراتيجية لإبقاء الولايات المتحدة منخرطة. وبدلاً من ذلك، ظلوا راضين عن ضعفهم ومتواطئين في تدهور العلاقة، إلى الحد الذي أصبح فيه كل خلاف سياسي - يفاقمه خطاب ترامب غير الدبلوماسي - يشعر الآن بوجوده. بدلاً من التذمر من أسباب الوفاة المبكرة، من الأفضل أن يقبل الطرفان بأن التحالف يجب أن يتغير، ويعمل نحو هدف علاقة أكثر توازناً، ويخفف من الآثار الحتمية.

مأزق أوروبا واضح. من دون رؤية مشتركة للدفاع، وضغوط مزعزعة للاستقرار على أطرافها، وستكون القارة قريبًا كمسرح، وليس كمشارك، في منافسة القوى العظمى. تدعم روسيا بنشاط الأحزاب اليمينية المتطرفة الأوروبية وتتدخل بانتظام في الانتخابات الأوروبية. في أوكرانيا، ضمت روسيا شبه جزيرة القرم بشكل غير شرعي وأثارت حربًا بطيئة أسفرت عن مقتل 13000 الأوكراني وتشريد 1.5 مليون. في أقصى الجنوب، دفعت الحرب الأهلية السورية ملايين اللاجئين إلى شواطئ أوروبا، مما تسبب في انقسام حول سياسة الهجرة وأثار صعود الأحزاب الشعبية. الصين، من جانبها، استثمرت بكثافة في الموانئ والبنية التحتية التكنولوجية في أوروبا، جزئياً. وكلما كانت أوروبا المنقسمة داخلياً، كلما وجدت نفسها تحت رحمة هذه القوى العظمى الانتهازية. هذه وصفة لأوروبا التي تعصف بها القومية مرة أخرى، والاتحاد الأوروبي الذي لا صلة له بالموضوع، والتحالف عبر المحيط الأطلسي الذي تتمتع فيه أوروبا بنفوذ ضئيل والولايات المتحدة تفتقر إلى شريك قوي.

الطريقة الوحيدة الحكيمة لتجنب هذا السيناريو الكابوس هي أن تتخلى أوروبا عن ثقافة الرضا عن الذات لصالح الحكم الذاتي. يجب أن تطور القدرة على الدفاع عن نفسها بشكل أفضل ومتابعة المصالح الأوروبية المشتركة. حددت الخدمة الخارجية للاتحاد الأوروبي هذا الهدف في استراتيجيتها العالمية لعام 2016، وردد القادة نفس المشاعر في الخطب في جميع أنحاء القارة. لكن هذا لا يعني أن الوصول إلى هناك سيكون سهلاً.

للحصول على إستراتيجية أمنية أوروبية أكثر حزماً، انظر بدلاً من ذلك إلى باريس. لم تلزم فرنسا قواتها الجوية فقط بمحاربة الدولة الإسلامية أو داعش في سوريا ؛ كما دفعت الولايات المتحدة لمزيد من العمل المشترك هناك. لا يزال الاستراتيجيون

الفرنسيون يغضبون من حلقة «الخط الأحمر» في صيف 2013، عندما تجاهلت إدارة أوباما تحذيرها الخاص من أن الحرب الكيماوية في سوريا ستؤدي إلى تحرك عسكري أمريكي. شعر الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند، الذي أرسل أوامر إلى الطائرات الفرنسية لبدء التحليق باتجاه سوريا، بالخيانة عندما لم تتابع واشنطن ذلك. إذا نظرنا إلى الوراء على الحادث الذي وقع في عام 2016، وصف وزير الخارجية الهولندي، لوران فابيوس، تراجع الولايات المتحدة بأنه «نقطة تحول، ليس فقط للأزمة في الشرق الأوسط، ولكن أيضًا بالنسبة لأوكرانيا، القرم، والعالم». مع قدرتها العسكرية المحدودة والمتاعب الداخلية المتزايدة، لا يمكن أن تعمل من تلقاء نفسها دون مزيد من الدعم من جيرانها الأوروبيين.

سيتعين على الأوروبيين أيضًا التغلب على انقسامات السياسة الخارجية والداخلية. أدت المخاوف المتعلقة بالتجسس الصيني وسرقة التكنولوجيا والإعانات الخفية المفوضية الأوروبية إلى اعتبار الصين «منافسًا نظاميًا» وإدخال نظام يقوم بمراقبة الاستثمارات الأجنبية في البنية التحتية والطاقة والدفاع ووسائل الإعلام بحثًا عن تهديدات محتملة للأمن الأوروبي - مبادرة بدعم من فرنسا وألمانيا. ومع ذلك، حيث إنه لا يصدر سوى التوصيات ويعطي الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، التي يفتقر الكثير منها إلى تدابير حماية مماثلة على المستوى الوطني. علاوة على ذلك، فإن أوراق موقف بروكسل الجديدة الصعبة بشأن الانقسامات بين الدول الأعضاء. الحكومة الإيطالية الشعبية، على سبيل المثال، تسير في طريق مختلف، حيث أصبحت مؤخرًا أول اقتصاد أوروبي رئيسي ينضم إلى مبادرة الحزام والطريق في بكين. وبحسب ما ورد قررت المملكة المتحدة السماح لشركة Huawei الصينية للتكنولوجيا بالمشاركة في بناء شبكة 5G البريطانية، على الرغم من ضغوط الولايات المتحدة بعدم استخدام أي معدات تصنعها شركة الاتصالات الصينية العملاقة.

تعاني الانقسامات المماثلة من سياسة الطاقة في القارة. تتجه النمسا وألمانيا نحو استكمال خط أنابيب Nord Stream 2 المثير للجدل، والذي سينقل الغاز الروسي إلى ألمانيا عبر بحر البلطيق. إذا تم الانتهاء، فإن نورد ستريم 2 من شأنه أن يزيد من اعتماد أوروبا على الغاز الروسي من خلال مضاعفة الطاقة التصديرية لروسيا. والأهم من ذلك، أنه سيسمح لموسكو بالتحايل على أوكرانيا بالكامل، وبالتالي حرمان أوكرانيا من مليارات الدولارات من إيرادات رسوم نقل الغاز. كشف المشروع عن انقسامات عميقة بين الطموحات الاقتصادية للدول الأعضاء الفردية ومصالح الكتلة ككل.

لكل هذه العقبات، لا يزال هناك إجماع أكبر بكثير على السياسة الخارجية للاتحاد

الأوروبي مما يعترف المحللون عادة. على الرغم من التراجع عن الحركات الشعبية ومصالح الأعمال التجارية المحلية، إلا أن الاتحاد الأوروبي ظل متمسكاً بفرض عقوبات على روسيا. بعد التدخل الروسي في الانتخابات الأمريكية والأوروبية، اتخذ الاتحاد الأوروبي أيضًا زمام المبادرة في اقتراح وتنسيق سياسة لمواجهة التضليل، مما يضع أوروبا في مقدمة الولايات المتحدة في معالجة هذه المشكلة. على وجه الخصوص، بدأت دول الاتحاد الأوروبي تبادل المزيد من المعلومات الاستخباراتية وتوسعت فرقة العمل التي تراقب وتكشف التضليل الروسي. بقي الاتحاد الأوروبي ثابتًا في محاولاته لإبقاء الصفقة النووية الإيرانية حية، ضد الاعتراضات الأمريكية. لإقناع طهران بالبقاء في الامتثال للصفقة ولحماية الشركات الأوروبية التي تتعامل مع إيران، سعى الاتحاد الأوروبي حتى إلى إنشاء أداة مالية ذات غرض خاص للتحايل على العقوبات الأمريكية خارج الحدود الإقليمية ضد الشركات الأوروبية التي تواصل التجارة مع إيران. حتى لو قامت إيران بتجديد برنامجها النووي، كما هدد الرئيس الإيراني حسن روحاني في مايو، فإن الجهد الأوروبي لإنقاذ الصفقة النووية يظهر أن القارة قادرة على اتباع سياسة خارجية مستقلة عن الولايات المتحدة.

بعد الحرب في أوكرانيا والهجمات الإرهابية والحدود غير المضمونة في بداية أزمة اللاجئين، بدأت الدول الأوروبية أيضًا في زيادة استثماراتها الدفاعية، مما وضع حدًا للانخفاض المستمر الذي حدث منذ التسعينات.

لكن في عام 2016، زادت 22 دولة من بين 28 دولة عضو في الاتحاد الأوروبي من الإنفاق الدفاعي، وزاد الإنفاق الدفاعي للقارة مرة أخرى في العام التالي. أعادت ليتوانيا والسويد الخدمة العسكرية الإلزامية.

بالإضافة إلى زيادة الإنفاق على المستوى الوطني، تعمل الحكومات الأوروبية معًا لبناء صناعة دفاع مشتركة وفعالة. إن الإنفاق الدفاعي لأوروبا يأتي في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة، لكنه يعاني من التكرار وعدم الكفاءة. لمعالجة هذه المسألة، في عام 2017، أنشأت الكتلة التعاون المهيكلي الدائم، أو -PES CO، سلسلة من المشاريع المصممة لتجنب الاستثمارات العسكرية غير الفعالة أو المتداخلة وتنسيق الجهود في الحرب الإلكترونية وأمن الطاقة. في نفس العام، أنشأت الحكومات الأوروبية صندوق الدفاع الأوروبي، الذي يساعد في تمويل مشاريع الدفاع عبر الوطنية.

هذه الاستثمارات الدفاعية لن تأتي دون عقبات. كما أشار إنشاء صندوق الدفاع الأوروبي، فإن القارة تسعى لتطوير صناعة الدفاع الخاصة بها. لكن المصالح الوطنية

في الإستراتيجية العسكرية لا تزال متباعدة في كثير من الأحيان. منعت ألمانيا، على سبيل المثال، الشركات المصنعة للأسلحة من تصدير الأسلحة إلى المملكة العربية السعودية بعد مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي، بينما تواصل فرنسا النظر إلى المملكة العربية السعودية كسوق لتصدير الأسلحة. علاوة على ذلك، ستتنافس صناعة دفاع أوروبية متنامية مع الشركات الأمريكية، مما يضيف نقطة توتر أخرى إلى العلاقة عبر المحيط الأطلسي. لقد تعرضت واشنطن بالفعل لانتقادات بسبب الضغط على الدول الأوروبية لشراء معدات عسكرية أمريكية الصنع. في مارس، أوضح وزير الدفاع الفرنسي، فلورنس بارلي، أن بند الدفاع المتبادل في معاهدة الناتو لا يتطلب من الدول الأوروبية شراء الطائرات الأمريكية المقاتلة. «إنها تسمى المادة 5، وليس المادة F-35"، قالت مازحة.

ومع ذلك، فإن المخاوف الأمريكية من أن الدفعة الدفاعية المحلية لأوروبا تتعارض مع الناتو مبالغ فيها. تهدف جهود أوروبا إلى معالجة أوجه القصور في المناطق التي أصبحت ضعيفة بسبب انسحاب الولايات المتحدة من المنطقة منذ نهاية الحرب الباردة. لقد بذل القادة الأوروبيون قصارى جهدهم للتأكيد على أن محاولات دمج الدفاع الأوروبي ستقوي حلف الناتو بدلاً من أن ينافسه. في الواقع، لقد تم تجديد التحالف منذ عدوان روسيا على أوكرانيا. وقد نفذت عمليات للإشارة إلى التزامها بحماية أوروبا الشرقية وأعدت قوات سريعة الاستجابة لدعم الجناح الشرقي لحلف الناتو. كما أعاد الناتو التركيز على مهمته الأساسية: الردع الجماعي للأراضي. وعلى الرغم من رفض ترامب العلني للتحالف، رفعت إدارته الإنفاق على مبادرة الردع الأوروبية، التي تخدم بوضوح غرضًا مشابهًا لهدف الناتو، إلى 6.5 مليار دولار في السنة المالية 2019 - بزيادة قدرها أكثر من 3 مليارات دولار في غضون عامين.

سياسة القوة

فيما يتعلق بالدفاع، ينبغي أن تواصل أوروبا الاستثمار في حلف الناتو وتطوير سياسة خارجية تضع المصالح الأمنية فوق نفور القارة من الاشتباكات العسكرية الأجنبية. أكثر فأكثر، ستحتاج أوروبا إلى إرسال قوات إلى الخارج لتأمين نفسها من خلال استقرار محيطها والمناطق المجاورة. على سبيل المثال، تظل منطقة البلقان بمثابة صندوق صغير، خاصة وأن بعض الدول - آخرها مقدونيا الشمالية - تنضم إلى الناتو، بينما تسعى دول أخرى، مثل صربيا، إلى تأييد روسيا. لا يزال الوضع في سوريا هشًا، وإذا اندلعت الحرب هناك، فقد يتعين على أوروبا التفكير في التدخل العسكري لتجنب موجة أخرى من اللاجئين.

الحكم الذاتي الأوروبي، ومع ذلك، لا تقاس من حيث الدفاع والأمن وحدها. لا ينبغي لأوروبا أن تتورط في الجوانب التقنية لسياسات المشتريات الدفاعية أو تسعى إلى خلق ثقل موازن للقوة العسكرية الأمريكية. بدلاً من ذلك، يجب أن تزيد الاستراتيجية الأوروبية الجديدة من تلك المجالات التي يتمتع فيها الاتحاد الأوروبي بالفعل بميزة عالمية نسبية: وزنه الاقتصادي، وعملته الموحدة، وقوته السياسية والناعمة.

لاستخدام هذه المزايا إلى أقصى حد، ومع ذلك، سوف يحتاج الأوروبيون إلى التوفيق الفكري بين أنفسهم والسلطة، وهو اقتراح صعب بالنسبة لقارة حيث توصلت عدة أجيال من صانعي السياسات، المحميين بمظلة الأمن الأمريكية، إلى تعريف أنفسهم بالمفهوم يمكن لهذا التعاون التقني أن يحل ببساطة محل علاقات القوة على الساحة الدولية. يحب الاتحاد الأوروبي أن يفكر في نفسه كقوة معيارية، ويستفيد من خبراته التنظيمية وسوقه الموحدة الواسعة والمتكاملة لتشكيل القواعد والقواعد العالمية المتعلقة بكل شيء من الحماية البيئية إلى خصوصية البيانات.

إن الشركات الأمريكية قد تبنت شروط اللائحة العامة لحماية البيانات، قانون خصوصية البيانات الطموح للاتحاد الأوروبي، والتي تبين مدى فعالية الكتلة في تصدير قواعدها. ومع ذلك، قلل الاتحاد الأوروبي في بعض الأحيان من أهمية القوة الصلبة في دعم القوة الناعمة. وفكر قادة الاتحاد الأوروبي في سياسة الجوار الأوروبية، مع حزمة شاملة من الإصلاحات، كأداة بسيطة لتعزيز الحكم الرشيد في دول حدود الاتحاد الأوروبي. ما فشلوا في تقديره هو أن أهميته كانت أكثر جغرافيا سياسية من أي شيء آخر. رأى معظم الأوكرانيين أن الاتفاق ليس كمجموعة من التعديلات الفنية بل كفرصة لترسيخ بلادهم بشكل أكمل في أوروبا وبالتالي تحدي روسيا. وبالفعل، عندما أطاح الأوكرانيون برئيسهم بعد أن رفض التوقيع على اتفاقية شراكة مع الاتحاد الأوروبي، كان رد فعل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بغزو أوكرانيا الشرقية والاستيلاء على شبه جزيرة القرم. من سخرية القدر، على الرغم من كل الحديث عن فهم بوتين المفارقات التاريخية والمكيافيلية للسلطة، كان الرئيس الروسي أكثر انسجامًا من بروكسل مع الأهمية الحقيقية للأدوات التكنوقراطية للاتحاد الأوروبي. دعم أوروبا الخجول لأوكرانيا، حتى بعد أن احتج الأوكرانيون كانوا يلوحون بعلم الاتحاد الأوروبي، من المحتمل أن يشجعوا موسكو على غزو أوكرانيا، والتدخل في سوريا، والتدخل في العديد من الانتخابات الغربية.

يجب أن تشمل جهود أوروبا للتصالح مع السلطة فهم الدور الجيوسياسي الذي

يمكن أن تلعبه السوق الموحدة في ضمان السيادة الأوروبية. من كسر احتكارات الغاز الروسية إلى عرقلة الاستثمارات الصينية، يمكن للمفوضية الأوروبية استخدام أدواتها التنظيمية البيروقراطية لضمان أن أوروبا ليست مسرحًا لأفعال القوى العظمى المفترسة. للقيام بذلك، سيتعين على المشرعين التغلب على ارتباطهم العقائدي بالانفتاح ووضع دفاع أكثر واقعية عن المواطنين الأوروبيين في صلب السياسات الاقتصادية للاتحاد الأوروبي. الأمر نفسه ينطبق على قوانين الهجرة واللجوء. ومن شأن الضوابط الحدودية الأكثر صرامة، وهي الركيزة الأساسية للسيادة، أن تساعد في سد الفجوة بين بروكسل والمواطنين في جميع أنحاء القارة، والكثير منهم قلقون من أن مؤسسات الاتحاد الأوروبي لم تكن قادرة على حمايتهم ضد ما يرون أنه مهاجرون جامحون.

لا مزيد من الحنين إلى الماضي

بقدر ما يتعلق الأمر بواشنطن، فإن وجود أوروبا تتمتع بحكم ذاتي أكبر يعني حتماً المزيد من الصداع والخلافات. تأمل الجهود الأوروبية للتحايل على العقوبات الأمريكية على إيران. على الرغم من أن هذه المساعي رمزية إلى حد كبير في هذه المرحلة، إلا أنها قد تؤدي إلى محاولة أكثر طموحًا للترويج لليورو كعملة احتياطية بديلة، مما يقلل من اعتماد الأوروبيين على الدولار الأمريكي والنظام المالي الأمريكي. هذا من شأنه أن يجبر الولايات المتحدة على الاعتماد بشكل أقل على القوة الغاشمة لهيمنتها المالية والمزيد على الدبلوماسية والإقناع - وهو الدافع الذي يعتبر لعنة في الثقافة الدبلوماسية الأمريكية. ومع ذلك، هذا هو الثمن الذي يدفعه المرء لوجود حلفاء جديين وموثوقين. من غير الواقعي أن نتخيل أنه بعد مطالبة شريك بتولي جزء أكبر من أمانه الخاص، فإن اهتماماتك سوف تتماشى بشكل سحري. لا يمكن لواضعي السياسات في الولايات المتحدة ببساطة أن يتوقعوا من أوروبا أن تزيد من إنفاقها الدفاعي وأن تظل سلبية من الناحية السياسية.

والخبر السار هو أن رغبة أوروبا في رفع ثقلها، من المفارقات، أن تقطع شوطاً طويلاً نحو ضمان علاقة جديدة عبر الأطلسي. سوف يخفف من الإحباط والاستياء الذي أثاره الركوب الحر على الجانب الأمريكي وعلاج الضعف والاعتماد على الجانب الأوروبي. في العديد من الحالات، ستستفيد الولايات المتحدة بشكل كبير من الجهات الفاعلة الأوروبية التي تدافع عن أمنها بمفردها في المناطق التي تكون فقط هامشية لمصالح الولايات المتحدة. دعم الولايات المتحدة للعمليات التي تقودها فرنسا ضد الجماعات المرتبطة بتنظيم القاعدة في الساحل، على سبيل المثال، دليل

على أن القيادة الأوروبية يمكن أن تخدم الولايات المتحدة بشكل جيد. ونظراً إلى أن الرأي العام الأمريكي لم يُبدِ إلا شهية قليلة للانخراط بشكل أكبر في نزاعات الشرق الأوسط، فإن وجود قدرة أوروبية أكبر على تعزيز الاستقرار في منطقة غالباً ما تؤثر فيها أوروبا مباشرة على مشاكلها، سيسمح لواشنطن بأن تقود من الخلف.

قبل كل شيء، يجب على صانعي السياسة على جانبي المحيط الأطلسي تعديل توقعاتهم نحو الأسفل. لن تكون أوروبا أبداً مركزية بالنسبة للولايات المتحدة كما كانت من قبل وسوف تضطر إلى التركيز على ضمان بقاء نموذجها الخاص قبل المطالبة بالطموحات العالمية. يجب على الولايات المتحدة مساعدة الأوروبيين في هذا التعهد قدر المستطاع. لكن إدارة ترامب، بموقفها المواجهي، أسقطت بالفعل بعض التأثير الذي اعتادت عليه واشنطن. من خلال التخلي عن دورها كبناء ثقة بين الأوروبيين، ومع قرار المملكة المتحدة مغادرة الاتحاد الأوروبي، وفقدان حليفها التاريخي داخل المجتمع، شهدت الولايات المتحدة معظم قدرتها على تشكيل نتائج إيجابية في أوروبا تتبخر. بدلاً من ذلك، ركزت على بناء علاقات ثنائية قوية مع فرادى الدول، مثل ألمانيا في عهد أوباما وبولندا في عهد ترامب. قد لا يوصف رئيس أمريكي جديد الاتحاد الأوروبي بأنه «عدو»، كما فعل ترامب. ولكن من غير المرجح أن يترجم مجرد الاهتمام بخدمة القيم المشتركة والتاريخ المشترك إلى استعداد متزايد لحماية المصالح الأوروبية.

يجب على المراقبين ألا يرثوا هذا الوضع ولا يتوقون لما كان عليه الحال. إذا تمكنت أوروبا من اختيار طريقها، فستنضج العلاقة بين ضفتي الأطلسي إلى تحالف أكثر توازناً. بحلول عام 2030، قد يكون حلف الناتو أقوى وأكثر قدرة مما هو عليه اليوم. يمكن للاتحاد الأوروبي القيام بعمل عسكري لإنهاء الحروب المستقبلية على أطرافه. يمكن أن تستثمر في بيلاروسيا ومولدوفا وأوكرانيا ومنطقة البلقان، مما يوقف النفوذ الصيني والروسي هناك.

من تطوير أفضل الممارسات لاستخدام الذكاء الاصطناعي إلى الاستجابة للممارسات التجارية الصينية غير العادلة إلى مكافحة تغير المناخ، لا تزال الولايات المتحدة وأوروبا معًا لا غنى عنها عندما يتعلق الأمر بصياغة قواعد وقواعد الغد. من غير المرجح أن يبدو التحالف عبر المحيط الأطلسي كما كان من قبل. قد يكون هناك المزيد من المسافة وعدم الثقة. غالبًا ما ينفصل الأشقاء عند بلوغهم السن ؛ يتخذون خيارات، ويختارون شركاء، ويتقبلون وظائف لا يوافق عليها الآخر بالضرورة. ولكن في النهاية، فإن الروابط التي تربط أقوى من الخيارات الفردية التي تقسم.

عروض الكتب العربية والمترجمة

الباحثة: هبة علي حسين*
باحثة من العراق

* باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الأستراتيجية

الصعود الصيني وتأثيره على الهيمنة الأمريكية في الشرق الاوسط (2001 - 2009)

الباحث: سهرة قاسم محمد حسين

الناشر : مكتبة جزيرة الورد، مصر، 2018

تسعى الباحثة في دراستها هذه إلى ألقاء الضوء على الصين كواحدة من القوى الصاعدة حيث أنها الدولة المرشحة بقوة في الفترة القادمة لأن تكون المنافسة للولايات المتحدة الأمريكية مهددة مكانتها كقطب أوحد في العالم، مما يعكس وجود ادراك عالمي بأن المستقبل للصين على حساب الهيمنة الأمريكية، وسيكون لذلك في الغالب انعكاسات هامة على النظام الدولي، وينشر هذا الادراك بشكل خاص في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وبعض الدول الاسيوية سواء داخل مؤسسات صنع القرار أو المؤسسات الاكاديمية.

وترى الباحثة ان تصاعد الصين كقوة فاعلة في النظام الدولي والمرشحة لأن يكون لها دور وثقل مؤثران في التفاعلات الدولية خلال القرن الحالي، هذا الامر جعل الولايات المتحدة تأخذ في الاعتبار بصفتها القوة العالمية الوحيدة المهيمنة على العالم عامة والشرق الاوسط خاصة حيث أنها المنطقة الغنية بالنفط في الخليج، وكذلك يكمن فيها الصراع العربي الاسرائيلي، فالمصالح الأمريكية تتركز في هذه المنطقة على وجه الخصوص وتحرص الولايات المتحدة الأمريكية على الا يتدخل فيها طرف اخر ذو قوة ليسيطر عليها فيهدد مصالحها الحيوية، لذلك تجد الباحثة اهمية المشكلة البحثية لهذه الدراسة حيث تحاول التعرف على كيفية تأثير الصعود

الصيني على المصالح الأمريكية في الشرق الاوسط، وهل التقارب الصيني مع دول الشرق الاوسط سيهدد المصالح الأمريكية، ومن له اليد العليا مستقبلاً في الشرق الاوسط.

لهذا تتناول الدراسة الهيمنة من حيث مفهومها وانواعها ومقوماتها وكذلك النظريات التي تناولتها، وتوضح الدراسة أنه في العصر الحديث تمارس الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها زعيمة العالم الحر، الهيمنة بمعناها الواسع، وتطرح نفسها كقوة عظمى لاتستطيع ان تنافسها أو تقف في وجهها أية قوة أخرى في العالم.

وتأتي اهمية هذه الدراسة من كون الصعود الصيني سيغير معالم كثيرة للنظام الدولي بمواصلتها دفع تعددية الأقطاب وديمقراطية العلاقات الدولية، وتنوع الانماط التنموية ودفع الاقتصاد العالمي نحو الازدهار المشترك، ومعارضة الهيمنة وسياسة القوة والارهاب بجميع أشكاله، وبناء نظام دولي جديد عادل ومعقول، وستعمل الصين على تعميق أعمال المنفعة المتبادلة والتعاون مع البلدان النامية وصيانة المصالح المشتركة معها، وتعزيز علاقات الصداقة والتعاون مع دول العالم وهو ما تعلنة السياسة الخارجية الصينية، وهذا بالطبع سيغير من صورة النظام العالمي الذي تسوده أحادية الهيمنة الأمريكية.

وتجد الباحثة بأن القلق من صعود الصين هو نتيجة علاقاتها بالدول التي تعتبرها الولايات المتحدة الأمريكية دولاً مارقة كإيران وكوريا الشمالية حيث التباين الصيني الامريكي المتمثل في المواقف المختلفة تجاه العلاقات الدولية الراهنة، وبما أن الصين والولايات المتحدة دولتان كبيرتان ينتميان إلى عضوية النادي النووي ولكل منهما أراض شاسعة وموارد وافرة وعدد كبير من السكان، فضلاً عن القوة الوطنية الفعلية والقوة التأثيرية الدولية الناتجين عن العوامل المذكورة آنفاً، فأن أي عمل لكل من الصين والولايات المتحدة يحدث تأثيراً في العالم كله.

رؤية جيوستراتيجية لمستقبل الصراعات الاقليمية في منطقة تزاحم الاستراتيجيات

الباحث : زياد عبد الرحمن علي الكوراني

الناشر: دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2018

أثرت التحولات الكبرى التي شهدها العالم نهاية الحرب الباردة بشكل مباشر في احداث تغيرات على صعيد النقاشات الدولية، والفرضيات التي كانت ترتكز عليها

سيرورة العلاقات الدولية، فضلاً عن ظهور العديد من المفاهيم التي كانت سائدة في تلك الفترة أذ ان العديد من الباحثين والمحللين والسياسيين اعتبروا ان فترة مابعد الحرب الباردة هي فترة التدفقات المعرفية الجديدة نحو أعادة هيكلية ماهو تقليدي وفقاً لما هو حديث على الساحة الدولية والعالمية، اذ حملت معها هذه الفترة بروز مفاهيم وتهديدات جديدة باتت بفعل العولمة قادرة على تجاوز حدود الدولة، كالارهاب والمخدرات واشكال الصراع الجديدة والتي باتت تتمثل بالطابع الداخلي متجاوزا الصور الكلاسيكية المتمثلة في المواجهات العسكرية.

لذلك يتناول الباحث في كتابه هذا التفاعلات التي بدأت تفرز أليات جديدة للصراع مابعد الحرب الباردةعلى انقاض اليات سادت حقبة الحرب الباردة لاتزال قيد التبلور ولم تعط كامل نتائجها فبعضها بدت ملامحها واسفرت عن محتواها والاخر يميل لخنق حالة من التوازن مع العناصر البنائية والمفاهيم السابقة، لقد افرزت هذه التفاعلات وسرعة تحول متغيرات القدرة تهميش وتقوية لمواقع آليات على حساب آليات اخرى فهناك آليات استمرت واخرى اختفت واضمحل دورها واخرى تحولت من حالة إلى اخرى .كما يحاول الباحث هنا ان يضع منهجاً وصياغة قوانين لمتابعة الصراع الاقليمي للمنطقةحيز الدراسة فضلاً عن دور القوى العالمية في أدارة هذه الصراعات وعلاقة ذلك بقواعد تحول هيكلية النظام الدولي من نمط إلى أخر.

لذا اخذت الطاقة ترسم ملامح لخرائط جديدة للصراع في منطقة الشرق الاوسط ولاسيما العربية منها في الفوضى التي نظموها في المنطقة العربية وتطبيق فكرة الفوضى الخلاقة، لان الحروب للسيطرة على المناطق الاستراتيجية بدأت تكلف هذه الدول وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية. لذلك اخذت تفكر في السيطرة على المنطقة وتأجيج الصراعات فيها داخلياً من خلال تغير الانظمة التي كانت موالية لها لعقود من الزمن وذلك من خلال ماسمي بثورات الربيع العربي والسيطرة على المنطقة اذ لحظنا استخدام القوة العسكرية في ليبيا ليس لاسقاط النظام فحسب وأنما لضمان وصول إمدادات النفط إلى العالم ولاسيما أوربا ولرسم ملامح وخرائط جديدة للصراعات في المنطقة.

كما ينطلق الباحث في دراستة هذة من فرضية مفاده تبقى موارد الطاقة فضلاً عن الاسباب الاخرى متغيراً مؤثراً في الصراعات الاقليمية باتجاهات عدة اذ يتناسب حجم تأثيرها تناسباً طردياً مع عمق تلك الصراعات القائمة وتحديداً في منطقة تزاحم الاستراتيجيات (الشرق الاوسط) على أن انعكاسات ذلك التأثير يدور في فلك تلك القوى الفاعلة والمتحكمة في مسار العلاقات الدولية.

لذا قسم الباحث دراستة إلى ثلاثة فصول اساسية، خصص الفصل الاول منها لدراسة منطقة تزاحم الاستراتيجيات والاهمية الجيوستراتيجية والاقتصادية، فيما تناول الفصل الثاني الصراعات الاقليمية في منطقة تزاحم الاستراتيجيات والقوى العالمية المؤثرة فيها، فيما خصص الفصل الثالث لدراسة المستقبل متناولاً فيها اهم المشاهد المستقبلية للصراعات الاقليمية في منطقة تزاحم الاستراتيجيات.

الحزام والطريق : تحولات الدبلوماسية الصينية في القرن 21

الباحث :جانغ يون لينغ

ترجمة: آية محمد الغازي

الناشر : دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، القاهرة، 2017

ينطلق الباحث في دراسته هذه من أن الصين تشهد في الوقت الراهن تحولا تدريجياً من كونها دولة كبرى إلى دولة عظمى عالمياً، ومن ثم فأن إعداد الصين لنظرية دبلوماسية تحقق ذلك يتطلب توضيح مهام المراحل المختلفة لتحقيق هذا التحول من ناحية، ومن ناحية اخرى ينبغي تحديد المحاور الاساسية وراء بناء النظرية في كل من هذه المراحل، واذ نظرنا إلى مراحل تحقيق هذا التحول سنجد أنها تنقسم إلى ثلاث مراحل مختلفة تشمل : التعايش السلمي، والتكافل السلمي، والتكافل المتناغم، وفي الوقت الحالي تنتقل النظرية الدبلوماسية الصينية من المرحلة الاولى وهي تحقيق التعايش السلمي إلى المرحلة الثانية وهي التكافل السلمي.

ويوضح الكاتب بأن الصين الآن بصدد وضع نظرية للتكافل السلمي عن طريق تحقيق النمو الداخلي، ودفع التفاعل مع الخارج، وبناء مفهوم التكافل وغيرها من الوسائل، أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة طويلة المدى، تتمثل مهمتها في تعزيز نظرية التكافل المتناغم مايسهم في الارتقاء بالعلاقات العالمية إلى مستوى اعلى مادياً ومعنوياً.

كما يبحث الكاتب في المحاور الرئيسية وراء بناء النظرية فيجد بأنه ينبغي على هذه المحاور في كل مرحلة من المراحل التي ذكرناها سلفاً إرساء حجر الاساس للنظريات الاساسية أو التوجيهية وكذلك تعزيز نظريات تنفيذية أو إجرائية مما يضمن أن تحقق النظرية الدبلوماسية الصينية للتحول إلى دولة عظمى توافقاً بين النظرية والتطبيق.

ويجد الكاتب بأن البيئة المحيطة بالصين مختلفة اختلافً واضحاً عن تلك التي كانت تحيط بجميع الدول الكبرى التي نهضت على مدار التاريخ وبالتالي هناك اختلافات كبيرة سواء على مستوى المتطلبات المادية أو النظرية، فعلى الصعيد المادي مع تعمق مفهوم التكامل في الانظمة العالمية اصبح من الصعب جداً تحقيق التنمية بشكل مستقل أو حصري، حيث أصبحت التيارات العالمية تتجه إلى التنمية المشتركة والمتبادلة على الصعيد النظري.

لذلك تناول الكاتب في دراستة هذه مجموعة محاور اساسية تشمل، أعداد نظرية دبلوماسية تهدف إلى تحول الصين إلى دولة عظمى، والمفهوم الصيني للامن العام، ودبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية، ايضاً تخطيط الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية في ظل التحول الاستراتيجي، والصين والولايات المتحدة وبناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى : تقييمات ومقترحات، المصالح الصينية في الشرق الاوسط، مبادرة (الحزام والطريق).

رياح التغيير في الشرق الاوسط وشمال أفريقيا الازمة، الانفراج، التحول.

الباحث : سيروس روحاني، بهروز ثابت، وأخرون.

ترجمة : جمال حسن.

الناشر : دار الساقي، بيروت، 2019.

ساهمة نحبة مختارة من الاكادميين في مختلف التخصصات في اعداد كتاب:(رياح التغيير في الشرق الاوسط وشمال افريقيا : الازمة، الانفراج، التحول)، اذ أن مايميز هذا الكتاب هو دعوة خبراء من مختلف المشارب الدينية والسياسية والاجتماعية، فضلاً عن تعدد خلفياتهم الثقافية للمساهمة بما لهم من بصيرة وتجربة وخبرات وتأكيدهم على ان هدفهم الاساسي هو التعرف على حقيقة واقع الشرق الاوسط ومستقبلة.

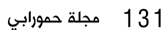
اذ تم تناول الشرق الاوسط وشمال افريقيا من زوايا مختلفة من خلال مجموعة من المقالات التي شرحت طيفاً عريضاً من المواضيع والمسائل مثل : مستقبل الشرق الاوسط وشمال افريقيا، كذلك قضية حقوق الانسان وتعايش مختلف الديانات فية جنباً إلى جنب، فضلاُ عن البحث في الأطر التي في حيزها تحقيق التجديد والاصلاح، ايضاً تم تناول موضوع الربيع العربي عام 2011 وتأثير رياح التغيير التي

تعدت حدود الشرق الاوسط وتردد صداها في سائر أرجاء العالم والتركيز على مسألة ديمقراطية الحكم فيه ونتائجها سلباً وايجاباً.

يتناول الكتاب الاحداث التي طغت على الساحة في الشرق الاوسط وشمال افريقيا منذ قيام الثورة الايرانية عام 1979 حتى نشوب الثورات وانقلابات مايسمى بـ(الربيع العربي)، كما ان المقصود من هذا الكتاب هو القاء الضوء على التحديات الماثلة التي أوجدتها هذه الاحداث العاصفة بالنسبة إلى هذه المنطقة والى العالم ككل، وكذلك الفرص السانحة والبدائل المقترحة للمسارات المتاحة من اجل مخرج يحقق السلام والازدهار. وتدور اربعة من مقالات الكتاب العشرة حول الاسلام كونه يمتلك وزن وثقل لايمكن تجاهله سواء محلياً او أقليمياً أوعالمياً، ففي عالم يتزايدعولمة وتتنوع عرقياته وأجناسه وتختلف اديانه يكون الاسلام فيه جزءاً من هذه التوليفة.

ويناقش الكتاب كلاً من الاوجه النظرية والعملية للمشكلات التي تعتركها مجتمعات الشرق الاوسط في هذه الأونة، لكن الجانب العملي في هذا الكتاب لا يقتصر على التقلبات اليومية في الساحة السياسية للمنطقة ولايكتفي بعرض وجهات النظر النقدية لهذه التقلبات، اذ ان مايعرض يتم من وجهة نظر عامة وبغير التورط في المسائل السياسية الحزبية. كما تم التركيز على الاساليب الطويلة المدى التي تستدعي تحولاً جذرياً في منظومة القيم وأنماط التفكير.

ويؤكد الباحثين ان فكرة هذا الكتاب انبثقت من اهتمامهم بتاريخ منطقة الشرق الاوسط وثقافاتها والبوادر المقلقة من الكم المتزايد من الارهاب والحروب الاهلية والصراعات الطائفية فيها، وماقلب مقدرات الشرق الاوسط بشكل لارجعة فيه، هو سلسلة متسارعة من الاضطرابات الاجتماعية زاد من التوترات الداخلية فيها بشكل كبير.




Cohesive Periodic for Political and Strategic Affairs
Issued by: Hammurabi Center for Researches & Strategic Studies
31 - 32th Issue - 7th year - Summer - Autumn 2019
HAMMURABI
Journal for Studies

Design and Layout: Hussak Computer Press - Beirut - Tel.: 00961 1 345687

ONE YEAR: FOR INDIVIDUALS: 30 $
FOR INSTITUTIONS: 50 $
FOR ABROAD: 80 $

E-MAIL: HAMMURABIMAGAZINE@YAHOO.COM
The number at the House of Books and Documents In Baghdad
1709 Year 2012

ISSN 2 2 2 7 - 5 3 1 2